المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨)، ٧ - ٥٣

مَجْمُوعَةُ التَّراكُوتا الرُّومانِيَّة بالمَخْزَنِ المُتْحَفِي بأهْناسيَا المَدِينَة*

A Group of Roman Terracotta in the store Museum of Ihnasia el Madina

د . هالة محمود خلف**

ملخص الدراسة

تتناول الدراسة مجموعة من التماثيل المصنوعة من الفخار (التراكوتا) التي تم الكشف عنها بمواقع أهناسيا المدينة ، وأبو صير الملق بمحافظة بنى سويف ، وقد أجريت الحفائر بمعرفة تفتيش آثار بني سويف في الفترة من ١٩٨٧ إلى ٢٠٠٠ (ومقارنتها ببعض التماثيل المكتشفة بحفائر سابقة) ، ونظرا لأهمية هذه القطع المكتشفة ، التي تتعرض لها الدراسة كأول نشر علمي لها ، وتعكس الظروف الحياتية والعادات المجتمعية في تلك الفترة المتأخرة من تاريخ مصر ؛ حيث تؤرخ هذه التماثيل من فترة العصر الروماني .

الكلمات الدالة

تماثيل ـ فخار ـ أبو صير الملق ـ أهناسيا المدينة ـ هيئات آدمية ـ هيئات حيوانية ـ هيئات طيور ـ العصر الروماني .

---

* تتقدم الباحثة بالشكر الجزيل للسادة مديري الآثار ومفتشي الآثار ببنى سويف ، وللجنة الدائمة للآثار المصرية؛ لتفضلهم بالموافقة على دراسة هذه المجموعة المكتشفة بمناطق الآثار المشار إليها بالدراسة ، كما تخص بالذكر المرحوم د. أحمد جلال ، لتزويد الدراسة بتقارير وصور ورسومات تخص القطع المكتشفة .

** أستاذ التاريخ القديم المساعد ـ كلية التربية ـ جامعة عين شمس .

Abstract

The Present Study focus on a group of statues made of pottery discovered at Ihnasia el Madena and Abu Sir el Mallaq at Bani Suief Governorate, the excavations carried out there by the Inspectorate of Bani Suief from 1987 to 2000 Due to the important of these discovered objects which the study deals with and try to publish them for the first time, it reflects the style of life and the social habits during the Roman period .

Keywords

Statues - pottery - Ihnasia el Madena-Abu Sir el Mallaq-human figures-Animal figures-Birds figures-Roman period.

مقـــدمة

تطور صناعة التماثيل الفخارية

عرفت مصر صناعة التماثيل الفخارية ذات الهيئة الآدمية منذ عصر ما قبل التاريخ ؛ حيث أمكن حصر ما يزيد على ٢٥٠ تمثالا آدميا ينتمي أقدمها لحضارة مرمدة بنى سلامة ، وعرفت تماثيل للمرأة بخاصة في حضارة البداري[١] ، ظهرت تماثيل الرجال في عصر نقادة الأولى ، وعرفت بكثرة تماثيل الأمومة ، وهناك تمثال نادر لأم تحمل طفلها عثر عليه في تل الفرخة بالدقهلية ، وينسب لعصر الأسرة صفر أو بداية الأسرة الأولى[٢] ، مثلت التماثيل آدميين بأوضاع مختلفة ، منها واقفا أو

(1) T. G. JAMES and V. DAVIES, *Egyptian Sculpture*, London 1984, p.67.

(2) K. M. CIALOWICZ, *«Female Representations from Tell el-Farkha», in: SAAC 13 (2009), pp.7-17; ID., «The Early Dynastic administrative-cultic centre at Tell el-Farkha»*, BMSES 13 (2009), pp.83-123.

جالسا ، وتنوعت التفاصيل الجسدية الممثلة مع التركيز على إظهار الخصوبة لدى السيدات[١] . ويوجد نماذج من تلك المواد بالمتحف البريطاني تحت رقم ٥٩٦٤٨، التي تمثل تماثيل لسيدات تمت صناعتها من مواد مختلفة[٢] ، ويلاحظ في بعض التماثيل النسائية أن الراقصات من عصر نقادة الثانية تضمنت نمطا يشبه النقوش الصخرية ، وتصوير الراقصات على أسطح فخار نقادة الأولى والثانية[٣] .

صنعت تلك التماثيل من عجينة نباتية وصلصال وتراكوتا ، كما صنعت من الخشب والعاج والفيانس[٤] ، وعرفت بعض الأمثلة النادرة التي صنعت من الحجر الجيري والبازلت ، وعثر على هذه التماثيل في مقابر أو معابد ومزارات شعائرية في هيراكونبوليس (الكوم الأحمر ـ الكاب) وأبيدوس وتل الفرخة والمحاسنة وإلفنتين[٥] .

ولذا يمكن القول إن التماثيل المختلفة في العصر الروماني التي كشف عنها بجبانات بني سويف ما هي إلا استمرار لتلك العادة القديمة التي عرفت منذ بداية الحضارة المصرية .

سوف تقتصر الدراسة على طراز تماثيل الفخار المختلفة التي كشف عنها خلال الحفائر بجبانات أهناسيا المدينة وأبو صير الملق بمحافظة بنى سويف ، وهي التي

---

(١) أشرف زكريا : فنون ومعتقدات عصور ما قبل التاريخ في مصر ، المنصورة ٢٠١٥، ٨٣.

(2) T. G. JAMES and V. DAVIES, *Egyptian Sculpture*, p.67, No.74.

(٣) أشرف زكريا : فنون ومعتقدات عصور ما قبل التاريخ ، ٨٤.

(٤) انظر : أشرف زكريا : التماثيل والتشكيلات الحيوانية في مصر والشرق الأدنى القديم في عصور ما قبل التاريخ ، رسالة دكتوراه ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ٢٠٠٠؛ بياتريكس ميدان رينيس : عصور ما قبل التاريخ في مصر ، ترجمة ماهر جويجاتي ، القاهرة ١٩٨٤؛ W. R. M. ANDERSON, *Badarian Burials: possible indicators of social Inequality in middle Egypt during the fifth Millennium B. C.*, Montreal 1989; S-A. ASHTON, *Petrie's Ptolemaic and Roman Memphis*, London 2003, pp.71.

(٥) أشرف زكريا : فنون ومعتقدات عصور ما قبل التاريخ ، ٨٣.

تتكون من ثلاثة طرز ، هي : التماثيل الآدمية ، والتماثيل الحيوانية المختلفة ، وتماثيل لهيئات الطيور .

يعشق الفنانون صناعة التماثيل المختلفة ، ومنها بالطبع الدمى في كل العصور ، بغرض إدخال السعادة على قلوب الأطفال خلال لهوهم بتلك التماثيل ، وهي العادة التي لا زالت مستمرة بأشكال عديدة .

عرفت التماثيل والأشكال المصنوعة من الطين المحروق باسم التراكوتا ، وكانت هذه التماثيل الصغيرة التي شاع استخدامها بداية في بلاد اليونان لا تقل أهمية عن مثيلاتها من التماثيل الضخمة ، خاصة أنها تمثل مستوى اجتماعيا مختلفا عن مستوى التماثيل الرخامية[١] ، وحظيت التماثيل الفخارية الصغيرة/ التراكوتا اعتبارا من القرن الرابع قبل الميلاد بشعبية كبيرة ، وكان المستوطنون اليونانيون في نقراطيس بغرب الدلتا هم أول من نشروا ثقافة تماثيل التراكوتا في مصر عند استيطانهم في نقراطيس ، ومنها انتشرت في ربوع مصر بعد ذلك ، واستمرت وتطورت بشكل كبير حتى نهايات العصر الروماني ، وظهر معها ما يعرف أيضا بتماثيل التناجرا[٢] .

خلال أواخر العصر الروماني ، غطيت التماثيل بالعديد من الألوان المختلفة ، وكان الغرض من تلك الألوان هو تمييز طرز تلك التماثيل ، وإعطاء الفنان فرصًا كبيرة لاستغلال السطح الخارجي لأغراض مختلفة ، كما كان الهدف كذلك إخفاء مادة الفخار حمراء اللون .

وقد كُشِفَ حديثًا على العديد من التماثيل التي غطيت بالعديد من تلك الألوان ، وخير مثال لذلك ما كُشِفَ عنه خلال حفائر أبو مينا بمريوط ، التي لونت

---

(١) عزت زكي قادوس : تماثيل التناجرا ، صورة من المجتمع النسائي السكندري ، صفحة مصريات ـ مكتبة الأسكندرية ، ٣.

(٢) عزت زكي قادوس : تماثيل التناجرا ، ٧.

التماثيل فيها بالعديد من الألوان(١). كما كُشِفَ عن العديد من تلك التماثيل بمنطقة هوارة بالفيوم(٢)، وفي مصر العليا، كشف عن العديد من طرز التماثيل وبخاصة في جبانتي كوم إشقاو وباويط(٣)، ومنف(٤)، وعثر بترى في أهناسيا قديما على العديد من طرز التماثيل الفخارية الرومانية(٥).

كشفت مصلحة الآثار المصرية بحفائر في أبو صير الملق في عام ١٩٦١ عن تماثيل مماثلة، ومحفوظة حاليا بالمخزن المتحفي بأهناسيا، ولم تجري عليها دراسة علمية ولم تنشرمن قبل(٦).

جدير بالذكر أنه قد تم العثور على تلك التماثيل في أغلب المدن المصرية، وبخاصة فوق سطح الأرض، وغالبا ما تكون تلك التماثيل مختلطة ببقايا الأواني الفخارية، التي تمثل المخلفات المتبقية من المنازل الرومانية، ولم يعثر على تلك التماثيل داخل مقابر الجبانات، أو أسفل أرضية المناطق الأثرية، وهذا ربما يفسر أنها لم تكن تمثل أساسًا جنائزي، بل كانت وسيلة من وسائل التسلية، ولغرض الاستخدام اليومي. وتم العثور على معظم تلك التماثيل بجانب بقايا الأواني الفخارية والعملات والمسارج المختلفة.

---

(١) لبيب يعقوب صليب: الفن القبطي خلال العصر الروماني، جزء أول، القاهرة ١٩٦٤، ٤٥-٤٦؛ P. LABIB, *«Fouilles du Musee Copte a Saint Menas(premiere champagne»*. BIE 34 (1951-1952): p.133-38.

(2) W. F. PETRIE, *Objects of Daily use,* London 1927, Pls. II, LIII, LV.

(3) M. Ch. PALANQUE, *«Notes Sur Quelques Touets Coptes en Terre-Cuite»* BIFAO 3, 1903, pp.97-103, PL. II; J. E. QUIBELL, KOM ISHGAW, ASAE 3, p.85-88; J. STRZYGOWSKI, *Koptische Kunst,* (CG 7001-7394; 8742-9200), Vienna 1904, p.245-246.

(4) W. F. PETRIE, *The Palace of Apries (Memphis II),* London 1909, p.17, PL. XXIX, Nos.82, 84.

(5) W. E. PETRIE, *Roman Ehnasya 1904,* London 190, pls. 47-51.

(٦) تقرير مبدئي غير منشور مصلحة الآثار حفائر أبو صير الملق ١٩٦٦.

وخلال الحفائر التي تمت في أبو صير الملق وأهناسيا المدينة ، عثر على كميات كبيرة من تلك التماثيل ، لكون هاتين المنطقتين أماكن للسكن وفي الغالب يسهل العثور على تلك التماثيل مختلطة بمخلفات الحياة اليومية ، وأكثرها بطبيعة الحال بقايا الأواني الفخارية ، وبقايا المسارج المختلفة ، التي يعود معظمها لأواخر العصر الروماني .

عثر كذلك على التماثيل المختلفة في منطقة بني سليمان الشرقية التابعة لمركز بني سويف الواقعة شرق النيل ؛ حيث عثر عليها مختلطة ببقايا الأواني الفخارية والعملات الرومانية والبيزنطية المختلفة ، مما يؤكد استمرار صناعة تلك التماثيل حتى أواخر العصر البيزنطي .

وتجدر الإشارة إلى أنه خلال حفائر أهناسيا عثر على معظم التماثيل فوق سطح الأرض مختلطة بالشواهد الأثرية ، ومعظمها يمثل التماثيل الآدمية ، والتماثيل الحيوانية ، وتماثيل الطيور المختلفة ، بينما في أبو صير الملق عثر على أعداد كبيرة من التماثيل الآدمية مختلفة الطرز بالمقارنة مع منطقتي أهناسيا وبني سليمان الشرقية ، وإن لم يمنع هذا من العثور في أبو صير على مختلف أنواع التماثيل .

صنعت التماثيل الفخارية/ التراكوتا من الطين المحلي ومن طمي النيل(١) ، وبعد الانتهاء من صناعتها من الطين يتم وضعها داخل أفران الحرق(٢) ، وكانت معظم

---

(1) CF. R. A. HIGGINS, *Greek Terracottas,* London 1967; ID., *Tanagra and the Figurines,* London 1986; S. ASHTON, *Roman Egyptomania,* London 2004, pp. 148-157.

(2) P. NICHOLSON, *The Firing of Pottery, An introduction to Ancient Egyptian Pottery,* (ed.) D. Arnold etal., Mainz 1982; D. ARNOLD, *«Wandbild und Scherbenbefund: zur Topfertechnik der Alten Agypten von Beginn der Pharao-nischen Ziet bis zu den Hyksos» in MDAIK 32, 1976, pp.1-34; C. HOPE, Egyptian Pottery,* London 1982, p.7ff; W. F. PETRIE, *The pottery kilns at Memphis. in: Historical studies.* London: 1911.

التماثيل المكتشفة في مناطق بني سويف المختلفة خشنة الصنع ، وبأحجام متقاربة ، وبخاصة تلك التي تمثل الطرز الآدمية .

قامت الباحثة باختيار فكرة تلك الدراسة لكونها تتطرق إلى فرع من فروع الصناعة المصرية القديمة ، التي شاعت خلال العصر الروماني ، ولم يتم دراسة أو نشر هذه المجموعة من قبل ، وتتناول ما تم الكشف عنه بأهناسيا المدينة مواسم ١٩٦١، ١٩٩٠، ١٩٩٨ ـ ٢٠٠٠م[1] ، كما تم دراسة التماثيل المكتشفة بأبو صير مواسم ١٩٨٧-١٩٨٩م مع الإشارة لما تم الكشف عنه سابقا بنفس الموقع من حفائر عام ١٩٦١م التي لم تنشر من قبل[2] .

آثرت الباحثة كذلك تزويد الدراسة بالرسوم المختلفة لطرز التماثيل التي تناولتها الدراسة ، وكذلك إمداد الدراسة بنماذج من الصور المبينة لتفاصيل تلك التماثيل المحفوظة بالمخزن المتحفي بأهناسيا المدينة ، وبعضها مسجل بسجل آثار بنى سويف ، ومعظمها غير مسجل ومحفوظ للدراسة . وقد قامت الباحثة بتصنيف التماثيل بشكل عام إلى ثلاثة طرز ، هي : الآدمية ، والحيوانية ، وتماثيل لهيئات الطيور ، وكل طراز ينقسم في ذاته إلى نماذج مختلفة ، وسوف تنقسم الدراسة تبعا لمكان العثور على هذه النماذج كما يلي :

أولًا : التماثيل المكتشفة في أبو صير الملق

الطراز الأول : التماثيل الآدمية

١ـ تمثال لرجل مفقود ذراعه الأيمن والساقين . ارتفاع ٨سم ، عرض ٦سم ، وسمك ١,٨سم . سجل آثار بني سويف برقم ١٤٤٠. حفائر أبو صير الملق

---

(١) تقارير مبدئية غير منشورة المجلس الأعلى للآثار مواسم : ١٩٩٠، ١٩٩٨ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) تقارير مبدئية غير منشورة المجلس الأعلى للآثار مواسم : ١٩٨٧ ـ ١٩٨٩م.

موسم ١٩٨٩. اللوحة ٣/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) الطراز الأول، اللوحة ٩ الصورة ١. توجد بقايا من طلاء أبيض فوق سطح بدن التمثال كما هو شائع في معظم دمى العصر الروماني[1].

٢ـ الجزء العلوي من تمثال لرجل ذو رأس ويفقد ذراعيه. ارتفاع ٨سم، عرض ٦سم وسمك ١,٥سم. سجل آثار بني سويف برقم ٢٧. اللوحة ٣/٤ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول ١. حفائر أبو صير الملق موسم[2] ١٩٦١م.

٣ـ تمثال غير كامل من الفخار الفاتح لسيدة مفقودة الرأس فقط وبها تفاصيل الصدر. اللوحة ١٣/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول، اللوحة ٩ الصورة ٤ رقم ١ من الصف الثاني يمين الصورة. ارتفاع ١٢سم، عرض ٧سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢. أبو صير الملق موسم ١٩٨٩م[3].

هذا النموذج من تماثيل النساء كان شائعا بشكل كبير خلال أواخر العصر الروماني وحتى العصر البيزنطي[4]، وكان يهدف إلى إظهار تناسق البدن بالإضافة لإظهار العضو التناسلي للمرأة ربما دلالة على الخصوبة، ولعل أقرب الأمثلة لذلك ما كشف عنه في كوم الدكة[5]. كشف عن نماذج مشابهة بمنطقة بني سليمان الشرقية بشرق النيل ببني سويف التي تعود للفترة من القرن الخامس وحتى السابع الميلادي.

---

(1) W. F. PETRIE, *Objects of daily use*, pp.61-62.

(٢) تقرير مبدئي غير منشور مصلحة الآثار، حفائر أبو صير الملق ١٩٦٦م.

(٣) تقارير مبدئية غير منشورة المجلس الأعلى للآثار، حفائر أبو صير الملق ١٩٨٩م.

(4) M. Ch. PALANQUE, *Notes Sur Quelques Touets Coptes*, p.100, PL. II, Fig.

(5) M. MARTENS, «*Figurines en terrecuite coptes decouvertes à Kom el Dikka*», *BSAA* 43 (1975), p.75 ٩-٨ عزت زكى قادوس: تماثيل التناجر ا .

٤ـ الجزء السفلي من تمثال لسيدة بالساقين وتبدو فيه تفاصيل عضوها التناسلي وعليها طلاء بالأبيض والأسود . ويمكن اعتبار هذا الشكل من التماثيل النسائية تعبيرا عن العرائس التي شاع استخدامها قديما وحتى عصرنا الحديث ، وتعد من أهم وسائل التسلية واللعب لدى البنات صغيرات السن . اللوحة ٤/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني ، اللوحة ٩ الصورة ٤ رقم ٣ في الصف الثاني من الصورة . ارتفاع ٩سم ، عرض ٦سم ، وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢. أبو صير الملق موسم ١٩٨٩م(١) .

٥ـ الجزء السفلي من تمثال لسيدة بالساقين. اللوحة ٤/٦ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني ، اللوحة ٩ الصورة ٤ رقم ٢ في الصف الثاني يمين الصورة . ارتفاع ٧سم، عرض ٦,٥سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم. ١٤٣٢ أبو صير الملق موسم ١٩٨٩.

٦ـ تمثال متميز لسيدة غير كاملة ذات بدن عريض مفقودة الرأس وتظهر تفاصيل الصدر . اللوحة ٤/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث ، اللوحة ٩ الصورة ٤ رقم ٤ في الصف الأول يسار الصورة. ارتفاع ٩سم ، عرض ٨سم ، وسمك ٢,٥سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٣. أبو صير الملق ١٩٨٩م . يعد هذا التمثال من النماذج المتميزة بأبو صير الملق ، لكونها ذات بدن وأذرع عريضة .

٧ـ تمثال غير كامل ومتميز لسيدة يظهر تفاصيل الصدر وعضوها التناسلي ومفقودة الرأس والأقدام . اللوحة ٤/٩ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث ، اللوحة ٩ الصورة ٤ رقم ٢ في الصف الأول يمين الصورة . ارتفاع ٩سم ، عرض ٨سم وسمك ٢,٥سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٣. أبو صير الملق ١٩٨٩م .

---

(١) تقارير مبدئية غير منشورة المجلس الأعلى للآثار، حفائر أبو صير الملق ١٩٨٩م .

٨ـ تمثال غير كامل لسيدة مفقودة الرأس والأقدام وتبدو فيها تفاصيل الصدر وعضوها التناسلي. اللوحة ٤/١٠ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث، اللوحة ٩ الصورة ٤ رقم ١ في الصف الأول يمين الصورة. ارتفاع ٨سم، عرض ٧,٥سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢. أبو صير الملق ١٩٨٩م.

٩ـ تمثال غير كامل لسيدة بها تفاصيل الصدر، ومفقودة الرأس والأقدام، وعليها بقايا طلاء أبيض. اللوحة ٤/١١ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث. ارتفاع ٥,٦سم، عرض ٧,٥سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢. أبو صير الملق ١٩٨٩م.

١٠ـ تمثال غير كامل لسيدة مفقودة الرأس والذراع الأيسر والساقين، وتحتوي على تفاصيل الصدر. اللوحة ٤/١٢ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث اللوحة ٩ الصورة ٤ رقم ٥ في الصف الثاني يسار الصورة. ارتفاع ٧سم، عرض ٦سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢.أبو صير الملق ١٩٨٩م.

١١ـ الجزء العلوي من تمثال سيدة تبدو فيه تفاصيل صدرها كافة، وعليها بقايا طلاء أبيض. اللوحة ٤/١٤ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث، اللوحة ٩، الصورة ٤، رقم ٤، في الصف الثالث يسار الصورة. ارتفاع ٤,٥سم، عرض ٦,٥سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢. أبو صير الملق ١٩٨٩م.

١٢ـ الجزء العلوي من تمثال لسيدة مفقودة الرأس والذراعين والساقين وعليها بقايا طلاء أبيض. اللوحة ٤/١٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث اللوحة ٩ الصورة ٤ رقم ١ في الصف الثالث يمين الصورة. ارتفاع ٤سم، عرض ٦سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢. أبو صير الملق ١٩٨٩م. لم

ينفذ الفنان تفاصيل صدر تلك السيدة كما هو الحال في التمثال السابق، وربما كانت معظم التماثيل تغطى بطلاء أبيض لإظهار تفاصيلها الدقيقة عوضا عن شكل الفخار المألوف[1].

١٣- الجزء العلوي من تمثال سيدة تظهر فيها تفاصيل الصدر والبطن بينما مفقودة الرأس والذراعين والساقين. اللوحة ١٦/٤(مقياس رسم ١: ٢سم)، النموذج الثالث، اللوحة ٩، الصورة ٤، رقم ٢، في الصف الثالث يمين الصورة. ارتفاع ٥سم، عرض ٧سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢. أبو صير الملق ١٩٨٩م.

١٤- تمثال غير كامل لسيدة مفقودة الرأس والساقين، وعليها بقايا من طلاء أبيض. اللوحة ١/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث. ارتفاع ٧سم، عرض ٧سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣١. أبو صير الملق ١٩٨٩م.

١٥- الجزء السفلي من تمثال لسيدة، تبدو في أعلاه بقايا الذراعين وأسفل البطن، وتبدو فيه تفاصيل عضوها التناسلي كناية عن الخصوبة. اللوحة ٣/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث، اللوحة ٩ الصورة ٤ رقم ٤ في الصف الثاني من يسار الصورة. ارتفاع ٧سم، عرض ٦سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢. أبو صير الملق ١٩٨٩م.

١٦- تمثال غير كامل لسيدة من أعلى مفقودة الذراع الأيمن والرأس، وتحتوي على تفاصيل الصدر، وتستقر على الجزء السفلي منها، وعبر فيها الصدر على شكل دائرتين بارزتين. اللوحة ٩/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج السادس، اللوحة رقم ٩ الصورة ٤ رقم ٣ في الصف الثالث من اليمين للصورة. ارتفاع

---

(1) M. MARTENS, *«Figurines en terrecuite coptes decouvertes à Kom el Dikka»* *BSAA* 43 (1975), p.75.

٦سم، عرض ٥سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٢. أبو صير الملق ١٩٨٩م.

١٧ـ تمثال غير كامل لسيدة مفقودة رأسها وأعلى الذراعين، وقد برع الفنان في تصويرها في وضع الحمل، حيث أظهر برواز دائريا في الجزء السفلي منها ليظهر تفاصيل البدن كونها حامل. اللوحة ١٤/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الحادي عشر، ارتفاع ٨سم، عرض ٥,٥سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف ضمن الرقم ١٤٣٣/أ. أبو صير الملق ١٩٨٩م.

١٨ـ تمثال غير كامل لسيدة مفقودة رأسها وذراعيها، وقد برع الفنان في تصويرها في وضع الحمل وعليها بقايا طلاء بالأبيض والأسود. اللوحة ١٥/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الحادي عشر. ارتفاع ٧,٥سم، عرض ٥,٥سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف ضمن الرقم ١٤٣٣/ب. أبو صير الملق ١٩٨٩م.

الطراز الثاني: التماثيل الحيوانية

١٩ـ الجزء الأمامي من تمثال على شكل حصان يمثل الرقبة والأقدام الأمامية، اللوحة ٣/٦ (مقياس رسم ١: ٣ سم) النموذج الأول، واللوحة ١٠ الصورة ١ رقم ٤ بالصف الثالث. ارتفاع ١٠,٥سم عرض ٦سم وسمك ٣سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق ١٩٨٩م يماثل هذا التمثال ما عثر عليه في معبد مرنبتاح بمنف، وأعيد استخدامه في أواخر العصر الروماني، ومحفوظ حاليا بالمتحف البريطاني(١)، كما عثر على نماذج مماثلة في

---

(1) L. SCH. ROBERT, *Quelques terres cuites memphites,* RdE 26, (1974), 83-99 (3 pl.). F. PETRIE, *Memphis I ,London 1909,* p.17, pl. XLIV; ID., *«The excavation of Memphis»*. in : Records of the past, Washington 1, 3-14 (1911), Taf.

جزيرة ألفنتين بأسوان ، التي تعود للقرن السادس الميلادي(١) .

٢٠ـ الجزء الأمامي من تمثال على شكل حصان ذا أقدام ورأس قصيرتين . اللوحة ٤/٦ (مقياس رسم ١: ٣ سم) النموذج الأول ، واللوحة ١٠ الصورة ١ رقم ٣ بالصف الثالث . ارتفاع ١١سم ، عرض ٥سم ، وسمك ٣سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق ١٩٨٩م .

٢١ـ الجزء الأمامي من تمثال على شكل حصان يمثل الرأس والأقدام الأمامية . اللوحة ٥/٦ (مقياس رسم ١: ٢ سم) النموذج الأول ، واللوحة ١٠ الصورة ١ رقم ١ بالصف الثالث . ارتفاع ٩,٥سم ، عرض ٣سم وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق ١٩٨٩م .

٢٢ـ الجزء الأمامي من تمثال على شكل حصان مفقود الرأس من الفخار الأحمر . اللوحة ٧/٦ (مقياس رسم ١: ٣سم) النموذج الأول ، واللوحة ١٠ الصورة ١ رقم ٢ بالصف الثالث . ارتفاع ٩سم ، عرض ٥,٥سم وسمك ٣سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق ١٩٨٩م .

٢٣ـ تمثال غير كامل على شكل الحصان مفقود الرأس فقط من الفخار الأحمر . اللوحة ٨/٦ (مقياس رسم ١: ٣ سم) النموذج الأول . ارتفاع ٧سم ، عرض ١٠سم ، وسمك ٣,٥سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣١. أبو صير الملق ١٩٨٩.

٢٤ـ تمثال شبه كامل على شكل حصان مفقود الرأس فقط . اللوحة ٩/٦ (مقياس رسم ١: ٢ سم) النموذج الأول . ارتفاع ٦,٥سم ، عرض ٨سم ، وسمك ٣سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق ١٩٨٩م .

---

(1) R. GEMPELER, «*Stadt und Tempel von Elephantine Sechster Grabungsbericht*», MDAIK 32, 1976, p.111-112.

٢٥ـ تمثال شبه كامل على شكل حصان مفقود الرأس والأقدام الخلفية . اللوحة ١٣/٦ (مقياس رسم ١: ٣ سم) النموذج الأول ، اللوحة ١٠ الصورة ١ رقم ٣ بالصف الثاني . ارتفاع ١٠سم ، عرض ١١,٥سم ، وسمك ٤,٥سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق ١٩٨٩م . عثر بجوار هذا التمثال على العديد من الآثار ، مثل مسارج مختلفة ، وأطباق مختلفة ، ومعظمها يعود لأواخر العصر الروماني . وهذا يؤكد فكرة أنها كانت جزءا من أدوات الاستعمال اليومي .

٢٦ـ الجزء الأمامي من تمثال على شكل حصان ذا رأس متميزة الشكل . اللوحة ١٦/٦ (مقياس رسم ١: ٣ سم) النموذج الثاني ، اللوحة ١٠ الصورة ٣. ارتفاع ٩سم عرض ٦سم وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٣. أبو صير الملق موسم ١٩٨٩م .

٢٧ـ جزء كبير من تمثال على شكل حصان مفقود الرأس والأقدام الخلفية ، ويحتوي على بروزين متباعدين يمثلا فراغا كان مخصصا لجلوس الفارس فيه . اللوحة ١٧/٦ (مقياس رسم ١: ٣ سم) النموذج الثاني ، اللوحة ١٠ الصورة ١ الرقم ٣ بالصف الأول . ارتفاع ٩سم ، عرض ٩سم ، وسمك ٣,٥سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق موسم ١٩٨٩م . ويوجد مثيل لهذا التمثال كشف عنه في كوم أشقاو وأبو رواش في أواخر القرن السادس الميلادي(١) .

٢٨ـ تمثال غير كامل على شكل حصان يفقد الرأس ، وعلى أسفل الرقبة بروز على شكل الحبل للقيادة من خلاله . اللوحة ١٨/٦ (مقياس رسم ١: ٣ سم)

---

(1) J. STRZYGOWSKI, *Koptische Kunst*, p.246, no.7134; M. CH. PALANQUE, *Notes Sur Quelques Touets Coptes, pp.97-103, PL. II, Figs 2-6, 8-9; J. E. QUIBELL, Kom Ishgaw,* ASAE 3, 1903, p.88, PLS. I-II.

النموذج الثاني ، اللوحة ١٠ الصورة ١ الرقم ٢ بالصف الأول . ارتفاع ٧,٥سم عرض ١٠سم ، وسمك ٣سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق موسم ١٩٨٨-١٩٨٩م .

٢٩- الجزء الخلفي من تمثال على شكل حصان ، يحتوي فوق الظهر على بروز على شكل مقعد للفارس الذي يركب الحصان . اللوحة ٢٠/٥ (مقياس رسم ١: ٣ سم) النموذج الرابع ، اللوحة ١٠ الصورة ١ رقم ٤ بالصف الثاني . ارتفاع ٥سم ، عرض ٧سم ، وسمك ٣سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق موسم ١٩٨٨-١٩٨٩م .

٣٠- الجزء الخلفي من تمثال على شكل حصان ، يحتوي فوق الظهر على بروز على شكل مقعد يتدلى على بطن الحصان . اللوحة ٢١/٦ (مقياس رسم ١: ٣ سم) النموذج الرابع . ارتفاع ٥سم ، عرض ٧سم ، وسمك ٣سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. أبو صير الملق موسم ١٩٨٨-١٩٨٩م .

٣١- الجزء الخلفي من تمثال على شكل حصان . اللوحة ٢٢/٦ (مقياس رسم ١: ٣ سم) النموذج الرابع ، اللوحة ١٠ الصورة ١ رقم ١ بالصف الأيمن . ارتفاع ٤سم ، عرض ٥سم ، وسمك ٢,٥سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٢٥. عثر عليه فوق السطح ، ومختلط بقوالب الطوب الأحمر ، وهو من الطين المحلي . أبو صير الملق موسم ١٩٨٨-١٩٨٩م .

٣٢- تمثال شبه كامل لجمل مفقود الرأس فقط ، وأسفل الأقدام الخلفية . اللوحة ١٦/٧ (مقياس رسم ١: ٣سم) النموذج الثاني . ارتفاع ٦سم عرض ٩سم وسمك ٥سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣١. أبو صير الملق ١٩٨٨م . يعد هذا التمثال من التماثيل النادرة الكاملة التي تمثل هيئة الجمل .

الطراز الثالث : التماثيل على هيئة الطيور

٣٣ـ تمثال غير كامل على شكل حمامة مفقودة رأسها فقط . اللوحة ١/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم) ، اللوحة ١٠ الصورة ٥ الرقم ٢ يسار الصورة . ارتفاع ١٠سم ، عرض ٨سم ، وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٢٣١. أبو صير الملق ١٩٨٧م .

٣٤ـ تمثال غير كامل على شكل حمامة مفقود جناحيها فقط . اللوحة ٢/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم) اللوحة ١٠ الصورة ٥ الرقم ١ يمين الصورة . طول ١٠سم ، عرض ٤سم ، وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٢٣١. أبو صير الملق ١٩٨٧م .

٣٥ـ تمثال غير كامل على شكل حمامة مفقود طرفي جناحيها فقط . اللوحة ٣/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم) اللوحة ١٠ الصورة ٦ الرقم ١ أعلى الصورة . طول ١٠سم ، عرض ٦,٥سم وسمك ٣سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٩. أبو صير الملق ١٩٨٨ـ١٩٨٩م .

٣٦ـ تمثال غير كامل على شكل حمامة مفقودة رأسها ورقبتها وطرفي جناحيها . اللوحة ٤/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم) اللوحة ١٠ الصورة ٦ الرقم ٢ أسفل الصورة . طول ٧سم عرض ٥سم وسمك ٢,٥سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٤٣٩/ب . أبو صير الملق ١٩٨٨ـ١٩٨٩م .

ثانيًا : التماثيل المكتشفة في أهناسيا المدينة

الطراز الأول : التماثيل الآدمية

٣٧ـ رأس تمثال لرجل خشنة الصنع وذات تفاصيل قليلة . اللوحة ١/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) ، الطراز الأول . ارتفاع ٧,٥سم ، عرض ٨سم . سجل

آثار بني سويف برقم ٢٤٠٣ أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م.

٣٨ـ رأس رجل خشنة الصنع، تحتوي على تفاصيل الوجه، وبخاصة عينيه وأذنيه. اللوحة ٣/٢ (مقياس رسم ١: ٢سم) الطراز الأول. ارتفاع ٤,٨سم، عرض ٥سم. غير مسجل بسجل آثار بنى سويف. حفائر أهناسيا[١] ١٩٩٨م.

٣٩ـ تمثال غير كامل لرجل ذا شكل شائع بين تماثيل الرجال في نهاية العصر الروماني يفقد الذراع اليسرى وهو مغطى بطلاء أبيض[٢].

٤٠ـ تمثال غير كامل لرجل مفقود الرأس والساقين والذراع اليسرى. اللوحة ٣/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول اللوحة ٩ الصورة ٢ رقم ٢. ارتفاع ٧,٥سم، عرض ٥,٥سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف برقم ٢٤٠٣. أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م.

٤١ـ الجزء العلوي من تمثال لرجل يمثل الصدر والكتف وأعلى الذراعين. اللوحة ٣/٦ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول ١. ارتفاع ٥,٣سم، عرض ٨سم وسمك ٢سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م.

٤٢ـ الجزء العلوي من تمثال لرجل مفقود الرأس، ويحتوي على بقايا من الذراعين. اللوحة ٣/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول ١. ارتفاع ٧,٥سم، عرض ٧سم. سجل آثار بني سويف برقم ٢٤٠٣. أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م.

٤٣ـ الجزء السفلي من تمثال لرجل. اللوحة ٣/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول ١ اللوحة ٩ الصورة ٢ رقم ٤. ارتفاع ٩,٥سم، عرض ٧سم،

---

(١) تقارير مبدئية غير منشورة المجلس الأعلى للآثار، حفائر أهناسيا المدينة، ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) تقارير مبدئية غير منشورة المجلس الأعلى للآثار، حفائر أهناسيا المدينة، ١٩٨٨م.

وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف برقم ٢٤٠٣. أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م .

٤٤ـ تمثال غير كامل لرجل جالس مفقود الرأس والكتف . اللوحة ٩/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول ، اللوحة ٩ الصورة ٣ رقم٢ بالصف الأول . ارتفاع ٨,٥سم ، عرض ٥,٥سم وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف برقم ٢٢٢١. أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٨م . يتميز هذا التمثال بطريقة تنفيذه ؛ حيث يحتوي على دعامة خلفية ، وسطحه يحتوي على بقايا من طلاء أصفر كما هي العادة في تماثيل أواخر العصر الروماني ، ومن أشهرها ما عثر عليه في «باويط»(1) .

٤٥ـ تمثال غير كامل لرجل جالس يفقد الرأس والذراعين. اللوحة ١٠/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث ، اللوحة ٩ الصورة ٢ رقم ٣. ارتفاع ٩سم ، عرض ٧سم ، وسمك ٣,٥سم . سجل آثار بني سويف برقم ٢٤٠٣. أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م . هذا النموذج من تماثيل الرجال يتميز بالزي الروماني الشهير الهيماتيون .

٤٦ـ رأس تمثال لسيدة تبدو فيها التفاصيل كافة ، ويغطى الوجه والرأس بطلاء أسود ، بينما بقية الوجه تمت تغطيته بطلاء أبيض . اللوحة ١١/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول . ارتفاع ٧سم ، عرض ٦سم ، وسمك ٢سم . غير مسجل للدراسة . أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٨م .

٤٧ـ رأس تمثال لسيدة بها ثقبين غير نافذين ، وذات تفاصيل خشنة الصنع . اللوحة ١٢/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول . ارتفاع ٥,٥سم ، عرض ٦سم ، وسمك ٢سم . غير مسجل للدراسة . أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م .

---

(1) W. F. PETRIE, *Objects of Daily use,* PL. LV, Nos, 434, 603, 607, pl. II, A-C, pl. IX; P. CHARLES, *Notes Sur Quelques Touets Coptes,* p.100, PL. II, Fig 3.

٤٨ـ تمثال غير كامل من الفخار الخشن لسيدة مفقودة الرأس، وتبدو فيها تفاصيل الصدر . اللوحة ١٤/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول . ارتفاع ٩سم، عرض ٥سم، وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٧. أهناسيا المدينة موسم ١٩٦١م .

٤٩ـ تمثال غير كامل لسيدة مفقودة الرأس والذراع الأيسر، ويبدو فيها تفاصيل الصدر . اللوحة ١٥/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول . ارتفاع ٩سم، عرض ٥سم، وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٧. أهناسيا المدينة موسم ١٩٦١م .

٥٠ـ تمثال شبه كامل لسيدة مفقودة الرأس والأقدام . اللوحة ١٦/٣ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول، اللوحة ٩ الصورة ٣ رقم ٣ من الصف الأول يمين الصورة . ارتفاع ١٢,٥سم، عرض ٧,٥سم وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٢٢١. أهناسيا المدينة موسم ١٩٨٨م . يعد هذا التمثال الأنثوي متفردًا في شكله، لكونه مطليًا باللون الأصفر على البدن من الأمام والخلف بدلا من اللون الأبيض الشائع استخدامه في معظم التماثيل .

٥١ـ تمثال غير كامل لسيدة مفقودة الرأس والأقدام، ويبدو فيه التفاصيل كافة الأنثوية . اللوحة ١/٤ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول، اللوحة ٩ الصورة ٣ رقم ١ من الصف الأول يمين الصورة . ارتفاع ١١سم، عرض ٧,٥سم وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٢٢١. أهناسيا المدينة موسم ١٩٨٨م . يعد هذا النموذج من الأشكال الشائعة في أهناسيا المدينة، وعثر على نماذج كثيرة منه خلال موسم ١٩٨٨م .

٥٢ـ الجزء السفلي من تمثال لسيدة تمثل أسفل البطن والساقين . اللوحة ٢/٤ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني، اللوحة ٩ الصورة ٢ رقم ٦، ارتفاع ٩,٥سم، عرض ٥سم، وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٤٠٣.

أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م .

٥٣- الجزء السفلي من تمثال لسيدة يمثل أسفل البطن والساقين . اللوحة ٣/٤ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني ، اللوحة ٩ الصورة ٢ رقم ٥، ارتفاع ٨,٥سم ، عرض ٥,٥سم ، وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٤٠٣. أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م .

٥٤- الجزء السفلى من تمثال لسيدة يمثل أسفل البطن والساقين . اللوحة ٤/٤ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني . ارتفاع ٨سم ، عرض ٦,٦سم ، وسمك ٢سم . غير مسجلة للدراسة . أهناسيا المدينة موسم ١٩٩٨م .

٥٥- تمثال شبه كامل لسيدة مفقودة الرأس فقط ، وصور فيها تفاصيل الصدر . اللوحة ٧/٤ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث . ارتفاع ١٢سم ، عرض ٧سم وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٦٤٠. أهناسيا المدينة (كفر الخليدي) موسم ١٩٩٠م . كان هذا النموذج من الأشكال الشائعة خلال القرن الخامس الميلادي وهو يماثل ما كشف عنه في «كوم إشقاو» خلال القرن السادس الميلادي(١) .

٥٦- تمثال متميز لسيدة تبدو فيه مظاهر الأنوثة ، وبخاصة في الصدر وعضوها التناسلي ، ومفقودة الرأس والذراع الأيسر والساقين ، وعليها بقايا من طلاء أبيض اللوحة ١٣/٤ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث . ارتفاع ٨,٥سم ، عرض ٥سم ، وسمك ٢سم . غير مسجلة للدراسة . أهناسيا المدينة ١٩٩٨م تعمد الفنان أن يبرز تفاصيل الصدر ليظهر مدى الأنوثة والخصوبة في تلك الدمية(٢) .

---

(١) تقارير مبدئية غير منشورة المجلس الأعلى للآثار ، حفائر أهناسيا المدينة ، ١٩٩٠م ، وأبو صير الملق ، وأهناسيا المدينة مواسم ١٩٩٨ - ٢٠٠٠م ؛ J. STRZYGOWSKI, *Koptische Kunst*, p.245-246, nos, 7131-7133.

(٢) تقارير مبدئية غير منشورة المجلس الأعلى للآثار ، حفائر أهناسيا المدينة ، مواسم ١٩٩٨ - ٢٠٠٠م .

٥٧ـ الجزء السفلي من تمثال لسيدة تبدو في أعلاه بقايا الذراعين وأسفل البطن . اللوحة ٢/٥ (مقياس رسم ١ : ٢سم) النموذج الثالث . ارتفاع ٩سم ، عرض ٦سم ، وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ١٦٤٠. أهناسيا المدينة ١٩٩٠م .

٥٨ـ تمثال كامل ومميز لسيدة تبدو فيها تفاصيل البدن كافة التي تعبر عن قمة أنوثتها . اللوحة ٥/٤ـ٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الرابع ، اللوحة ٩ الصورة ٢ رقم ١. ارتفاع ١١,٥سم ، عرض ٨,٦سم وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٤٠٣. أهناسيا المدينة ١٩٩٠ـ٢٠٠٠م . يعد هذا التمثال من أفضل نماذج التماثيل الفخارية الأنثوية ، التي تحتوي على تفاصيلها الأنثوية كافة ، وعضوها التناسلي كناية عن خصوبتها ، وعثر على مثيل لها في أنحاء مصر كافة ، وبخاصة في أخميم ، وكوم أشقاو ، وباويط ، ومريوط ، ومناطق بني سويف ، والفيوم .

٥٩ـ الجزء العلوي من تمثال يفقد الجزء السفلي والذراع الأيمن وبها تفاصيل الصدر . اللوحة ٦/٥ (مقياس رسم ١ : ٢سم) النموذج الرابع ، اللوحة ٩ الصورة ٥. ارتفاع ٦سم ، عرضسم وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٤٠٣. أهناسيا المدينة ١٩٩٠ـ٢٠٠٠م .

٦٠ـ تمثال غير كامل لسيدة مفقودة فقط رأسها وتبدو فيها ملامح الأنوثة كافة اللوحة ٧/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الخامس ، اللوحة ٩ الصورة ٦. ارتفاع ٧,٧سم ، عرض ٣سم وسمك ٢سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٤٠٣. أهناسيا المدينة (حفائر حوض المعمل) ١٩٩٩ـ٢٠٠٠م .

٦١ـ تمثال شبه كامل لسيدة جالسة مفقود الرأس ، ويحتوي على الملامح الأنثوية كافة . اللوحة ٨/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج السادس . ارتفاع ١٠سم ، عرض ٩سم وسمك ٣سم . سجل آثار بني سويف رقم ٢٣٦٨. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م .

٦٢- تمثال غير كامل من أعلى لسيدة بدون رأس، ويوجد بروز يمثل تفاصيل الصدر والأقدام. اللوحة ١٠/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج السابع. ارتفاع ٧سم، عرض ٥سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ٢٧. أهناسيا المدينة موسم ١٩٦١م.

٦٣- تمثال غير كامل من أعلى لسيدة بدون رأس وبقية الذراعين، ويوجد أسفل بقايا الرقبة عقد حول الصدر أسفله تصوير دقيق لتفاصيل الصدر. اللوحة ١١/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثامن. ارتفاع ٦,٨سم، عرض ٦سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ٢٧. أهناسيا المدينة موسم ١٩٦١م.

٦٤- تمثال غير كامل من أعلى لسيدة بدون رأس، ويوجد بروز يمثل الصدر، صور أسفله عقد كبير يمتد من الصدر حتى أسفل البطن. اللوحة ١٢/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج التاسع، اللوحة ٩ الصورة ٢ رقم ٧. ارتفاع ٥,٦سم، عرض ٧سم وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ٢٤٠٣. أهناسيا المدينة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م.

٦٥- تمثال غير كامل ومميز لسيدة بدون رأس وهي في وضع تظهر فيه عضوها التناسلي يعبر عن خصوبتها، وتضع ذراعيها فوق فخذيها. اللوحة ١٣/٥ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج العاشر، ارتفاع ٧,٥سم، عرض ٦سم، وسمك ٣سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م. لا يوجد أي نموذج مثيل ضمن المجموعة المكتشفة لذلك التمثال الذي يظهر عضوها التناسلي بشكل مبالغ فيه، حيث أراد الفنان إظهار مدى خصوبتها كإمرأة، وعثر عليها فوق سطح الأرض ضمن كسر الفخار التي تعود للقرن السادس الميلادي.

٦٦- الجزء الأمامي من تمثال مميز الشكل يمثل الرأس والرقبة. اللوحة ١/٦ (مقياس رسم ١: ٢ سم) النموذج الأول. ارتفاع ٨,٥سم، عرض ٦سم وسمك ٣سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٦٧ـ الجزء الأمامي من تمثال يمثل الرأس والرقبة والجزء الأمامي من البدن الممثل للأقدام الأمامية. اللوحة ٢/٦ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول. ارتفاع ٧,٥سم، عرض ٥سم، وسمك ٣سم. غير مسجل للدراسة أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٦٨ـ الجزء الأمامي من تمثال بدون رأس لسيدة وعليها بقايا من طلاء أصفر. اللوحة ٦/٦ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول. ارتفاع ٧,٦سم، عرض ٦سم، وسمك ٥,٢سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩م.

الطراز الثاني: التماثيل الحيوانية

٦٩ـ تمثال شبه كامل على شكل حصان مفقود الرأس فقط. اللوحة ١٠/٦ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول، اللوحة ١٠ الصورة ٢ الرقم ٢ بالصف الثاني، ارتفاع ٧,٥سم، عرض ٩سم، وسمك ٢,٥سم. سجل آثار بني سويف رقم ٢٢٢٣. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٧٠ـ تمثال مميز وشبه كامل بدون الرأس والجزء الأسفل من الأقدام الخلفية. اللوحة ١١/٦ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول. ارتفاع ٨سم، عرض ١١سم، وسمك ٥,٥سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٧١ـ تمثال مميز وغير كامل على شكل حصان بدون الرأس والأقدام الأمامية. اللوحة ١٢/٦ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول. ارتفاع ١٠سم، عرض ١١,٥سم، وسمك ٤,٥سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٩ـ٢٠٠٠م.

٧٢ـ تمثال مميز الشكل مفقود الجزء الأسفل من الأقدام، ويحتوي على تفاصيل الحصان كافة، ويوجد عليه تصوير على شكل مقعد للفارس. اللوحة ١٤/٦

(مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني، اللوحة ١٠ الصورة ٢ رقم ١. ارتفاع ٩سم، عرض ١٠سم، وسمك ٣سم. سجل آثار بني سويف رقم ٢٢٢٣. أهناسيا المدينة ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

٧٣- تمثال غير كامل بدون الرأس، يوجد عليه تصوير على شكل مقعد للفارس. اللوحة ١٥/٦ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني، ارتفاع ٥سم، عرض ٨سم، وسمك ٢,٥سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

٧٤- تمثال غير كامل ومميز على شكل حصان بدون الرأس، وعلى ظهره توجد بقايا من راكبين أحدهما يركب عكس الآخر. اللوحة ١٩/٦ (مقياس رسم ١: ٣سم) النموذج الثالث. ارتفاع ٧سم، عرض ٩سم، وسمك ٣,٥سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٧٥- بقايا تمثال يمثل الجزء الأمامي من كلب، ويحتوي على الرأس وتفاصيل الرقبة. اللوحة ٧/١-٢ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول. ارتفاع ٦,٥سم، عرض ٤,٥سم، وسمك ٢,٥سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

٧٦- بقايا تمثال مميز يمثل رأس كلب، وأذنيه وعينه، ذو رقبة طويلة. اللوحة ٣/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني، ارتفاع ٩سم، عرض ٣سم، وسمك ٣سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٦٢٥. أهناسيا المدينة ١٩٩٠م.

٧٧- بقايا تمثال لكلب بدون الرأس والأقدام الأمامية وأسفل الخلفية. اللوحة ٤/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني. ارتفاع ٥سم، عرض ٥سم، وسمك ٢سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

٧٨- تمثال شبه كامل لكلب بدون الرأس وأسفل الأقدام الأمامية. اللوحة ٥/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني، ارتفاع ٣سم، عرض ٤,٥سم، وسمك

٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٦٢٥. أهناسيا المدينة ١٩٩٠.

٧٩ـ الجزء الخلفي من تمثال لكلب يمثل معظم البدن والأقدام الخلقية والذيل. اللوحة ٦/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث. ارتفاع ٥سم، وعرض ٧سم، وسمك ٣سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م، توجد بقايا طلاء أبيض تكسو التمثال كي تجعل شكله مناسبًا ومحببًا في أيدي الأطفال[١].

٨٠ـ الجزء الخلفي من بقايا تمثال لكلب يمثل الأقدام الخلفية والذيل الممتد للخلف. اللوحة ٧/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث. ارتفاع ٥سم، عرض ٧سم، وسمك ٣سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٩ـ٢٠٠٠م.

٨١ـ بقايا تمثال على شكل حمار، يمثل الرأس بتفاصيلها وأسفل الرقبة. اللوحة ٨/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول. ارتفاع ٥سم، عرض ٨سم، وسمك ٣سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٨٢ـ تمثال غير كامل على شكل حمار بدون الرأس، ويحتوي على تصوير لمقعد يمتد على البطن محمول عليه شيء ما. اللوحة ٩/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني. ارتفاع ٤سم، عرض ٧,٥سم وسمك ٣سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة (حوض المعمل) ١٩٩٩ـ٢٠٠٠م.

٨٣ـ بقايا تمثال على شكل حمار بدون الرأس والأقدام الأمامية، ويحتوي على تصوير لمقعد مميز لجلوس الراكب عليه. اللوحة ١٠/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثاني. ارتفاع ٤سم، عرض ٨سم، وسمك ٣سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة (حوض المعمل) ١٩٩٩ـ٢٠٠٠م.

---

(١) تقارير مبدئية غير منشورة المجلس الأعلى للآثار، حفائر أهناسيا المدينة، ١٩٩٠م.

٨٤- الجزء الخلفي من دمية على شكل حمار تفقد الرأس والأقدام الأمامية، وتحتوي على تصوير لشخص غير واضح المعالم يركب عليه، اللوحة ١١/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الثالث، ارتفاع ٧سم، عرض ٤، ٧سم، وسمك ٣سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة (حوض المعمل) ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

٨٥- رأس جمل مميزة الشكل تحتوي على التفاصيل كافة. اللوحة ١٢/٧ (مقياس رسم ١: ١سم) النموذج الأول. ارتفاع ٣سم، عرض ٤,٥سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ٤٧٥. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٨٣م.

٨٦- رأس جمل صغيرة الحجم، تحتوي على التفاصيل كافة. اللوحة ١٣/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول، ارتفاع ٥سم، عرض ٦سم، وسمك ٢سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٨٧- رأس لجمل صغير السن، تحتوي على التفاصيل كافة. اللوحة ١٤/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول، ارتفاع ٢,٥سم، عرض ٢,٤سم، وسمك ٢,٢سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٨٨- رأس لجمل كبير السن، تحتوي على الرقبة وتفاصيل الوجه كافة. اللوحة ١٥/٧ (مقياس رسم ١: ٢سم) النموذج الأول، اللوحة ١٠ الصورة ٤. ارتفاع ٥,٥سم، عرض ٦سم، وسمك ٤سم. سجل آثار بني سويف برقم ٢٣٦٨، أهناسيا المدينة ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

الطراز الثالث: التماثيل ذات هيئة الطيور

٨٩- تمثال غير كامل لطائر بدون الرأس والرقبة في حالة طيران. اللوحة ٥/٨ (مقياس رسم ١: ١سم)، طول ٢,٥سم، عرض ٥سم، وسمك ٢سم. سجل

آثار بني سويف رقم ١٦٢٣. أهناسيا المدينة ١٩٩٠م.

٩٠- تمثال غير كامل على شكل حمامة بدون الرأس والجناحين. اللوحة ٦/٨ (مقياس رسم ١: ١سم). طول ٣,٤سم، عرض ٣سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٦٢٣. أهناسيا المدينة ١٩٩٠م.

٩١- تمثال غير كامل على شكل حمامة بدون الرأس والجناح الأيمن. اللوحة ٧/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم). طول ٦سم، عرض ٦سم، وسمك ٣سم. غير مسجلة للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٩٢- بقايا من تمثال يمثل رأس ورقبة ديك، تم تلوينه بالأصفر والأحمر، بينما لون شعر الديك بالبني. اللوحة ٨/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم). طول ٨سم، عرض ٧سم، وسمك ٥,٤سم. غير مسجلة للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٩٣- بقايا من تمثال يمثل رأس ورقبة ديك تم تلوينه بالأسود والأحمر. اللوحة ٩/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم). طول ٩سم، عرض ٥سم، وسمك ٢سم. غير مسجلة للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٨م.

٩٤- بقايا من تمثال يمثل رأس ورقبة طائر الهدهد، ويحتوي على بقايا من اللون الأسود. اللوحة ١٠/٨ (مقياس رسم ١: ٣سم). طول ٩سم، عرض ٥,٤سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٦٤٤. أهناسيا المدينة ١٩٩٠م. يعد هذا النموذج فريدا كونه لم يعثر على مثيل له من قبل سوى في أهناسيا المدينة.

٩٥- بقايا من تمثال يمثل رأس ورقبة طائر أبي منجل. اللوحة ١١/٨ (مقياس رسم ١: ١سم)، طول ٥,٢سم، عرض ٣سم، وسمك ١سم. سجل آثار بني سويف رقم ٤٧٠/ب. أهناسيا المدينة ١٩٨٣م.

٩٦- تمثال يمثل الطائر أبي منجل بدون الرأس ومعظم الرقبة. اللوحة ١٢/٨ (مقياس رسم ١: ١سم). طول ٩,٣سم، عرض ٥,٢سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٥٠٠. أهناسيا المدينة ١٩٨٨-١٩٨٩م.

٩٧- تمثال يمثل الطائر أبي منجل بدون الرأس فقط. اللوحة ١٣/٨ (مقياس رسم ١: ١سم) طول ٥,٤سم، عرض ٤، ٥سم، وسمك ٢سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٦٢٤/أ. أهناسيا المدينة ١٩٨٨-١٩٨٩م.

٩٨- تمثال يصور الطائر أبي منجل مفقود الرأس فقط. اللوحة ١٤/٨ (مقياس رسم ١: ١سم). طول ٨,٤سم، عرض ٧,٥سم وسمك ٣سم. سجل آثار بني سويف رقم ١٦٢٤/ب. أهناسيا المدينة ١٩٩٠م. يعد هذا النموذج دليل على العلاقة القوية التي ربطت بين أهناسيا المدينة مسقط رأس أبي منجل الذي كان صورة من صور المعبود «جحوتي سيد الأشمونين».

٩٩- جزء كبير من تمثال يمثل الرأس والرقبة الطويلة التي تمثل بقايا أحد الأوز، اللوحة ١٥/٨ (مقياس رسم ١: ٢سم). طول ٩,٥سم، عرض ٦,٥سم وسمك ٢سم. غير مسجل للدراسة. أهناسيا المدينة ١٩٩٠م.

التعليق ونتائج الدراسة

تعتبر التماثيل الفخارية/التراكوتا - التي تمثل أناسا من إناث وذكور، وكذلك تمثل الحيوانات والطيور المختلفة - من الآثار الشهيرة التي تم العثور عليها في العواصم والمدن الشهيرة، وتعد نوعا من أنواع الفن الخزفي[1] الذي عرفته بلاد اليونان، ومنه انتشر في البلدان المختلفة ومنها مصر، وقد كشف عنها في الوجه البحري في «مريوط، وأبو رواش، ومنف، والبعض الآخر في باويط والفيوم»، بينما في الوجه القبلي عثر على تلك التماثيل في: أخميم، وكوم أشقاو، وبنى سويف (أبو صير الملق، وأهناسيا المدينة، وبني سليمان الشرقية) خلال العصر اليوناني الروماني. وكانت معظم التماثيل تصنع من الفخار المحلي «طمي النيل» وتغطى بألوان مختلفة، وكان اللون الأبيض هو أشهرها، وتعود لأواخر العصر الروماني، وكان

---

(1) M. CARY, *A History of the Greek World*, London 1932, pp.134-135.

يعثر عليها بين بقايا قوالب الطوب الأحمر، وبقايا الأواني الفخارية التي تعود لذلك العصر، لذلك ساعدت هذه البقايا كثيرا في عملية التأريخ.

كان الهدف الرئيس من تلك الدراسة هو تسليط الباحثة الضوء على تلك التماثيل الفخارية المكتشفة بمناطق آثار بني سويف بشكل عام، ومحاولة مقارنتها مع مثيلاتها بالمناطق الأخرى، وما يماثلها بالمتاحف المختلفة، وزودت الباحثة الدراسة بالرسوم التوضيحية لتلك التماثيل، وبعض الصور المختارة لنماذج منها.

أظهرت الدراسة بعض الملاحظات المرتبطة بالتماثيل المكتشفة التي مثلت رجالًا، ونساءً، وحيوانات مختلفة، وطيور متنوعة، ويمكن إجمال تلك الملاحظات في النقاط التالية:

١- تماثيل تكاد تكون كاملة تحتوي على الرأس والبدن والأقدام.

٢- تماثيل ذات بدن ذو دعامة في الخلف، يحتوي على تفاصيل البدن كافة.

٣- تماثيل صنعت بدون أقدام، وتستقر على الجزء السفلي من البدن.

٤- تماثيل لنساء بالرأس والشكل المألوف لهن.

٥- تماثيل لنساء بحجم كبير، وتتصل الذراعين بالساقين والجزء السفلي من البدن.

٦- تماثيل لنساء ذات بدن صغير الحجم، وذات تفاصيل أنثوية، ووضع الذراعين حول البدن يأخذ الشكل الدائري.

٧- تماثيل لنساء على شكل نصفي، وتستقر على الجزء السفلي من البدن، ولكنها لا تحتوي على رأس وساقين.

٨- تماثيل لنساء على شكل العمود بدون ذراعين، وتحتوي على التفاصيل الأنثوية كافة.

٩- تماثيل لنساء على شكل نصفي، وتستقر على الجزء السفلي من البدن، وتحتوي على الرأس والذراعين والتفاصيل الأنثوية كافة.

١٠- تماثيل لنساء على شكل الإناء، وبدون رأس، وتحتوي على التفاصيل الأنثوية كافة.

١١- تماثيل لنساء على شكل فرع الشجرة، وتستقر على الجزء السفلي من البدن، وترتدى عقدا مميزًا.

١٢- تماثيل لنساء على شكل نصفي، وذات ذراعين بجوار البدن، وترتدى عقدا مميزا أسفل الصدر.

١٣- تماثيل لنساء تظهر فيها الأعضاء التناسلية بشكل مبالغ فيه، وتضع ذراعيها فوق الساقين.

١٤- تماثيل لنساء في وضع الولادة، وتظهر بوضوح الأعضاء التناسلية للمرأة.

من المعروف أن تماثيل الحيوانات معروفة في مصر منذ عصر ما قبل الأسرات، وظهر أقدمها في مرمدة بني سلامة[1]، وكان من بينها ما يمثل الحيوانات المصنوعة من الفخار فقط، والتي انتشرت فيما بعد في أنحاء مصر كافة، وعثر عليها في المناطق والعواصم والأديرة التي تعود لأواخر العصر الروماني، كما استخدم في صناعة التماثيل الحيوانية العاج والفيانس والديوريت والظران والشست، وكان من بين هيئات التماثيل الحيوانية من عصر ما قبل الأسرات ما يمثل البقرة، والثور، والكبش، والتمساح، والكلب، والوعل، والحمار، والفيل، والسلحفاة، وفرس النهر، والقرد[2] كما عرف إناء شكلت مقدمته على هيئة الجمل، ويعد هذا المثال أقدم تصوير لهيئة الجمل، وعثر على هذا الإناء في أبو صير الملق، ويؤرخ بعصر نقادة الثالثة، ومحفوظ حاليا بمتحف

---

(١) أشرف زكريا: فنون ومعتقدات عصور ما قبل التاريخ، ٤٣ وما بعدها.

(٢) أشرف زكريا: فنون ومعتقدات عصور ما قبل التاريخ، ٩٥-١٠٢.

برلين برقم ١٨٥٩٣، ويؤكد ظهور الجمل في تلك الفترة على العثور على عظام جمل في الفيوم(١).

تم الكشف عن بعض التماثيل الحيوانية المصنوعة من الفخار خلال حفائر المجلس الأعلى للآثار بمناطق آثار أبو صير مواسم ١٩٨٧-١٩٨٩م وفي أهناسيا مواسم ١٩٩٠م، ١٩٩٨-٢٠٠٠م، وعثر على عدد قليل منها خلال حفائر بنى سليمان الشرقية موسم ١٩٨٨م، وعثر على البعض من تلك التماثيل، وكانت لا تزال محتفظة بألوانها الطبيعية التي كانت عليها وقت صناعتها، وبالطبع كان أشهرها اللون الأبيض.

صنعت تلك التماثيل من الطين المحلي الذي كان يحرق في أفران خاصة، وبعد الحرق يتم طلاؤها باللون المناسب، وكان أكثرها شيوعا ـ كما سبق ذكره ـ اللون الأبيض، وكذلك بعض منها كان يحتوي على بقايا ألوان بالأبيض، والأصفر. وكانت موجودة ضمن مخلفات المنازل من الطوب الأحمر والآثار الأخرى، التي كانت تستخدم داخل المنازل، وتمثل أدوات الاستخدام اليومي، وهي الأماكن الوحيدة التي كانت توجد فيها تلك التماثيل، بالإضافة لبعض أماكن العبادة المختلفة(٢)، وهذه التماثيل بعضها مسجل بسجل آثار بني سويف والبعض الآخر غير مسجل للدراسة، وهي محفوظة بالمخزن المتحفي بأهناسيا المدينة. تم تقسم تلك التماثيل إلى أربعة مجموعات كما يلي:

١ـ تماثيل على شكل الأحصنة وبقايا منه، وتشمل ما يلي:

* تماثيل تمثل الجزء الأمامي من الأحصنة.

---

(١) أشرف زكريا: فنون ومعتقدات عصور ما قبل التاريخ، ١١٢-١١٣؛ Cf. Kayser, W., *Agyptische Kunsthandwerk,* Kassel 1969, fig.19.

(2) P. Labib, *Fouilles du Musee copte a Saint Menas,* BIE 34 (1951-1952), p.133-38.

* تماثيل غير كاملة على شكل الأحصنة التي تحتوي على مقعد للفارس .
* نموذج فريد لتمثال على شكل الحصان وفوقه رجلان .
* تماثيل غير كاملة عبارة عن الجزء الخلفي من الأحصنة .

٢ـ تماثيل على شكل الكلاب وبقايا منها ، وتشمل ما يلي :

* الجزء الأمامي من تماثيل على شكل كلب .
* تماثيل غير كاملة على شكل كلب .
* الجزء الخلفي من تماثيل على شكل كلب .

٣ـ تماثيل على شكل الحمير وبقايا منها ، وتشمل ما يلي :

* الجزء الأمامي من تماثيل على شكل حمير .
* تماثيل غير كاملة على شكل حمير .
* تمثال غير كامل على شكل حمار وفوقه شخص .

٤ـ تماثيل على شكل الجمال وبقايا منها .

عثر على خمسة نماذج من تلك المجموعة تحتوي في داخلها على طرازين ، الأول يمثل الجزء الأمامي والرأس من جمال ، والثاني يمثل نموذجًا لجمل غير كامل ، وكانت مغطاة بطلاء ولكنه أزيل ، وأقرب نماذج لما عثر عليه من الجمال يماثل ما كشف عنه في أسوان[1] .

أظهرت حفائر بني سويف ـ وعلى وجه الخصوص منطقتي أبو صير الملق وأهناسيا المدينة ـ كشفًا عن خمسة عشر نموذجا مختلفا لتماثيل غير كاملة على شكل الطيور ، وهي من الفخار الأحمر ، وعثر عليها بين الشواهد الأثرية المتناثرة على سطح المنطقتين الأثريتين ، والمتمثلة في بقايا الأواني الفخارية ، وقوالب

---

(1) R. GEMPELER, *«Stadt und Tempel von Elephantine»*, p.111-112.

الطوب الأحمر، التي تعود لأواخر العصر الروماني، ومعظم تلك التماثيل كانت مغطاة بألوان مختلفة، ومن أشهرها اللونين الأبيض والأصفر، وصنعت من الطين المحلي. وتمثل تلك التماثيل الطيور على شكل الحمام والبط والديوك والهدهد وطائر أبي منجل.

ويمكن استخلاص أن الأمثلة جيدة الصنع من تماثيل التراكوتا تعتبر تقليدا للتماثيل الرائعة الكبيرة، سواء في تصميمها أو تعبيراتها[١]، خاصة أن هذه التماثيل الفخارية الصغيرة تمثل مستوى اجتماعيا معينا[٢].

---

[١] عزت زكي قادوس: تماثيل التناجرا، ٣.

[2] R. R. SMITH, *Hellenistic Sculpture*, London 1966, p.86.

الأشكال والصور التوضيحية

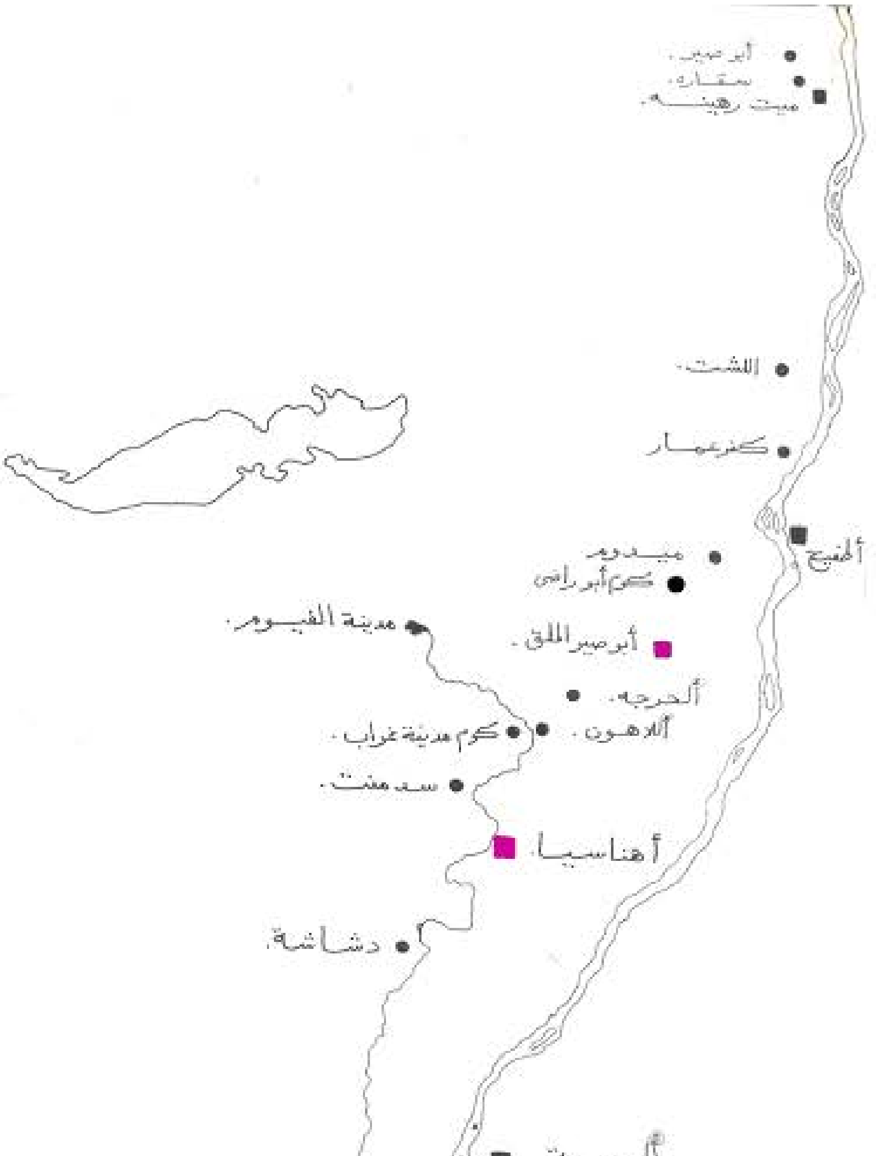

خريطة (١) توضح مواقع الآثار بمحافظة بني سويف

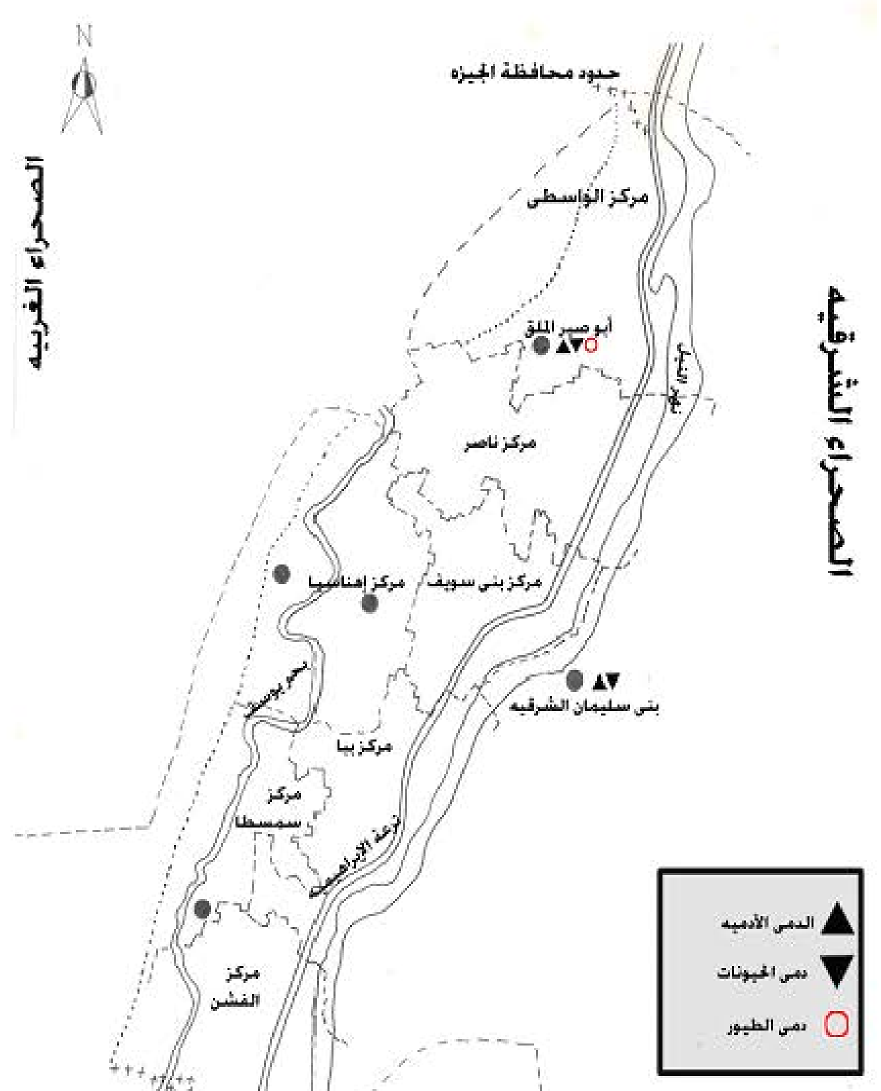

خريطة (٢) تبين مراكز بنى سويف السبع والأماكن التى عثر فيها على تماثيل الدراسة

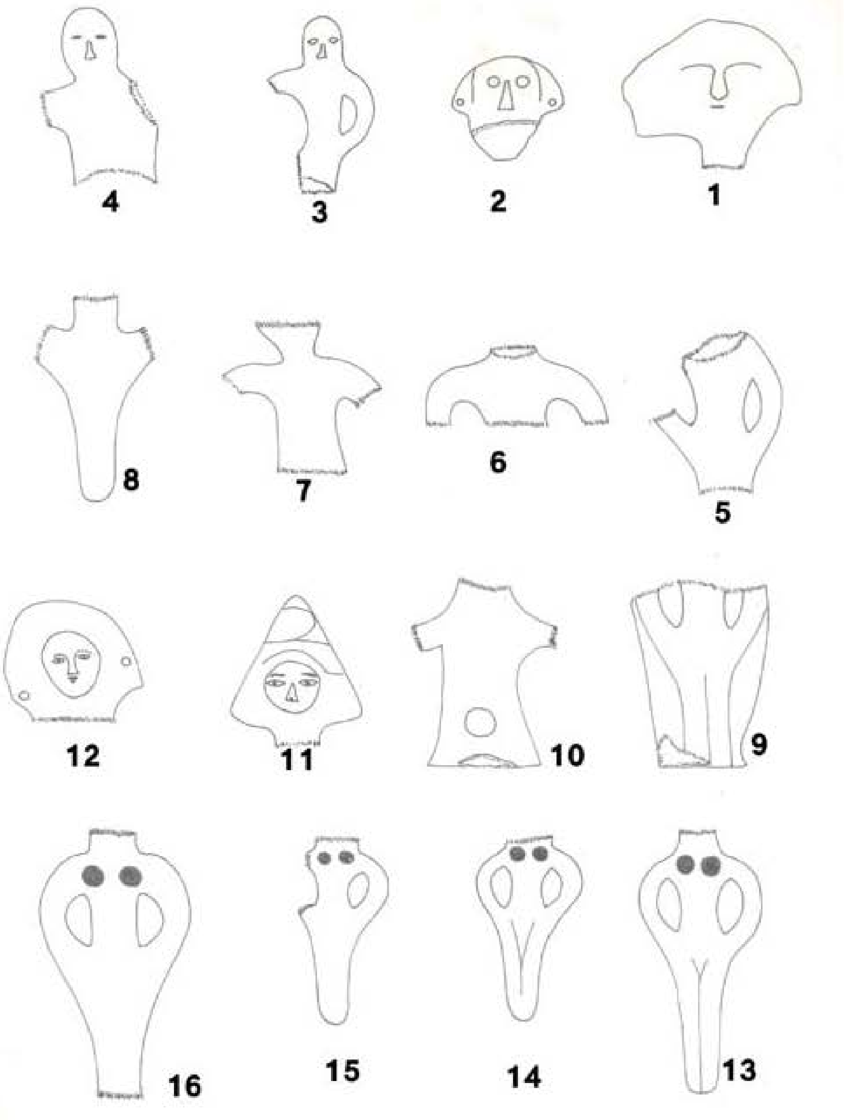

لوحة (٣) التماثيل الآدمية

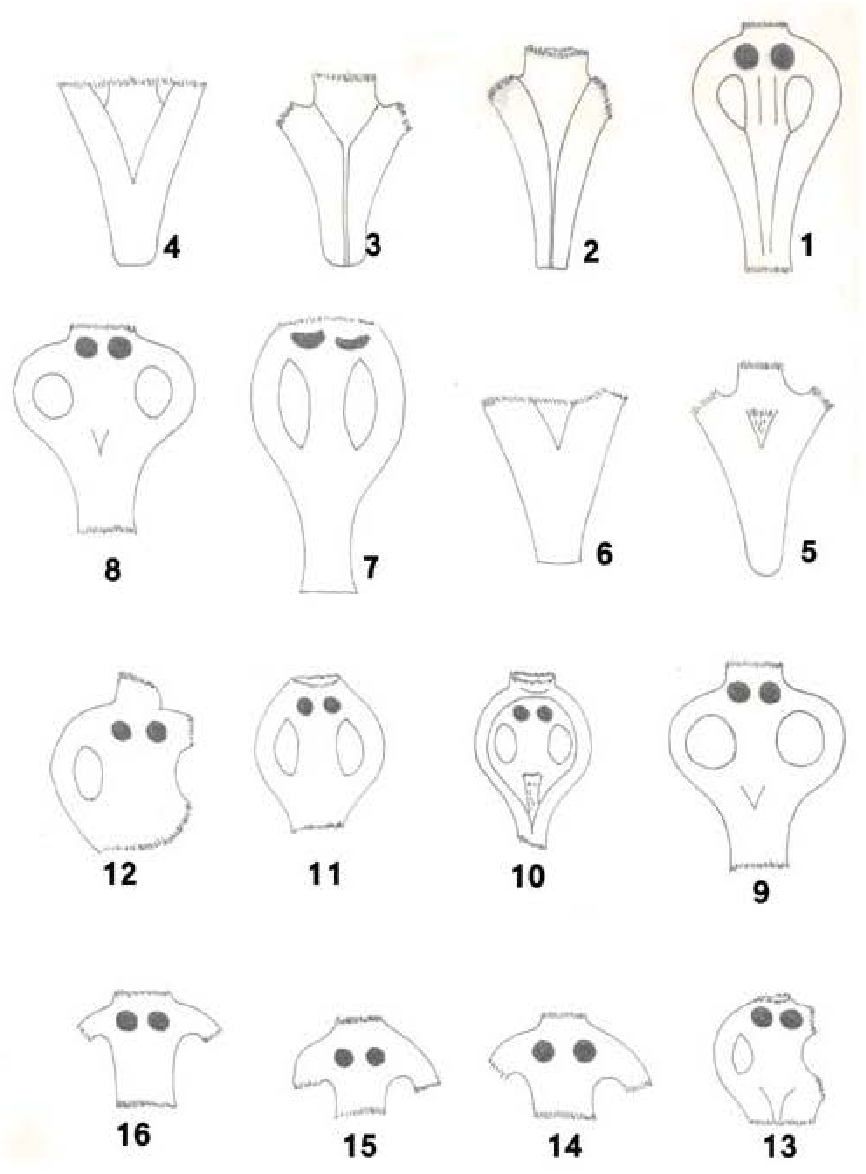

لوحة (٤) التماثيل الآدمية

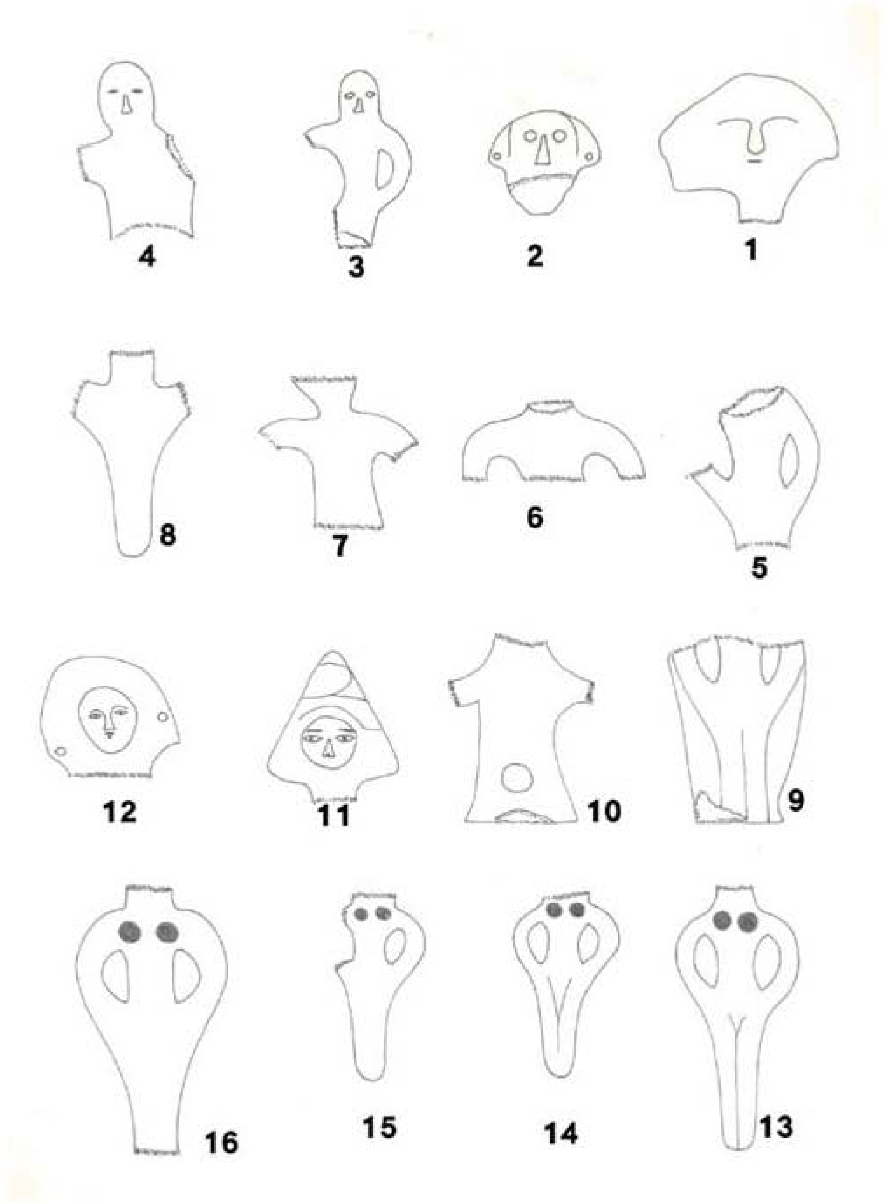

لوحة (٥) التماثيل الآدمية

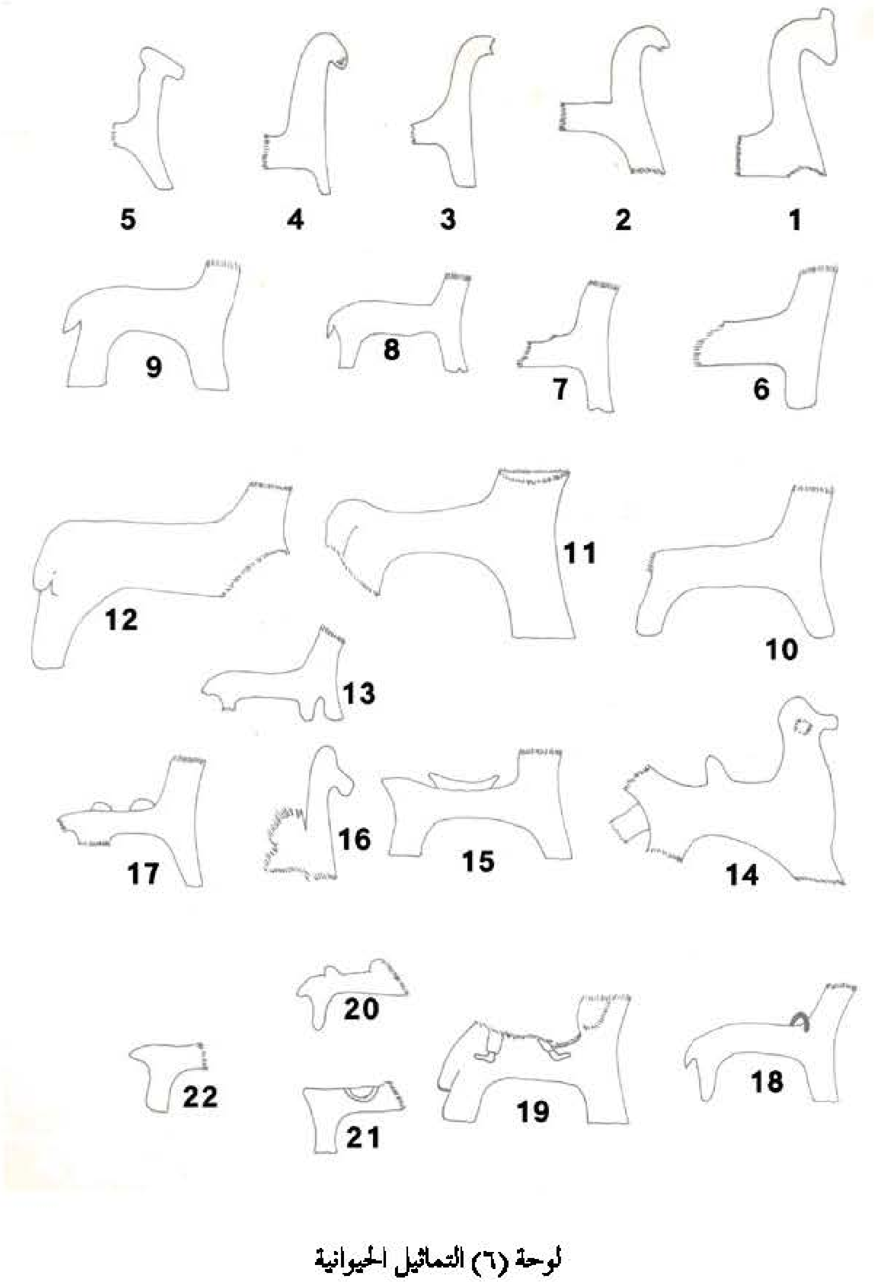

لوحة (٦) التماثيل الحيوانية

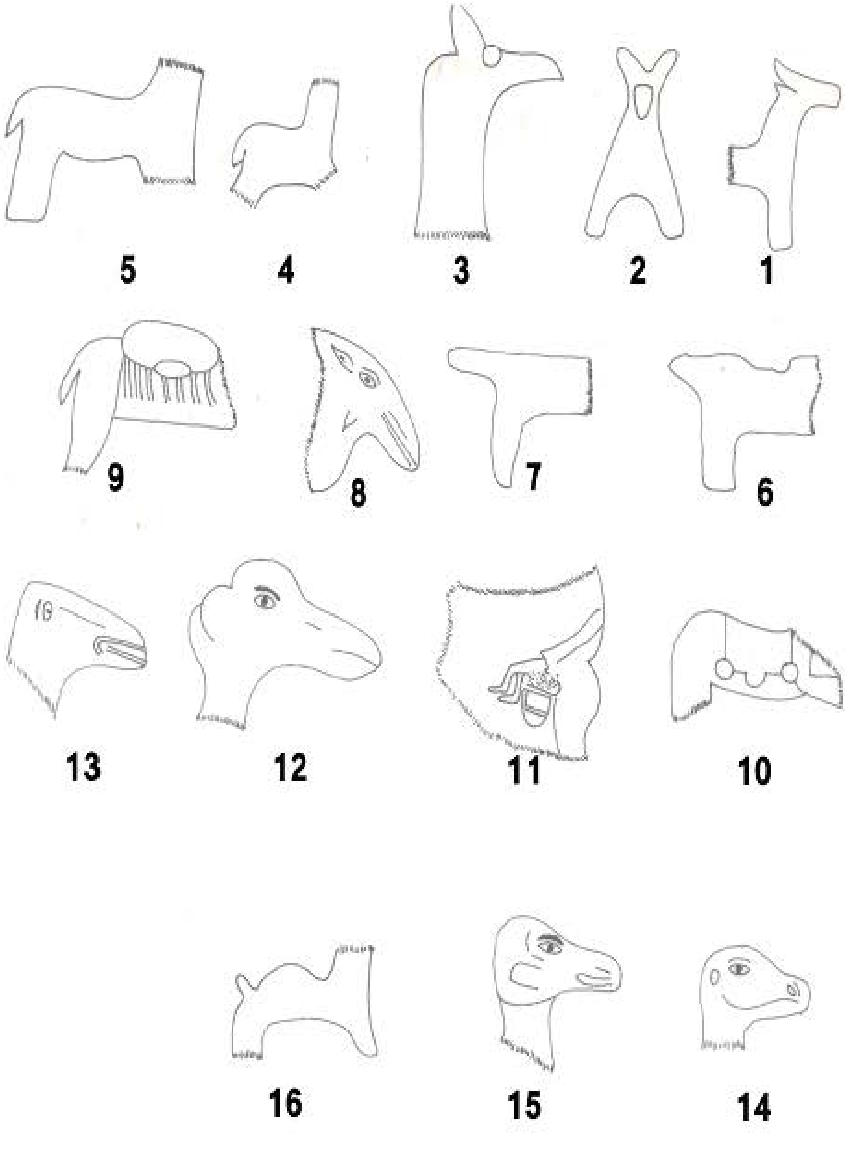

لوحة (٧) التماثيل الحيوانية

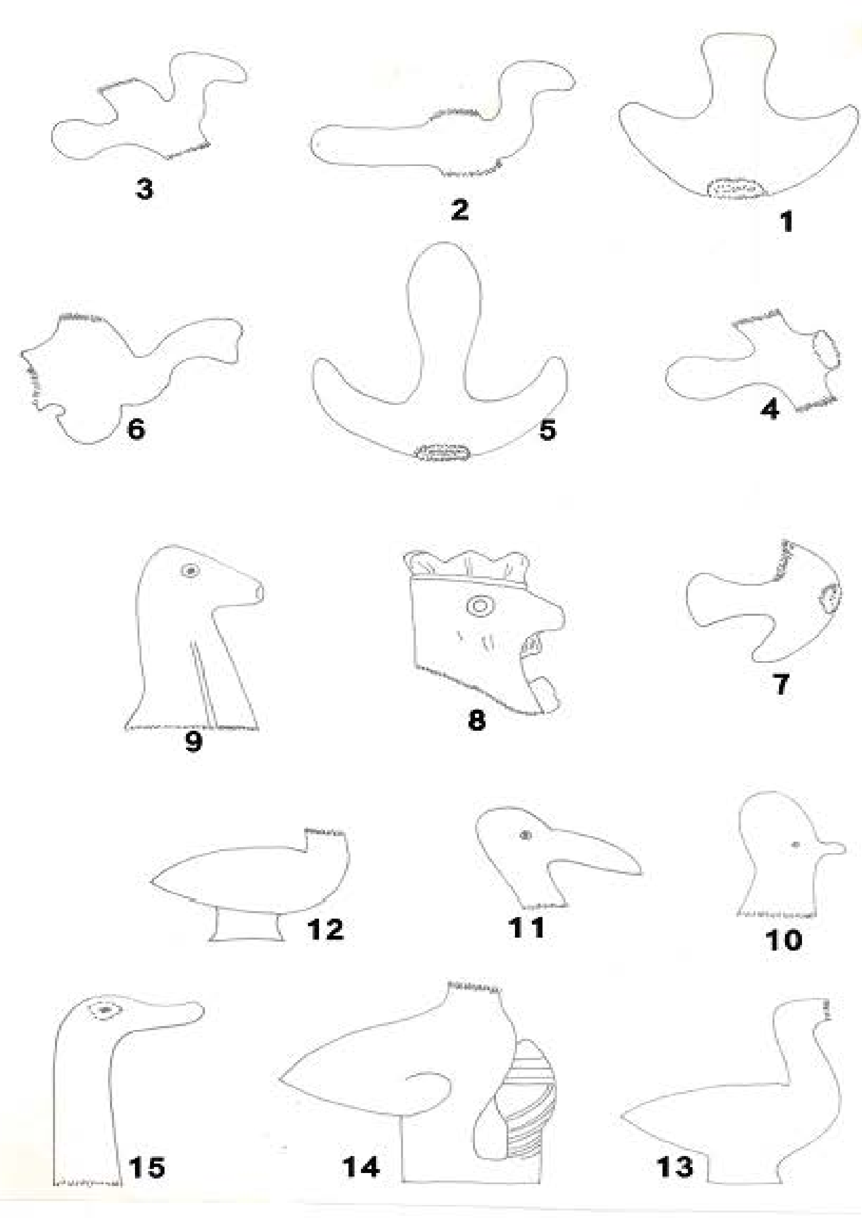

لوحة (٨) تماثيل الطيور

لوحة ٩ مجموعة من التماثيل الآدمية

صورة (١)

صورة (٢)

صورة (٣)

صورة (٤)

صورة (٥)

صورة (٦)

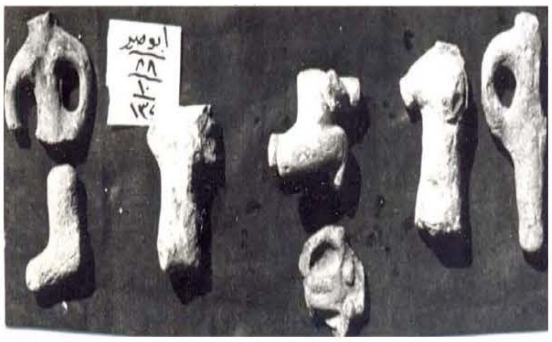

صورة (٧)

لوحة (١٠) مجموعة من التماثيل الحيوانية والطيور

صورة (١)

صورة (٢)

صورة (٣)

صورة (٤)

صورة (٥)

صورة (٦)

المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨)، ٥٥ ـ ٨٣

وَصَايَا بَنِي أُمَيَّة وبَنِي العَبَّاس إلى وُلَاةِ عَهْدِهِم
دِرَاسَةٌ مُقَارَنَة

يوسف عبد الحميد بن ناجي

تمْهِـــيد

لفت انتباه الباحثين في التاريخ الإسلامي مدى تأثير وصايا الحكام لخلفائهم في مستقبل الدول الإسلامية المتعاقبة، ولا سيما ما يخص أمور الحكم والإمارة لأمة مترامية الأطراف اخترت منها نموذجًا تمثل في مشاهير حكام الدولتين الأموية والعباسية دراسة مقارنة وسوف أعتني هنا بالدراسة النقدية التحليلية للوصايا الشهيرة لمشاهير الحكام الأمويين والعباسيين لإفادة الدراسات التاريخية التي تعنى بعوامل النجاح والفشل للأمم وأثر السلوك البشرى والإنساني للحكام في مستقبل الأمم، فضلًا عن القوة والضعف ومجابهة الأخطار التي تصادف هذه الأمة أو تلك.

وهل هناك تطور إيجابي للوصايا مع تطور الدول واتساعها أم هو تطور سلبي، كل ذلك سيتضح لنا من خلال هذه الدراسة.

بداية يمكننا التأكيد على حقائق تاريخية بدأت إرهاصاتها الأولى مبكرًا في المجتمع الإسلامي تمثلت في وصية جاءت من عم النبي ﷺ لقريش ـ وقت احتضاره ـ يوصيهم بابن أخيه على الرغم من عدم إعلانه اعتناق الإسلام:

فبعد أن ناداهم يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه، ثم عدد مآثرهم، ومجد مواقفهم ومكارمهم أخذ يوصيهم بمحمد ﷺ:

وإني أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وتوقع له ولدعوته كل النجاح والانتشار وذياع صيته في الآفاق(١) .

ثم في وصية ضمنية للرسول ﷺ لمن يخلفه في الصلاة اعتبرها المسلمون إشارة ـ غير واجبة ـ لإمكانية تولى أبى بكر الخلافة الإسلامية(٢) ، أو الاختيار الآخر : أنتم أعلم بأمور دنياكم .

ثم تأتى وصية أبى بكر الصديق ﷺ بولاية عمر بن الخطاب ﷺ للخلافة ، ويوصى عمر ستة من الصحابة يختارون من بينهم من يخلفه(٣) ربما كانت هذه الإرهاصات هي الأول لوصايا حكام المسلمين الأول لخلفائهم .

---

(١) مصطفى الشكعة : الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ، القاهرة ـ الأنجلو مصرية ١٩٨٦م ، ٢٠؛ خير الدين الزركلي : تراجم الأوائل والخلفاء (الأعلام الصفري) ، القاهرة - الهيئة المصرية للكتاب ٢٠١٤م، ٤٢.

(٢) النويري (أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٣٨م، ١٨: ٣٦٦- ٣٧١. معنى الخلافة : خلف فلان أي جاء بعده فصار مكانه ، وكان خليفته ، والخلافة هي الإمامة ، والإمارة ، والخلف : الظهر ، والجيل يأتي بعد الجيل . مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، القاهرة ـ وزارة التربية والتعليم ١٩٩٧م، ٢٠٨. هي نيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه أو لتشريف المستخلف وقد استخدم لفظ خليفة بمعنى الخلف أو الوريث كذلك استخدم بمعنى النائب ـ الوكيل ـ الممثل ويقال خلف فلان فلانا أي قام بالأمر عنه إما معه وإما بعده ومنه قول الله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف ـ آية ١٦٩] . ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ [الأعراف ـ آية ١٤٢] . وأبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية ، تعريب/ أحمد إدريس ، القاهرة ـ المختار الإسلامي ١٩٨٠م، ١١٤، ١١٥.

(٣) المسعودي (علي الحسين بن علي المسعودي) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ، ٢: ٣١٢.

المبحث الأول : وصايا بني أمية

اختلف الأمر في الدولة الأموية من أولها حيث ابتدع مؤسسها معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه وراثة الحكم في الأبناء وتبعه الكثيرون على النهج نفسه ، ماعدا حفيده معاوية بن يزيد .

وصية معاوية لابنه يزيد

تأتى وصية معاوية لولده يزيد لتكون البداية التي سار على هديها من خلفه (في الغالب) مع تطور الحركة التاريخية ، وتطور الأحداث ، واختلاف الناس عمن سبقوهم في الإسلام . مع ملاحظة أنها تحولت إلى ملكية وراثية[١] واتخذت طابعًا عائليًا تخص الأسرة المالكة السفيانية .

وفى وصية معاوية لابنه يزيد روايات متعددة أوردها الطبري وغيره بعضها تتحدث عن توجيهها مباشرة ليزيد في حضوره[٢] ، والبعض الآخر ذكر أن يزيدًا كان في مدينة حوران[٣] ، ونقلت إليه عند عودته لتولى الحكم ـ بعد وفاة أبيه ـ

---

(١) يرى ابن كثير (المتوفى ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) : أن الأفضل إطلاق لقب ملك على معاوية ولا يقال له خليفة إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين أبو الفدا : البداية والنهاية ، بيروت ـ دار الفكر ١٣٩٨هـ ، ٤/ ٨: ١٦، ١٧.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق/ أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ـ دار التراث العربي ١٣٨٦هـ/ ١٩٨٧م ، ٥: ٣٢٢؛ السجستاني أبو حاتم سهل بن محمد عثمان الجشمي (المتوفى ٢٤٨هـ) ، المعمرون والوصايا ، تحقيق/ عبد المنعم عامر ، ١٩٦١ م ، ٤٩؛ ابن الأثير (المتوفى ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام ، بيروت ـ دار الكتاب العربي ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ٣: ١١٩.

(٣) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع ومازالت بها منازل العرب وقصبتها : بصري ، وقد فتحت حوران قبل دمشق ونسب اليها قوم من أهل العلم . ياقوت بن عبد الله الحموي (المتوفى ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان ، ج ٢، بيروت ـ دار صادر ، ٢: ٣١٧.

أودعها معاوية عند رجلين من ثقاته هما : الضحاك بن قيس الفهري الذي كان مسؤولًا عن الشرطة[١] ، ومسلم بن عقبة المري[٢] وهو أحد رجال العرب اليمنيين المشهورين في بلاد الشام[٣] .

وعلى الرغم من اختلاف الروايتين إلا أنه يرجح عندي حدوثها شفهيًا في حضور يزيد ، وكتابيًا في غيابه ، ولا اختلاف هنا ، كل ما في الأمر أنه ربما زادت بعض الألفاظ أو استبدلت أو نقصت عند الرواة ، وعند النقل . وقد بنيت الترجيح على اتفاق الروايتين في الجزء الأخير لكل منهما ، والاختلاف في مقدمة الوصية يتعلق بحديث الوالد لولده . ونصه : «يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال ، ووطأت لك الأشياء ، وذللت لك الأعداء ، وأخضعت لك أعناق العرب ، وجمعت لك من جمع واحد» . أما ما تبقى من الوصية فهو يتفق في الروايتين من حيث المضمون ـ وإن اختلف بعض الشيء في الألفاظ ـ .

ويدور مضمون ما تبقى من الوصية حول تحذير لابنه يزيد من مجموعة المعارضة التي قامت بالفعل في وجهه نسوقها هنا أيضًا من رواية الطبري[٤] : «وانى

---

(١) هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي ، أبو أمية سيد بني فهر في عهده ، شهد فتح دمشق وشهد صفين بجانب معاوية الذي ولاه على الكوفة سنة ٥٣هـ ، ونقل إلى ولاية دمشق وهو الذي تولى الصلاة على معاوية يوم وفاته . فقد كانت له خصوصية عند معاوية الذي ولاه أيضا الشرطة ، وقتل في معركة مرج راهط سنة ٦٤هـ . ابن حجر (المتوفى ٨٥٢هـ) : الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ـ دار نهضة مصر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، ٣: ٢٤١ وما بعدها ؛ وخير الدين الزركلي ، الأعلام ، بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٨٩م ، ٣: ٢١٤، ٢١٥.

(٢) هو مسلم بن عقبة بن رباح المري أبو عقبة ، أحد القادة الدهاة في العصر الأموي ، صحابي شهد صفين مع معاوية ، ولاه يزيد بن معاوية قيادة الجيوش التي أرسلت للمدينة ومكة ، فأعمل السيف في المدينة وأسرف فيها ثم مات في طريقه إلى مكة . ابن خلكان أحمد محمد بن محمد أبي بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بيروت ـ دار الفكر ، ٢٧٦؛ الزركلي : الأعلام ٧: ٢٢٢.

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٢٢-٣٢٣.

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٢٣.

لست أخاف عليك من قريش إلا ثلاثة ـ في الرواية الأولى أربعة نفر ـ : حسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير زاد في الأولى : عبد الرحمن بن أبي بكر .

فأما ابن عمر فرجل قد وقذه الدين فليس ملتمسًا شيئًا قبلك ، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه . وإن له رحمًا ماسة وحقًا عظيمًا وقرابة من محمد ﷺ . ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان قدرت عليه فاصفح عنه ، فإني لو أنى صاحبه عفوت عنه ، وأما ابن الزبير فانه خب وضب فإذا شخص لك فالبدله إلا أن يلتمس منك صلحًا ، فإن فعل فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت»[1] .

يمكننا من هذه الوصية استخلاص مدى علم معاوية بالرجال مع توقعه لردود أفعالهم ، ومحاولة استشراف المستقبل من خلال معارفه ودراسته للتاريخ الذي كان حريصا على الإلمام بهم مظانه وأصحاب المعرفة التاريخية أمثال : عبيد بنشريه[2] ، وأمد بن أبد الحضرمي ، وكعب الأحبار ، وربما غيرهم[3] .

ويذكر د. مصطفى الشكعة[4] أن معاوية كان موصوفا بالدهاء ، موسوما بالحلم والحيلة ، يستطيع أن يتعامل مع جميع البشر ، وهو صاحب الجملة المأثورة : «لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، إنشدوها أرخيت وان أرخوها شددت» .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥: ٣٢٣، ٣٢٢

(٢) عبيد بن شريه الجرهمي يذكر عنه أنه عاش ثلاثمائة عام أدرك الإسلام فأسلم ، وكان يدخل على معاوية فيحدثه بأعجب الأمور والأحداث ، وما في بطن التاريخ من معارف ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤: ٤١٧.

(٣) محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٨م، ١: ١٧١، ١٧٢.

(٤) مصطفى الشكعة : الأدب ، ٢٤١.

وأخيرا ساعدني في ترجيح وتبني قضية حدوث الروايتين معا : مباشرة وشفهيا ليزيد ، وكتابيا أثناء غيابه ما جاء في رواية بن الأثير[١] حيث لاحظت أنه جمع بين نص الروايتين في رواية واحدة ، ولكنه ذكر : «فلما مرض المرض الذي مات فيه دعا ابنه يزيد فقال : يا بني» .

والملاحظ على الوصية هنا أنها أوجزت بشكل عام عظائم الأمور ، ويبدو كذلك أن مرض الموت قد ضيق الحديث لكن ظروفه الصحية قد فرضت عليه أن ينتهج نهجا طبيعيا بعيدا عن التكلف والحديث الموزون المقفى ، فقط ظهرت فيه السليقة والفطرة ، وكان الطابع العام لحديثه هو الإيجاز مع التركيز مباشرة على المطلوب المستهدف ، على الرغم من فصاحته وبلاغته المشهورة عنه .

كما أن ابن عبد البر[٢] قد أورد وصية أخرى لمعاوية قبيل وفاته مباشرة بنص آخر يوصى فيها ابنه يزيد فذكر ابن عبد البر : «أن معاوية قد أفاق حين وصل ابنه يزيد وأوصى إليه بقوله : يا بني إني صحبت رسول الله ﷺ ، فخرج لحاجة فاتبعته بإداوة ، فكساني أحد ثوبيه الذى كان على جلده فخبأته لهذا اليوم ، وأخذ رسول الله ﷺ من أظفاره وشعره ذات يوم ، فإذا أنا مت ، فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلى جلدي ، وخذ ذلك الشعر والأظافر فاجعله في فمي ، وعلى عيني ، ومواضع السجود منى ، فإن نفع شيء فذاك وإلا فإن الله غفور رحيم» .

وفى هذه الرواية ما يؤكد على وجود يزيد أثناء موت والده ووصية والده له مباشرة ، وربما يكون قد كتب الأولى ظنًا منه لقاء ربه قبل وصول ولده الذي وصل بالفعل ، وأفاق في حضوره ، وهو ما دفعني إلى ترجيح حدوث الأمرين شفاهًا في حضور ولده ، وكتابة في غيابه .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١١٩.

(٢) ابن عبد البر (المتوفى ٤٦٣هـ) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ومعه كتاب الإصابة ، القاهرة ـ مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ ، ٣: ٤٠٠ ، ٣٩٩.

كما يؤخذ أيضًا من رواية هذه الوصية مدى حرص معاوية وطمعه في مغفرة ربه وشفاعة المصطفى ﷺ. أما مسألة التبرك بموروثات الرسول ﷺ فنضرب الصفح عنها لتعلقها بمسائل عقائدية لأهل التخصص فيها.

وهناك روايات أخرى لوصية معاوية إلى ولده يزيد بها زيادة، أو نقصان أتعرض هنا لإحداها أوردها المبرد[1] الذى زاد حوارًا بين معاوية وابنه ربما لا يتقبله العقل والمنطق، وما عدا ذلك فقد نقله أغلب المؤرخين وهنا أشير فقط إلى النص الزائد مع التوضيح فيما بين الأقواس:

لما ثقل معاوية بعث إلى يزيد وهو في ضياعه، فأتاه غلام يقال له عجلان، فأخبره بثقل أبيه، فأقبل وقد قال في ذلك شعرًا:

جاء البريد بقرطاس يخب به   فأوجس القلب من قرطاسه جزعًا

إلى آخر الأبيات.

وإلى هنا نلاحظ أن هذا الجزء حتى نهاية شعر يزيد قد أورده المؤرخون ما عدا جملة اعتراضية: ـ وهو في ضياعه ـ التي تفرد بها المبرد، بينما الذى أورده المؤرخون: «وهو بحوران أو بحورين»، والتفرد الآخر للمبرد هنا قوله: «فأتاه غلام يقال له عجلان» وكلا الزيادتين ليس فيهما شيء كثير الأهمية.

«إلا أن ما ينبغي التعرض له في هذه الوصية ما جاء في مقدمتها الطويلة قال: فلما دخل يزيد على معاوية خلابه وأخرج عنه أهل بيته وقال: يا بنى قد جاء أمر الله، وهذا أوان هلاكي، ما أنت صانع بهذه الأمة بعدي؟ فمن أجلك آثرت الدنيا على الآخرة، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بنى أبيك، قال يزيد: آخذهم

---

(1) المبرد (محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، المتوفى ٢٨٥هـ): التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، تحقيق/ إبراهيم محمد حسن الجمل، القاهرة ـ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨، ١٤٠.

بكتاب الله وسنة رسوله وأقتلهم عليه . قال : أو تسير بسيرة أبى بكر الذى قاتل أهل الردة ومضى والأمة عنه راضون؟ قال: لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه ، آخذهم به وأقتلهم عليه . قال : أولا تسير بسيرة عمر الذى مصر الأمصار وجند الأجناد ، وفرض الأعطية ، وجبى الفيء ، وقاتل العدو ، ومضى والأمة عنه راضون ؟ قال: لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام ، آخذهم به وأقتلهم عليه . قال : أولا تسير بسيرة عمك عثمان بن عفان الذى أكل في حياته ، وورث في مماته ، واحتمل الوزر على ظهره ؟ قال : لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه ، آخذهم به وأقتلهم عليه . قال : يا يزيد ، انقطع منك الرجاء وأظنك ستخالف هؤلاء جميعًا فتقتل خيار قومك وتغزو حرم ربك بأشابات الناس فتطعمهم لحومهم بغير الحق فتدركك ميتة فجاءة ، فلا دنيا أصبت ، ولا آخرة أدركت . يا يزيد أما إذا لم تصب الرشد فإني قد وطّأت لك الأمور ....»[1] .

وباقي الوصية هو ما اجتمع عليه أغلب المؤرخين وأوردوه بصور شتى .

ونعود هنا إلى الجزء الزائد من رواية المبرد فقد تجمعت مجموعة ملاحظات عليه تؤدى في النهاية إلى نتيجة اجتهادية وهي : أنه جزء مختلق قد تم دسه على معاوية تقولّه عليه من اختلف معه أو اختلف عليه ، والأسباب عندي لهذا الترجيح هي :

أولًا : إذا كان معاوية قد خلابه ـ بابنه وأخرج عنه أهل بيته ـ كما تقول الرواية ـ فمن الذي روى عنهما وقد مات معاوية فلم يتبق سوى يزيد ، والعقل والمنطق ينفي كون يزيد يروى رواية فيها ما يعاب على والده باعترافه ، وفيها ما يعاب عليه هو شخصيًا وينقص من قدره بهذه الشكل أمام أهله ورعيته .

ثانيًا : لا يستقر في الاعتقاد أن صحابيا صحب رسول الله ﷺ واستأمنه على

(١) المبرد : التعازي ، ١٣٩، ١٣٨.

كتابة ما جاء به الوحي ثم يسير بمقولة اعترافيه منه تخرجه عن الإيمان والعمل لله إلى العمل من أجل ابنه وأسرته .

في مقولة : «فمن أجلك أثرت الدنيا على الآخرة ، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بني أبيك» ، وإني لأربأ بذكر ذلك أو أقر بأن صحابيا يعيش ذلك فضلا عن قوله .

ثالثًا : لا يقبل العقل أن صحابيًا ـ معاوية ـ يتحدث عن صحابي ـ عثمان بن عفان ـ هو خاله أسند إليه حكم الشام بهذه الصورة ، ويحكم عليه بما يشينه في قوله عنه : «الذي أكل في حياته ، وورث في مماته ، واحتمل الوزر على ظهره» .

رابعًا : أن يزيدًا لم يجب بشيء يشينه دينيًا حتى يبادره أبوه بالهجوم الحاد عليه على هذا النحو ، ويقطع فيه رجاءه ، ويظن به الظنون في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله .

خامسًا : لا يعقل أن يذكر معاوية الثلاثة الخلفاء الأول ﷺ ثم يغفل ذكر الرابع ـ علي بن أبي طالب ـ .

سادسًا : أن معاوية وهو على فراش الموت لا يمكن أن يطول به الحديث بهذا الشكل ، وإنما اتفق عليه المؤرخون مما أوردناه لهو الأقرب للإثبات ـ وهو ما قدمناه من قبل ـ . وعليه فإن الذي يمكن ترجيحه أن معاوية وهو على فراش الموت قد اختصر لخليفته ما اجتهد عليه طوال حياته من تثبيت دعائم الملك وما نجح فيه ليقتدي ولده به محافظًا على هذا الكيان العظيم الذى ورثه هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أوصاه بكيفية التعامل مع محكوميه ولاسيما خصومه الذين توقعهم إزاء ما ظهر منهم من علامات ، وأوصاه بحنكة التعامل معهم ما عدا عبد الله بن الزبير الذى أوصاه بالشدة فى التعامل معه إذا اقتضى الأمر ذلك ، والحذر إذا جنح للسلم والتزم البيعة دون الثورة على الحكم .

وصية معاوية بن يزيد بن معاوية

أوردت هنا وصية معاوية بن يزيد ربما لتفردها واختلافه عن أبيه وجده، وكذلك عمن أتوا بعده ـ ما عدا عمر بن عبد العزيز ـ فقد تولى الحكم شابا في أوائل العشرينات من عمره ولقى ربه وهو ابن اثنتين وعشرين عاما، ولم يطل به المقام سوى أربعين يوما على اختلاف في عددها.

إلا انه عندما حضرته الوفاة اجتمع عليه بنو أمية يطلبون منه العهد لمن يخلفه من أهل بيته أي يعلن وصيته، فقال: «والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقلد وزرها؟ وتتعجلون أنتم حلاوتها وأتعجل مرارتها، اللهم إني بريئ منها متخل عنها، اللهم إني لا أجد نفرا كأهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون لها من يرونه أهلا لها»[1].

وتروى قصة اعتزاله بطرق أخرى منها[2]: أنه جمع الناس وخطب فيهم قائلا: «أما بعد فإني ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلف أبو بكر فلم أجد، فأنتم أولى بأمركم فاختاروا والله من أحببتم، وأوصى بأن يصلي الوليد بن عتبة أو الضحاك بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة ودخل منزله حتى مات بعد أيام».

ويبدو أن في موته اختلاف بين المؤرخين فمنهم من رأى أنه سقى شرابا مسموما، أو أنه طعن، وعلى الأرجح أنه مات حتف أنفه.

---

(١) المسعودي علي بن الحسين بن علي (المتوفى ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت ـ المكتبة العصرية ١٩٨٣، ٣: ٨٢.

(٢) ابن كثير: أبو الفدا (المتوفى ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، بيروت ـ مكتبة المعارف ١٩٩٠م، ٧: ٢٣٧، ٢٣٨؛ الزركلي، الأعلام، ٧: ٢٦٣.

وبموته زال الحكم عن أل حرب (أل معاوية) وانتقل إلى البيت المرواني[1].

وصية عبد الملك بن مروان لابنه الوليد

يمكننا ملاحظة الاتفاق الذي جمع بين ولاة بني أمية ـ في الغالب ـ. عندما تكون وصيتهم لأبنائهم على أقاربهم، وتحذيرهم من بعض المعارضين ويظهر بين الثنايا مدى حرص بنى أمية على استمرارية ملكهم في بيتهم ـ ما عدا عمر بن عبد العزيز ـ وتتمحور الوصية حول هذا الجزئية.

ففي وصية عبد الملك ـ عندما شعر بقرب منيته ـ يبدو ذلك واضحًا إذ دخل عليه الوليد ابنه باكيًا تألمًا على أبيه الذي نهره، واحتد عليه قائلًا: «ما هذا؟ أتحن حنين الجارية والأمة ...!» ثم يبادره سريعًا بما يجب عليه فعله: «إذا أنا مت فشمر واتزر وألبس جلد النمر، وضع الأمور عند أقرانها، واحذر قريشًا، ثم قال له: يا وليد اتق الله فيما أستخلفك فيه، واحفظ وصيتي». ثم اتجه يوصيه بأهله وعشيرته قائلًا: «وانظر إلى أخي معاوية فصل رحمه واحفظني فيه، وانظر إلى أخي محمد فأمره على الجزيرة ولا تعزله منها، وانظر إلى ابن عمنا علي بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته ونصيحته وله نسب وحق، فصل رحمه واعرف حقه» ثم بادره بالشأن العام، وشؤون الحكم قائلًا: «وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذى مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلّص لكم الملك وشتّت الخوارج، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة، وكونوا في الحرب أحرارًا، وللمعروف منارًا، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها، وإن المعروف يشّيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالمحبة، ويذلل الألسنة بالذكر الجميل، ولله در القائل: إن الأمور إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش مفند عزت فلم تكسر وإن هي

---

[1] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣: ٨٢، ٨٣.

بددت فالكسر والتوهين للمتبدد ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك ، فمن أبي فالسيف ، وعليك بالإحسان إلى أخواتك فأكرمهن وأحبهن إليّ فاطمة ـ وكان قد أعطاها قرطي مارية والدرة اليتيمة ـ ثم قال : اللهم احفظني فيها»[١] .

وتكمل الملاحظة هنا بكثرة العناية ـ في الوصية ـ بالأهل والأبناء والأخوات ، واستمرارية الحكم في دارهم وهذا هو الأهم عندهم ـ عند بنى أمية ـ مع بعض الإشارة إلى التقوى والالتزام والجدية . هذه هي الرواية التي نجدها عند ابن كثير وقد أوردتها أولًا نظرًا لأني وجدتها الأكثر تفصيلًا ، وربما الأكثر دقه ووضوحًا ، أما رواية ابن الأثير[٢] فقد وجدتها مختصرة بعض الشيء ، وألاحظ عليها روايتها بالمعنى والمضمون ، دون النص حيث أجملت ما جاء في رواية ابن كثير ولم تخرج عنها ، وليس فيها زيادة ملموسة ـ هذا على الرغم من أن ابن الأثير متقدم على ابن كثير بنحو مائة وأربعين عامًا .

وهناك رواية ثالثة اختلفت عن رواية ابن الأثير وابن كثير في بدايتها بعظة دينية لبنيه بعامتهم حين حضرته الوفاة أوردها لنا المبرد وأذكر هنا مقدمتها :

«أوصيكم بتقوى الله ، فإنَّها عِصْمة باقية ، وجُنَّة واقية ، والتقوى خير ذاد ، وأفضل في المعاد ، وأحصن كهف ، وأزْيَن حِلْية ، ليعطف الكبير منكم على الصَّغير ، وليعرف الصَّغير منكم حقَّ الكبير ، مع سَلَامة الصَّدور ، والأخذ بجميل الأمور ، فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خلقاء وهابتكم الأعداء وإياكم والتباغي فإن بها هلك الملوك الماضون ، وذوو العز المتكبرون» كما أورد لنا المبرد كذلك قصة دعوته لخالد وعبد الله ـ ابني يزيد بن معاوية ـ في معرض روايته لوصية عبد الملك الذي عرض عليهما قائلا : «ما تقولان» ، أأقيلكما بيعة الوليد ؟ قالا : معاذ الله يا

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩: ١٨٣، ١٨١.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣: ٢٣٢.

أمير المؤمنين، قال: لو قلتما غير ذلك لقتلتكما على حالي هذه، قوما. فقاما فخرجا[١].

وصية سليمان بن عبد الملك قبل وفاته

وهذه الوصية أوردتها هنا لاختلافها عن سابقها ولاحقيها حيث اجتمعت الظروف والملابسات التي جعلت الأمر مختلفًا فيها نظرًا لغياب الابن الأكبر لسليمان ـ داود ـ عند القسطنطينية وصغر سن الابن الآخر الذى لم يكن قد بلغ الحلم عندما احتضر سليمان وقربت منيته، ولذلك اضطر سليمان لمشاورة وزير بني أمية المخلص لهم: رجاء بن حيوة[٢] الذى نصح باستبعاد الغائب حيث لم يعلم حياته من مماته، واستبعاد الطفل، فسأل سليمان وزيره رجاء: «فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز» فقال: «أعلمه والله خيّرًا فاضلًا مسلمًا يحب الخير وأهله، ولكنى أتخوف عليه إخوتك أن لا يرضوا بذلك» فقال سليمان: «هو والله على ذلك»، وأشار البعض على سليمان بأن يجعل أخاه يزيد بن عبد الملك[٣] وليًا للعهد يتولي بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بذلك بنو أمية، فكان الأمر كذلك وأمرهم

---

(١) المبرد: التعازي (والمراثى والمواعظ والوصايا)، ١٤٦.

(٢) رجاء بن حيوة: أبو المقدام رجاء بن حيوة بن جرول الكندي، وهو أحد العلماء الثقاة الذين جالسوا حكام بني أمية وأمرائهم وكانت لهم نصائح مع عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز الذي كان يجالسه كثيرا نظرا لعلمه وفضله، اشتهر باحمرار رأسه وذو لحية بيضاء، توفي رحمه الله في سنة اثنتي عشرة ومائة هجرية. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢: ٣٠١، ٣٠٣.

(٣) هو أبو خالد المولود في دمشق، وتولى الحكم بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنه ١٠١هـ اشتهر بالمروءة مع إفراط في الملذات، حتى يقال أنه مات حزنًا على جارية له اسمها ـ حبابة ـ التي كان لها أمر نافذ في ملكه، وكانت مدة ولايته أربعة سنين وشهرًا على الرغم من أمره لمساعديه (حين توليه الحكم) بأن سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز، ولكنهم أتوه بأربعين شيخا شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب. المسعودي: مروج الذهب، ٣: ٢٠٦ وما بعدها؛ الزركلي: الأعلام، ٨: ١٨٥.

بالسمع والطاعة: «فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم عدوكم»[(١)].

ورواية ابن خلدون لا تختلف كثيرًا عما سبق، ولكنها تحوي بعض التفصيلات والإضافات، وفيها رفض هشام بن عبد الملك تنفيذ الوصية فهدده رجاء بن حيوة بقطع رقبته، مما اضطره إلى المبايعة والرضوخ لوصية أخيه سليمان[(٢)].

وصية عمر بن عبدالعزيز

اختلفت وصية عمر بن عبد العزيز ﷺ الذي كان (فيما يروي عنه) وفيما قرأت زاهدًا في الدنيا ومباهجها ومتعها، وقد أجبر على تولى شؤون الحكم وإمارة المسلمين، فعندما علم بأمر مولى من مواليه وضع له السم استدعاه وعرف منه تقاضيه ألف دينار نظير فعلته الشنعاء فاستردها منه ووضعها في بيت المال، ثم أمره بالهروب قبل أن يفتك به الناس.

واقترح عليه مرافقوه بأن يوصي لأبنائه الاثنا عشر بشيء نظرًا لفقرهم فقال: «إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين» والله لا أعطيهم، وهم بين رجلين: إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه، ثم استدعى أولاده فودعهم وعزاهم، وأوصاهم داعيًا لهم بالخير[(٣)].

ودخل مسلمة بن عبد الملك علي عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه فأوصاه عمر أن يحضر موته وأن يلي غسله وتكفينه وأن يمشي معه إلى قبره وأن يكون ممن يلي إدخاله في لحده، ثم نظر إليه وقال: انظر يا مسلمة بأي منزل

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، ٣: ١٩٣؛ ابن كثير البداية والنهاية، ٩: ٢٠٠.

(٢) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة: بيروت ـ دار الفكر ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٣: ٩٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢: ٧١٤.

تتركني وعلى أي حال أسلمتني الدنيا ، فقال له مسلمة : فأوص يا أمير المؤمنين . قال : مالي من مال فأوصي فيه ، قال مسلمة هذه مائة ألف دينار فأوص فيها بما أحببت ، قال : أو خير من ذلك يا مسلمة ؟ أن تردها من حيث أخذتها قال مسلمة جزاك الله عنا خيرا يا أمير المؤمنين والله لقد ألنت لنا قلوبا قاسية ، وجعلت لنا ذكرا في الصالحين[1] .

كما أراد مستشاروه أن يكتب وصيته إلى يزيد بن عبد الملك[2] الذي سيخلفه (حسب وصية سليمان) فتردد مجيبًا : بماذا أوصيه ؟ إنه من بني عبد الملك : ثم كتب بعد تردد : «أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ، ولا تقدر على الرجعة ، إنك تترك ما أترك لمن لا يحمدك وتصير إلى من لا يعذرك والسلام»[3] .

وهذه الوصية مع إيجازها الشديد إلا أنها فقط للتذكرة بالاستقامة في معاملة الناس كل الناس وعلاقته بربه ، والأخذ من دنياه لآخرته ، ولم يوص بشيء خاص بالأهل والعشيرة كما فعل سابقوه ومن جاؤا بعده فهو أمر لا يهم عمر بن عبد العزيز بقدر ما يهمه أمر المسلمين بعامة .

ومن وصاياه ﷺ لابنه عبد العزيز ما يرويه الأخير عن أبيه ـ عمر بن عبد العزيز ـ : «قال لي أبي : يا بنى إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملًا من الخير»[4] .

---

(١) ابن عبد الحكم (عبد الله أبي محمد ، المتوفى ٢١٤هـ) : سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن انس وأصحابه ، دمشق ـ مكتبة وهبة ١٩٥٤م ، ١٠٥.

(٢) تولي يزيد الحكم يوم وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ ، ويكنى أبا خالد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وقد توفي بإربد من أرض البلقاء سنة ١٠٥هـ وهو ابن ٣٧ سنة حيث ظلت ولايته أربع سنين وشهر ويومين. المسعودي : مروج الذهب ، ٣: ٢٠٦.

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ١٠٣؛ ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، ٣: ٩٦.

(٤) وائل حافظ خلف : وصايا الآباء للأبناء ، الإسكندرية ـ دار جنا بدون تاريخ ، ٤٧.

المبحث الثاني: وصايا بني العباس لخلفائهم

وصية أبو جعفر المنصور للمهدى

وهنا تظهر لنا عندما نستعرض وصايا بني العباس مدى ما وصلت إليه البلاد الإسلامية من تقدم وعمار واتساع، وتتضح لنا الفروق جلية، والاختلافات الجوهرية حيث دخلت عناصر جديدة من أمم شتى، وكثرت التعاملات، بل وزادت خبرات المسلمين وقادتهم.

وقبل استعراض الوصية الكبرى الشاملة من أبو جعفر المنصور لولده المهدى ينبغي الإشارة أولًا: إلى وصيته لعامة المسلمين التي يوصيهم فيها بولي عهده - المهدى - فيما يسوقه المؤرخ المتخصص في تاريخ الأمم والملوك - ابن الجوزي -[1] حيث يروي لنا اجتماع المنصور مع بني هاشم وشيعته، وأهل خراسان وعامة الناس يوم احتضاره وبكاء الناس وبكائه، وإلقاء قرطاس الوصية من يده، ثم التقاطه وقراءته على الناس: «أما بعد، فإني كتبت كتابي هذا وأنا في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وأن أقرأ عليكم السلام، وأسأل الله أن لا يفتنكم ولا يلبسكم شيعًا، ولا يذيق بعضكم بأس بعض، يا بني هاشم ويا أهل خراسان، ثم أخذ في وصيتهم بالمهدى وإذكارهم البيعة له وحضهم على القيام بدولته والوفاء بعهده» يلاحظ في هذه الرواية عنايته باستتباب أمر الملك وثباته عند ولي عهده ولده المهدي، وعدم تفرق الناس أو اختلافهم بل دعاهم إلى التزامهم بالعهد والمبايعة له مؤكدًا عليهم عدم الفرقة فيما بينهم، وبين خليفته، وفى تعاملهم، وحرص على وصيتهم بأن يكونوا رحماء بينهم في قوله: «ولا يذيق

---

(1) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا واخر، بيروت - دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ/ ١٩٩٢م، ٨: ٢٠٧.

بعضكم بأس بعض» ويعد هذا الحديث حديثًا عامًا وروتينيًا حرص عليه السابقون واللاحقون ـ في الغالب ـ.

أما وصية المنصور للمهدي فكان فيها التطور، واتساع أمر السلطة والحكم واحتياج الناس والزمن إلى تفاصيل أخرى وخبرات تراكمت عبر السنوات والعقود الفائتة، ونلاحظ فيها بعض ما يستغرب منه، ويثير الجدل والشك فقد جاءت الوصايا عند وداع المنصور للمهدي في رحلته للحج فى آخر لقاء جمع بينهما. ابتدأها وذكره بأنه ـ المنصور ـ لم يترك شيئًا إلا جهزه وجمعه لولده، وأنه سوف يوصيه بأشياء خصال وأغلب ظنه أنه لن يفعل واحدة منها، وأنه جمع وجهز له مجموعة من الدفاتر اشتملت على علم أبيه[1] وعلم أبائه لما حدث من قبل وما سيحدث إلى يوم القيامة[2].

ونتوقف هنا للتحليل في الجزئية الأولى: «وسأوصيك بخصال وما أظنك تفعل واحدة منها» فكيف يستقيم لأمير المؤمنين المحنك الذي عركته الحياة أن يعتني أشد العناية بتثبيت أركان الحكم لولده ويوصي الأمة الإسلامية بضرورة الالتزام بعهده

---

(١) يذكر عن أبي جعفر المنصور أنه أول من عني بالعلوم من ملوك العرب، فمع براعته في الفقه كان كذلك متقدما في الفلسفة وعلم صناعة النجوم، وعنايته بها وبعلمائها، وفي عهده بدأ العرب يطلبون علوم الفرس واليونانيين مع ترجمتها إلى العربية، وتم في عهده صناعة أول إسطرلاب في الإسلام، وكان بعيدا عن اللهو والعبث، كثير الجد وإعمال العقل في شتى الأمور، وأبو جعفر المنصور هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباسي بن عبد المطلب الذي ولد في ذي الحجة سنة ٩٥هـ لأم ولد يقال لها: سلامة بربرية، وبويع بالخلافة بطريق مكة يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وهو ابن إحدى وأربعين سنة، واستمر في ولايته اثنتين وعشرين سنة حتى وفاته في السادس من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة عند وصوله إلى مكة للحج ودفن بها. المسعودي: مروج الذهب، ٣: ٢٩٤؛ الزركلي: تراجم الأوائل والخلفاء، ١٧١-١٧٢.

(٢) السجستاني (سهل بن عثمان الجشمي أبو حاتم المتوفى ٢٤٨هـ): المعمرون والوصايا، تحقيق/ عبد المنعم عامر، ١٩٦١م، ٤٩.

وولائه، ثم يوصي هذا الابن، وهو يظن أنه لن يستجيب ولن يفعل ما أوصى به والده؟. الأمر الذى يبدو للمحلل والقارئ بأنه أشبه بالعبث لا طائل من ورائه ولكنى أرجح أن الأمر ليس بهذا المفهوم الذى يتبادر إليه الذهن، إنما أراد أن يشدد على ابنه بأن لا يأخذ بهواه ولا يعتمد على انفعالاته في اتخاذ القرار ويبتعد عن سلوك آبائه، وأن لا ينسى وصايا أبيه الذى قال له في كل مرة ـ غالبًا ـ «ولا أظنك تفعل»، ربما زيادة في التذكير، والتحذير من مغبة عصيان وصايا والده فيتذكر في كل مرة فيها إذا خالف الوصايا ليعود إلى رشده قائلا في نفسه حتى أكون عند حسن ظن والدي مطيعا له بدلا من أن يكون عند سوء ظن والده به.

والنقطة الأخرى عندما أتى له المنصور بسفط[1] (صندوق) فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره ثم قال للمهدي: «انظرإلى هذا السفط فاحتفظ به فإن فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة». وهذه المقولة تحوي جزء خاص بالتاريخ (ما كان) وليس فيه إشكالية فقد تحتوي الدفاتر على بعض العلوم السابقة وأخبار الأولين والسابقين والآباء ولا ضير في ذلك. إنما الإشكالية في الإشارة إلى المستقبل وأن الدفاتر تحتوي على: «ما هو كائن إلى يوم القيامة»[2] وكأن فيها الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه.

إلا أن الأرجح عندي هو أن الدفاتر قد حوت أحاديث وإشارات الكتب السماوية ومرويات تاريخية عن الأنبياء والرسل تحدثوا فيها عن الأمم التالية والأمور المستقبلية ـ كما كان يذكر المصطفى ﷺ لأصحابه ـ.

بالإضافة إلى حديث الكتب السماوية وأقوال الرسل والأنبياء عن يوم القيامة وأحداثها وكيفيتها، والثواب والعقاب والجنة والنار، ومثل ذلك، بالإضافة إلى

---

(١) يذكر المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، ٣١٣: السفط هو الوعاء الذي يوضع فيه الطيب ونحوه من أدوات النساء، وهو وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء وجمعه أسفاط.

(٢) السجستاني: المعمرون والوصايا، ٤٩.

الحكماء والعلماء في حركة التاريخ، والمسلمات الكونية التي نظمها رب العالمين للكون.

وثمة قضية هنا تحتاج إلى دراسة ومقارنة وتحليل فيلاحظ في العصر الأموي ما نلاحظه في العباسي من حرص الولاة على الوصية بالأهل: «وأوصيك بأهل بيتك وأن تظهر كرامتهم وتحسن إليهم» وهى سمة مشتركة، وإنما يظهر الخلاف بين العصرين في الوصية لغير الأهل حيث حرص الأمويون على الوصية بأهل الشام والجنس العربي من ذلك قول معاوية ليزيد: «فانظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهد من غاب عنك منهم، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك وإذا أصبت بهم عدوك فأردد إلى بلادهم»[1] بينما في العصر العباسي نجد العناية والوصية بالفرس ولاسيما أهل خراسان لأنهم شيعة العباسيين الذين بذلوا الأموال والدماء وهذا واضح في قول المنصور: «وأوصيك بأهل خرسان خيرًا فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودمائهم في دولتك وأن لا تخرج محبتك من قلوبهم، وأن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم، وتخلف من مات منهم في أهله وولده وما أظنك تفعل».

وثمة اختلاف آخر بين العصرين وهو تمسك الأمويين بعاصمتهم ـ دمشق ـ[2]، بينما وصية المنصور أن لا يترك ولده مدينته ـ بغداد ـ[3] محذرًا من تركها إلى

---

(١) السجستاني: المعمرون والوصايا، ٤٩.

(٢) دمشق: يذكرها ياقوت الحموي بأنها جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارتها وكثرة الفاكهة بها والمياه، وسميت كذلك لأنهم دمشقوا أي أسرعوا في بنائها، وبها حدث الخلاف بين هابيل وقابيل وربما سكنها نوح. معجم البلدان، ٢: ٤٦٣ وما بعدها. وهي قصبة بلاد الشام فتحها خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وأبو عبيدة بن الجراح سنة ١٤هـ، وتاريخ صلحها بيد خالد في شهر ربيع الآخر سنة ١٥هـ. والبلاذري أحمد بن يحيي: فتوح البلدان، تحقيق/ عبد الله وعمر أنيس الطباع، بيروت ـ مؤسسة المعارف، ١٩٨٧م، ١٦٥ وما بعدها.

(٣) بغداد: يذكرها ياقوت الحموي بأنها أم الدنيا وسيدة البلاد، سماها المنصور مدينة السلام =

غيرها قائلًا له :

«وإياك أن تبني مدينة الشرقية فإنك لا تتم بناءها وأظنك ستفعل»[١] .

وقوله : «فانظر هذه المدينة وإياك أن تستبدل بها غيرها ، وقد جمعت فيها من الأموال[٢]» .

الملاحظ أيضًا في تطور الوصايا واختلافها عند العباسيين عن الأمويين في اشتمالها عند المنصور على أبواب كثيرة تخص الأهل وكيفية التعامل معهم ، وأخذ الحيطة والحذر من حراسهم ومساعديه وإعداد الجيش وتجهيزه الدائم ، وإعداد ومتابعة الثغور وشحنها بالرجال والعتاد ، كما أوصاه بفن إدارة الوقت وعدم تأجيل الأمور ، ومباشرتها بنفسه حرصًا على الأمان ، وتسهيل دخول الناس عليه أو السهر على مصالحهم ، وحذره من النوم والغفلة ، كما أوصاه باتخاذ عنصر المخابرات ويقظتها وضرورة متابعة الأحوال بعضهم يعملون نهارًا ، والبعض الآخر ليلًا .

وهذه تفصيلات حرص المنصور على توصية المهدى بها لم تكن معروفة أو متداولة من قبل على حسب علمي .

وها هو نص الوصية كاملًا كما جاء عند ابن خلدون :[٣]

رواية أخرى لوصية أبو جعفر المنصوري للمهدي

كان قد أوصى المهدي عند وداعه للحج ، وهكذا كان آخر لقاء بينهما فقال : «لم أدع شيئا إلا تقدّمت إليك فيه وسأوصيك بخصال وما أظنك تفعل واحدة

= فوسعها وجهزها لانتقاله إليها من العاصمة الأولى (الهاشمية) فخط البناء وقدر المدينة ، بل وضع أول لبنة فيها بيده ، وعدّد ياقوت مميزاتها الفريدة مناخا وموقعا استراتيجيا وتجاريا ... إلخ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١: ٤٥٦، ٤٦٠.

(١) السجستاني : المعمرون والوصايا ، ٤٩.

(٢) ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، ٣: ٢٥٦.

(٣) ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، ٣: ٢٥٦.

منها ، وله سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره ، فقال للمهدي : انظر إلى هذا السفط فاحتفظ به فإنّ فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، فإن أحزنك أمر فانظر في الدفتر الكبير ، فإن أصبت فيه ما تريد وإلّا ففي الثاني والثالث حتى تبلغ سبعة . فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فإنك واجد ما تريد فيها وما أظنك تفعل . فانظر هذه المدينة وإياك أن تستبدل بها غيرها ، وقد جمعت فيها من الأموال ما أنكر عليك الخراج عشر سنين كفاك لأرزاق الجند والنفقات والذريّة ومصلحة البيوت . فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا وما أظنك تفعل . وأوصيك بأهل بيتك وأن تظهر كرامتهم وتحسن إليهم وتقدّمهم وتوطئ الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فإنّ عزّك عزّهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل . وأوصيك بأهل خراسان خيرا فإنّهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم في دولتك وألا تخرج محبتك من قلوبهم ، وأن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم ، وتخلف من مات منهم في أهله وولده وما أظنك تفعل . وإياك أن تبني مدينة الشرقيّة فإنك لا تتمّ بناءها وأظنك ستفعل . وإياك أن تستعين برجل من بني سليم وأظنك ستفعل . وإياك أن تدخل النساء في أمرك وأظنك ستفعل . وقيل قال له : إني ولدت في ذي الحجة ووليّت في ذي الحجة وقد يحس في نفسي أن أموت في ذي الحجة في هذه السنة ، وإنما حدّ لي الحج على ذلك . فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجا ومخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب .

يا بني احفظ محمدا ﷺ في أمّته يحفظك الله ويحفظ عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحدود فإنّ فيها صلاحك في الآجل وصلاحك في العاجل ، ولا تعتد فيها فتبور ، فإنّ الله تعالى لو علم أنّ شيئا أصلح منها لدينه وأزجر عن معاصيه لأمر به في كتابه . واعلم

أنّ من شدّة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادا مع ما ادّخر له من العذاب الأليم فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾. فالسلطان يا بني حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه المقيم فاحفظه وحصّنه وذبّ عنه، وأوقع بالملحدين اقمع المارقين منه، وقابل الخارجين عنه بالعقاب، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن. واحكم بالعدل ولا تشطط فإنّ ذلك أقطع للشعث وأحسم للعدوّ وأنجع في الدواء، واعف عن الفيء فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك وافتتح بصلة الرحم وبرّ القرابة وإياك والأثرة والتبديد لأموال الرعيّة واشحن الثغور واضبط الأطراف وأمّن السبيل وسكن العامة، وأدخل المرافق عليهم وارفع المكاره عنهم وأعدّ الأموال واخزنها، وإياك والتبديد فإنّ النوائب غير مأمونة وهي من شيم الزمان. وأعدّ الأكراع والرجال والجند ما استطعت. وإياك وتأخير عمل اليوم لغد فتتداول الأمور وتضيع، وخذ في أحكام الأمور والنازلات في أوقاتها أوّلا أوّلا، واجتهد وشمّر فيها وأعدّ رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل. وباشر الأمور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل، واستعمل حسن الظنّ وأسئ الظنّ بعملك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقظ وتفقّد من يبيت على بابك وسهّل إذنك للناس وانظر في أمر النزاع إليك وكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير ساهية. ولا تنم فإنّ أباك لم ينم منذ ولي الخلافة ولا دخل عينه الغمض إلا وقلبه مستيقظ. هذه وصيتي إليك والله خليفتي عليك.

وقد أتيت بالنص الأخير ـ عند ابن خلدون ـ للتأكيد ولأنه أكثر وضوحا على الرغم من عدم اختلافه مع النص السابق الذي عليه التحليل.

وصية المأمون[١] للمعتصم[٢]

ربما جاءت وصية المأمون دون تفصيلات كثيرة ولا نصائح متعددة ، ولكنها تركزت فيما هو مقدم عليه من تركه لمتاع الدنيا ورهبة الآخرة بما فيها من ثواب وعقاب ونهاية المطاف ، فظهرت في وصيته أمور العقيدة ، واعترافه بذنبه مع طمعه في الغفران ، وانتظار عفو ربه ورحمته ، وأضطر هنا إلى الاعتماد على ثلاثة مصادر الأولى : لابن كثير[٣] التي أجمل فيها حديثه عن الوصية دون نص منقول وفيه يذكر : أن المأمون أوصى أخوه المعتصم بتقوى الله والرفق بالرعية ، وعليه أن يعتقد بما اعتقد هو به في القران ، وأن يدعو الناس إلى ذلك ، ثم أوصاه بعبد الله بن طاهر ، وآخرين ، وحذره من يحيى بن أكثم وعدم مصاحبته ، لأنه خانه ونفّر الناس عنه ، ثم أوصاه خيرا بالعلويين بالإحسان إليهم والتجاوز عن مسيئهم وأن يواصلهم بالعطاء كل سنة .

أما الروايتين الأخيرتين فقد رويت نصية متقاربة ليس فيها اختلاف كثير سوى زيادة أمر عند الذهبي لم نجده في رواية ابن العماد .

فرواية الذهبي[٤] : تزيد عن غيرها باشتمالها على أمر المأمون : ألا يتخذ المعتصم

---

(١) المأمون : هو عبد الله بن هارون الرشيد وكنيته أبو جعفر أو أبو العباس ، أمه باذعيشية ، واسمها : مراجل تولى إمارة المؤمنين وهو ابن ثمان وعشرين سنة فاستمر بها إلى أن توفي ودفن بطرسوسي سنة ٢١٨هـ ، وهو ابن تسع وأربعين فكانت خلافته إحدى وعشرين عاما . المسعودي : مروج الذهب ، ٤: ٤ .

(٢) المعتصم هو : محمد بن هارون يكنى أبو إسحاق وأمه ماردة بنت شبيب ، تولى إمارة المؤمنين بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨هـ بعد تنازع على الإمارة مع العباسي بن المأمون الذي ما لبث أن انقاد له بالمبايعة ، واستمر المعتصم إلى أن توفى سنة ٢٢٧هـ ، وهو ابن ست وأربعين سنة بعد أن قضى في الحكم ثمان سنين وثمانية أشهر . المسعودي : مروج الذهب ، ٤: ٤٦.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠: ٣٠٧.

(٤) الذهبي (المتوفى ٧٤٨) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، بيروت ـ دار الكتاب العربي ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، م ١٥: ٢٥، ٣٥.

وزيرًا قط طوال حياته نظرًا للتجربة المريرة التي عاشها ومربها مع وزيره يحيى بن أكتم[(١)] في معاملة الناس.

وفى رواية العماد[(٢)]: زيادة بسيطة فهي أكثر تفصيلا في طريقة ووسيلة تغسيله والصلاة عليه، ووضعه في قبره، وزاد العماد هنا مقولة المأمون: «ثم قفوا بأجمعكم فقولوا خيرًا إن علمتم، وأمسكوا عن ذكر شر إن عرفتم».

وأكتفي هنا بإيراد النص الخاص برواية الذهبي[(٣)]:

«هذا ما أشهد عليه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أن الله وحده لا شريك له في ملكه، وأنه خالق وما سواه مخلوق. ولا يخلو القرآن من أن يكون شيئًا له مثل، والله لا مثل له» إلى أن قال: «والبعث حق، وإني مذنب أرجو وأخاف، فإذا مت فوجهوني وليصل على أقربكم مني نسبًا، وليكبر خمسًا».

وذكر وصايا من هذا النوع، إلى أن قال: «فرحم الله عبدًا اتعظ وفكر فيما حتم الله على جميع خلقه من الفناء، وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه. فالحمد لله الذي توحد بالبقاء. ثم لينظر المرء ما كنت فيه من عز الخلافة، هل أغنى عني شيئًا إذا جاء أمر الله؟ لا والله. ولكن أضعف به على الحسنات. فيا

---

(١) هو يحي بن أكثم بن محمد التميمي المروزي أبو محمد من نبلاء القضاة الذين ذاع صيتهم في الآفاق، يتصل نسبه بأكثم ابن صفى حكيم العرب، ولد بمدينة مرو، واتصل بالمأمون فيها، فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢هـ، ثم قاضى القضاة ببغداد بالإضافة تدبير أمور الملك للمأمون حتى أن وزراءه لا يديرون أمرًا إلا بعد موافقة بن أكثم حيث أنه كان قد استولى على قلب المأمون (ويبدو أن نقم المأمون عليه لم يظهر إلا في أيامه الأخيرة، عزله المعتصم عن القضاء، ثم أعاده المتوكل، ثم عزله هو الآخر، توفى قرب المدينة المنورة سنه ٢٤٢هـ على الأشهر. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٦: ١٤٧؛ الزركلي: الأعلام، ٨: ١٣٨.

(٢) ابن العماد (المتوفى ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ تحقيق/ محمود الأرناؤوط، دمشق ـ دار ابن كثير ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٦م، ٣: ٨٧، ٨٦.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٥: ٣٤، ٣٥.

ليت عبد الله بن هارون لم يكن بشرًا ، بل ليته لم يكن شيئًا» .

يا أبا إسحاق ادن مني واتعظ بما ترى ، وخذ بسيرة أخيك في القرآن ، واعمل في الخلافة إذ طوقكها الله تعالى عمل المريد لله ، الخائف من عقابه ، ولا تغتر بالله وتمهيله ، فكأن قد نزل بك الموت . ولا تغفل عن أمر الرعية ، الرعية الرعية ، العوام العوام ، فإن الملك بهم الله الله فيهم وفي غيرهم .

يا أبا إسحاق عليك عهد الله ، لتقومن بحق الله في عباده ، ولتؤثرن طاعة الله على معصيته .

قال : اللهم نعم .

قال : فانظر من كنت تسمعني أقدمه فأضعف له في التقدمة . وعبد الله بن طاهر[1] أقره على عمله ، وقد عرفت بلاءه وغناءه .

وأبو عبد الله بن أبي دؤاد لا يفارقك ، وأشركه في المشورة في كل أمرك ، ولا تتخذن بعدي وزيرًا ، فقد علمت ما نكبني به يحيى بن أكثم في معاملة الناس ، وخبث سريرته حتى أبعدته . هؤلاء بنو عمك من ذرية أمير المؤمنين على صلوات الله عليه أحسن صحبتهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، وأعطهم الصلات .

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، أمير خرسان والعديد من المناطق التي تولى إمارتها مثل الشام ، ومصر ، توفي بنيسابور يوم الاثنين ١١ من شهر ربيع الأول سنة ٢٣٠هـ ، وكان من أكثر الناس كرما وإنفاقا ، مع علم غزير ولذلك اعتمد عليه المأمون كثيرا . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣: ٨٣ - ٨٩؛ الزركلي : الأعلام ، ٤: ٩٤.

الخاتمـــة

يجدر بنا إبراز نتائج البحث في النقاط التالية :

١ـ اقتدى بعض خلفاء الدولتين الأموية والعباسية في وصاياهم بمن سبقهم في صدر الإسلام حسبما فهموا من إشارة النبي ﷺ للمسلمين بإمامة أبي بكر ﷺ، ثم وصية عمر باختيار خليفته من بين ستة أفراد من صحابة رسول الله ﷺ .

٢ـ لم تكن وصايا الأمويين على وتيرة واحدة بل اختلفت من خليفة لآخر، وظهر هذا الاختلاف جليا عند مقارنة ما حدث من معاوية بن ابي سفيان ﷺ، وما حدث من حفيدة معاوية بن يزيد بن معاوية الذي رفض الاستمرار في الحكم، ورفض كذلك مطالبة البعض له بالوصية، كذلك ظهر ذلك في وصية الوليد بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ثم وصية عمر بن عبد العزيز نفسه لمن سيخلفه .

٣ـ أبرزت الدراسة بعض الاختلافات الذي ظهرت في العصر العباسي عنها في العصر الأموي مثل الاختصار عند الأمويين، والإطناب عند العباسيين بعدما استقرت لهم الأمور واتسعت والبلاد، كما زاد تدخل الأجناس الأخرى من غير العرب من داخل الدولة الإسلامية في شئون الحكم، وهو الأمر الذي تبعه كثرة التعاملات وتعقيداتها، وزيادة خبرة المسلمين في الحكم نتيجة تراكم الخبرات السابقة على فترات ولايتهم .

٤ـ تطورت الوصية أيضا في العصر العباسي عنها في الأموي بعناية بعض الخلفاء بالبدء في وصية المجتمع الإسلامي بولي عهده والأسس الإسلامية قبل وصية من يخلفه في الحكم، مثلما حدث في وصية أبي جعفر المنصور عندما حضرته الوفاة، وأحس بدنو أجله .

٥ـ عنى الأمويون في وصاياهم بالجنس العربي، بينما اتجهت عناية العباسية

بالفرس، كما حرص الأمويون على عاصمتهم دمشق في حين كان حرص العباسيين على بغداد (كما ظهر في وصاياهم).

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

ابن الأثير

١ـ على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ: الكامل في التاريخ، تحقيق/ عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، جـ ٣.

ابن الجوزي

٢ـ عبد الرحمن بن أبي الحسن أبو الفرج ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٣م: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق / محمد عبد القادر عطا وآخر، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/١٩٩٢م، جـ ٨.

ابن حجر

٣ـ أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت٨٥٢هـ/١٣٦١م: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق/ علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، القسم الثالث.

الحموي

٤ـ ياقوت بن عبد الله الحموي ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، جـ ٢، د. ت.

ابن خلدون

٥ـ عبد الرحمن بن محمد ت١٤٠٦م: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، جـ ٣.

ابن خلكان

٦ـ أحمد بن محمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ/١٢٨٢م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م.

الذهبي

٧- محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٠٤٢م : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق/ عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

السجستاني

٨- سهل بن محمد بن عثمان الجشمي أبو حاتم ت٢٤٨هـ ، المعمرون والوصايا ، تحقيق/ عبد المنعم عامر ، ١٩٦١م .

الطبري

٩- محمد بن جرير ت٣١٠هـ/٩٢٣م : تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق/ أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث العربي ، جـ٥، ١٣٨٦هـ/١٩٨٧م .

ابن عبد البر

١٠- يوسف بن عبد الله بن محمد أبو عمر ت٥٦٣هـ : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ومعه كتاب : الإصابة ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ط ١، ١٣٢٨هـ ، جـ٣.

ابن عبد الحكم

١١- عبد الله أبي محمد ت٢١٤هـ : سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، مكتبة وهبه ، ط ٢، دمشق ، ١٩٥٤م .

ابن العماد

١٢- عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق/ محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٦م ، جـ٣.

المبرد

١٣- محمد بن يزيد الشمالي الأزدي ت٢٨٥هـ : التعازي (والمراثي والمواعظ والوصايا) ، تحقيق/ إبراهيم محمد حسن الجمل ، نهضة مصر .

المسعودي

١٤- علي بن الحسين بن علي ت٣٤٦هـ : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، جـ٣، ١٩٨٧م .

ابن كثير

١٥- إسماعيل بن عمر عماد الدين أبو الفدات ٧٧٤هـ/١٣٧٣م : البداية والنهاية ، م ٤، جـ٨، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

النويري
١٦- أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م : نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد ، مصر ، ١٩٣٨م ، جـ١٨.

ثانيا : المراجع

١٧- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، م ٣، بيروت ، لبنان ، ط ٨، ١٩٨٩م .
١٨- ـــــــــــــ ، تراجم الأوائل والخلفاء (الأعلام الصغرى ، الهيئة المصرية للكتاب) ، ٢٠١٤، القاهرة .
الشكعة
١٩- د/ مصطفى الشكعة : الأدب في مواكبة الحضارة الإسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦م .
علي
٢٠- محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٣، جـ ١، القاهرة ، ١٩٦٨م .
المودودي
٢١- أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية ، تعريب/ أحمد إدريسي ، نشر المختار الإسلامي ، ط ٢، القاهرة ، ١٩٨٠م .
خلف
٢٢- وائل حافظ خلف : وصايا الآباء للأبناء ، دار حنا ، الإسكندرية ، د. ت .

ثالثا : المعاجم

٢٣- المعجم الوجيز : طبعة وزارة التربية والتعليم ، مصر ، ١٩٩٧م .

المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨)، ٨٥ ـ ١٤٤

ثُغُورُ ومَوانِئُ الجَزِيرَة العَرَبِيّة على السّواحِل الشَّرقِيّة للبَحْرِ الأحْمَر خِلال القَرْنِ السّادِس الهِجْرِي/ الثّاني عَشَر المِيلادِي

هيلة بنت عبد الرحمن بن فراج الفراج السهلي

مُقَـــدِّمَة

بلاد العرب عبارة عن شبه جزيرة، إذ تحدها مياه البحار من الشرق والجنوب والغرب. وصفها ابن خلدون بأنها جزيرة العرب تقع بين بحر فارس (الخليج العربي) والقلزم (البحر الأحمر)، «كأنها داخلة من البر في البحر، يحيط بها البحر الحبشي (بحر العرب) من الجنوب وبحر القلزم (البحر الأحمر (من الغرب وبحر فارس (الخليج العربي) من الشرق»[(١)].

وقد أدرك الإسكندر المقدوني أهمية البحر الأحمر وموانئه على سواحل الجزيرة العربية؛ وأنه لا يستطيع تأمين مقامه في مصر، إذ كان للفرس السيطرة على هذه الموانئ، حيث كانوا قد اتخذوا لأنفسهم بعض المعاقل البحرية في الجنوب والشمال[(٢)]، وعلمه هذا هو الذي حمله أيضًا على أن يوجه حملته على بلاد العرب ـ على ما أرى ـ من البحر لا من البر، لأنه أدرك أن حملة بحرية تمكنه من

* أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (المتوفى ٨٠٨هـ): المقدمة، ط ٥، بيروت ـ دار القلم ١٩٨٤م، ١: ٣٤٥.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٢، بغداد ـ دار الساقي ٢٠٠١م، ١: ٦٧٩-٦٩٠.

السيطرة على مفاتيح الجزيرة وعلى النقط الحساسة فيها بسهولة ويسر وبدون تكاليف باهظة، وبذلك يقبض على خناقها ويقطع عنها إن تيسر له النجاح اتصالها بأسواق إفريقية والهند وما وراء الهند، وهذه الأسواق الرئيسية التي أمدت العرب بالثراء وبذلك يقطع عنهم موارد الثراء[١]. وهذا ما دعى البطالمة يصرفون مجهودا كبيرا في سبيل السيطرة على البحر الأحمر، والتوسع في المحيط الهندي[٢].

موقع البحر الأحمر وأهميته

ولما كان البحر الأحمر يقع عند التقاء قارتي آسيا وافريقيا وهو الامتداد الجنوبي للانهدام الإفريقي الآسيوي الذي حدث، جعله يتمتع بموقع استراتيجي ممرًا مائيًا لا يمكن الاستغناء عنه للتجارة بين المحيط الهندي والخليج العربي من جهة والبحر الأحمر مع المتوسط من جهة أخرى، وقد احتفظ البحر الأحمر بأهميته الاستراتيجية حتى اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م، وإخفاق محاولات السلطان المملوكي قنصوه الغوري لتدمير القواعد الهولندية في الهند في معركة ديو البحرية عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م[٣].

وكان البحر الأحمر يعرف في كتب المؤرخين والجغرافيين العرب خلال العصر الوسيط والعصور القديمة ببحر القلزم، وكلمة قلزم تعني مضيق، وسمي البحر بهذا الاسم نسبة إلى مدينة القلزم، وأسمها القديم كليسما Clysma. وخليج القلزم يعرف في كتب اليونان باسم هيروبوليت Heroopolie. وقد خربت هذه

(١) جواد علي : المفصل، ١: ٦٨٦.

(٢) جواد علي، المرجع السابق، ١: ٧٠٤.

(٣) حافظ، صلاح الدين، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، الكويت ـ عالم المعرفة يناير ١٩٨٢م، ٥٩-٦٠.

المدينة في القرن ٥هـ/١١م، وعلى أنقاضها أنشأت مدينة السويس الحالية في القرن ٦هـ/١٢م وسمي الخليج بخليج السويس(١).

وقد تمتع البحر الأحمر (القلزم) بميزات متعددة ميزته عن غيره من البحار والمحيطات، منها:

أ ـ يعتبر البحر الأحمر بحر طويل الساحل، والسواحل الطويلة لها قدرة طاغية على التحكم في مياه البحر وفي طرق الملاحة، ونتيجة لهذا فإن الدول المطلة على هذا البحر المتحكمة في سواحله تؤدي دورا أساسيا في لعبة الصراع الدائرة بين القوي المتصارعة.

ب ـ وثمة عامل آخر له أهمية مشابهة أو متقاربة مع أهمية التحكم في السواحل. وهو امتلاء البحر الأحمر بالجزر المتناثرة شمالا وجنوبا، والتي يرقى بعضها إلى أهمية استراتيجية بالغة تعادل أهمية نقاط الخنق والحصار والتحكم الاستراتيجي(٢).

ورغم تمتع البحر الأحمر بمثل هذا العدد المعروف والمرصود من الجزر بالإضافة إلى تلك الأخرى غير المعروفة. ورغم كثرة الشعاب المرجانية على شطآنه وانحصار المجرى الملاحي في وسط مياهه بشكل يحيل الملاحة فيه إلى ملاحة خطيرة تحتاج إلى ملاحين مهرة يحفظون ممرات البحر وشعابه. رغم كل ذلك فقد اكتسب هذا البحر أهمية سياسية واستراتيجية واقتصادية منذ عصور التاريخ السحيقة ذلك أن القدماء أيضا عرفوا فيه ميزة الربط بين الساحل الآسيوي عند شبه

---

(١) أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود (المتوفى ٧٣٢هـ): تقويم البلدان، بيروت ـ دار صادر بدون تاريخ، ١١٧؛ واصف بك: أمين، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق، أحمد زكي باشا، القاهرة ـ مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ، ٩٥.

(٢) حافظ: صراع القوى، ٦١-٦٢.

الجزيرة العربية والساحل الأفريقي عند مصر ثم إلى شمال أفريقيا وعند السودان والصومال إلى قلب القارة السوداء.

وعرفوا فيه كذلك ميزة الربط بين المحيط الهندي جنوبا والبحر الأبيض المتوسط شمالا كأقصر طريق للملاحة. ومن ثم للتجارة وبالتالي لنشر النفوذ السياسي من خلاله[1].

اعتمدت حركة التجارة الدولية بين الشرق وللغرب خلال للعصور الوسطى على ثلاثة طرق رئيسة: الأول هو الطريق البري الممتد من الصين عبر أواسط آسيا ثم يتفرع إلى عدة طرق وصولًا إلى العراق والأناضول ثم أوروبا. والطريق الثاني هو طريق الخليج العربي المتصل بالموانئ الهندية والصينية ومن ثم إلى العراق وسوريا والأناضول. والطريق الثالث هو البحر الأحمر المتصل بالموانئ الهندية والصينية والأفريقية. وسمي بطريق البخور، وقد لعب هذا الطريق دورًا له أهميته التجارية والبحرية عبر العصور المختلفة.

وقد شكل طريق البحر الأحمر أهمية خاصة كأحد طرق التجارة الدولية الرئيسة في العصر الإسلامي، لذلك اهتمت الدول الإسلامية بهذا الطريق الحيوي وبالبحر الأحمر وموانئه، وجعلوا منه بحرا إسلاميا خالصا.

وفي العصرين الأيوبي والمملوكي وبسبب الظروف غير المستقرة في أواسط آسيا ومنطقة خراسان والخليج العربي، قل الاهتمام بالطريقين الأول والثاني، وظل طريق البحر الأحمر هو شريان التجارة الدولية، الأمر الذى جعل صلاح الدين الأيوبي يحول البحر الأحمر إلى بحيرة إسلامية، لاسيما بعد أن ضم اليمن إلى سلطنته، وحرر أيلة (العقبة) من الصليبيين، وبذلك سيطر على مداخل البحر الأحمر من الجنوب ومخارجه من الشمال عبر أيلة (العقبة) والقلزم. وأصبحت

---

(١) نفس المرجع والصفحة.

الدولة الأيوبية المهيمنة فعليا على التجارة الدولية القادمة من الشرق الأقصى في طريقها إلى أوربا، وقد رفدت هذه التجارة حركة الجهاد ضد الصليبيين[١].

وضع البحر الأحمر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

شكل البحر الأحمر جزءًا من أشهر خطوط التجارة البحرية الدولية، إذ كانت معظم التجارة بين أوروبا وبلاد الهند والصين تمر عبره قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح. كان طريق البحر الأحمر هو أكثر الطرق المعروفة ملائمة للصلة بين الشرق والغرب، لعدة أسباب: فهو يختصر الصعاب والنفقات الباهظة المترتبة على المواصلات البرية. وبغض النظر على الشريط الضيق من اليابس الذي يفصل البحر الأحمر عن النيل، كانت البضائع المصدرة من الهند أو الصين تنقل دائما بطريق البحر وتتبع الخط الأقصر والأكثر استقامة للوصول إلى موانئ إيطاليا وفرنسا وأسبانيا.

بالإضافة إلى ذلك كان طريق السفن المحملة بمنتجات الهند يلتقي في وسط البحر الأحمر بطريق الحجاج الأفارقة الذاهبين إلى مكة. فقد كان الحجاج يسلكون الطريق البرى في شبه جزيرة سيناء، غير أنه منذ أن أحتل الصليبيون مملكة بيت المقدس وجعلوا يمدون سيطرتهم من وقت لآخر حتى خليج أيلة (العقبة) شعرت القوافل بالخطر ومن ثم غيرت طريقها فجعلت تصعد مجرى النيل ثم تعبر الصحراء التي تفصل بين النهر والبحر الأحمر، وكان ميناء نزول الحجاج في عيذاب هو أيضًا ميناء تفريغ شحنات منتجات الشرق، الواصلة إليه عبر مضيق باب المندب.

واقتصر دور البحر الأحمر حتى قيام الدولة العباسية على الأنشطة التجارية وحمل البريد، ونقل الحجيج من الجزء الشمالي إلى الحجاز. فلما قامت الدولة

---

(١) العمايرة: خالد محمد سالم، موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٤م.

العباسية انتقل مركز الثقل التجاري من البحر الأحمر إلى منطقة الخليج والهلال الخصيب. وبهذا استرد الطريق الشرقي أهميته بعد الاضمحلال الذي أصابه إثر الحروب التي اجتاحت المنطقة بين الفرس والبيزنطيين، وصارت بغداد حاضرة العالم الإسلامي سياسيًا وتجاريًا، ومن ثم لم يبق لمصر التي تقلصت مكانتها إلى مجرد مقاطعة في الخلافة سوى جزء يسير من التجارة الشرقية، وسعى الوالي أحمد بن طولون، عند محاولته الاستقلال بإدارة مصر لاسترداد جزء من تلك التجارة ولكن دون جدوى.

فلما آل أمر مصر للدولة العبيدية (الفاطمية) نجحت في تحقيق تلك الخطة، وكانت تجارة الأسلحة واحدة من السلع التي اتخذتها تلك الدولة الشيعية لمحاربة منافسيها في بغداد بقصد إضعافهم اقتصاديًا، ودخل الفاطميون في صلات تجارية وثيقة مع الشرق والغرب، واستطاعوا بمساعدة أعونهم في اليمن الاستفادة من خبرته البحرية في تحقيق هذا الهدف، وإحكام قبضتهم على التجارة الشرقية، وامتدت سيطرتهم على العديد من موانئ البحر الأحمر بما فيها عيذاب ذات الموقع الجيد وفي وقت وجيز صارت من أحفل الموانئ الإسلامية، وكانت السلع الهندية والصبية تنقل إلى عدن أولًا ثم إلى عيذاب حيث تنقل على ظهور الإبل عبر الصحراء إلى قوص وقفط. وكان تجار الهند واليمن الحبشة وزنجبار يترددون عليها، وكانت السلع الشرقية تستبدل بالحرير والنحاس والقصدير والكيماويات الواردة من مصر وشمال أفريقيا وأوربا أو بالذهب المستخرج من المعادن الواقعة شرق بلاد النوبة[1].

وخلال الحكم العبيدي (الفاطمي (بمصر ازدادت الحركة التجارية فيها نشاطًا

---

(١) يوسف فضل حسن: «الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر»، الرياض ـ مجلة الدارة، السنة السادسة، العدد الثالث، جمادى الثاني ١٤٠١هـ/ إبريل ١٩٨٠م، ١١١.

ليس على الساحل الشرقي فحسب، وإنما على الساحل الغربي أيضًا[١]. خاصة بعد بسط نفوذهم على اليمن. فقد فطن العبيديون (الفاطميون (تحقيقا لهدفهم، إلى ضرورة إحكام سيطرتهم على البحر الأحمر عن طريق بسط سلطانهم على بلاد الحجاز واليمن. وفي سبيل هذا الهدف دخلوا في صراع ضار مع العباسيين، ومع أشراف مكة، ومع ملوك اليمن، واستغلوا حالة الضعف والإعياء التي آلت إليها الخلافة العباسية، وإقدام القرامطة على انتزاع الحجر الأسود من الكعبة، وفي كسب قلوب إشراف الحجاز، بفضل الأموال والهدايا التي كان يبعث بها الخلفاء الفاطميون إليهم، والخلع التي كانوا يرسلونها إلى أمير مكة مرتين في العام الواحد[٢]. كما كانت السيطرة على تجارة الكارم (التوابل) مع الشرق الأقصى أحد دوافع الفاطميين للاستيلاء على اليمن[٣]، وبالتالي إحكام سيطرتهم على البحر الأحمر.

ومن المعروف أن التنافس كان على أشده منذ القدم بين طريق البحر الأحمر وطريق الخليج فتزداد أهمية أحدهما على حساب الآخر وفقًا للظروف القائمة والقوى المتحكمة في كل منهما فنتيجة لضعف الدولة العباسية استطاع الفاطميون تحويل النشاط التجاري البحري الى البحر الأحمر، وأصبح الشريان الرئيس الذى يربط الشرق بالغرب من الناحية التجارية، والمتحكم في التجارة العالمية وقتذاك واهتم المسؤلون بتأمين الملاحة فيه، حماية للتجارة وحفاظًا على

---

(١) مطلق صياح البلوي، تبوك في عهد الملك عبد العزيز، مكة المكرمة ـ جامعة أم القرى، ٣٦.

(٢) عبد العزيز سالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية ـ مؤسسة شباب الجامعة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ٣١.

(٣) فايزة الكلاس: «الحملة الأيوبية الأولى على اليمن» بقيادة تورانشاه شمس الدين فخر الدولة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م»، جامعة دمشق ـ مجلة دراسات تاريخية، العدد ١١٧-١١٨، كانون الثاني/ حزيران، عام ٢٠١٢م، ٥٣٠.

سلامة الحجاج الدين يصلون الى ساحل الحجازي والدين يغادرونه .

وكان قيام الدولة الصليحية في اليمن فاتحة خير للدولة العبيدية (الفاطمية)، فقد أصبح اليمن بفضل ارتباط الصليحيين بالدعوة الفاطمية تابعا تبعية روحية للدولة العبيدية (الفاطمية) في مصر، وتوثقت العلاقات التجارية بين مصر واليمن، وأفاد الفاطميون من الولاء السياسي والمذهبي الذي كان يبذله بنو صليح في اليمن لهم في تأمين تجارتهم في البحر الأحمر، وبلغ هذا الولاء للفاطميين ذروته في عهد أبي كامل علي بن الصليحي (٤٦٩-٤٧٣هـ) الذي يرجع إليه الفضل في نشر الدعوة العبيدية (الفاطمية) في سائر أنحاء اليمن منذ أن قضى على بقايا دولة بني زياد الموالية للعباسيين، وارتبطت مصر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، واليمن في عهد علي الصليحي بعلاقات قوية[1] .

وهكذا حققت الدولة العبيدية (الفاطمية) هدفين أساسيين أولا: تحويل التجارة الهندية من منطقة الخليج العربي إلى البحر الأحمر مما أدى إلى ضعف الكيان الاقتصادي لدولة العباسية التي سقطت أخيرا على أيدي المغول. وساعدت هذه التغيرات ليستمر البحر الأحمر طريقًا رئيسًا للتجارة الشرقية، إلى أن حكم البرتغاليون قبضتهم على منافذه في أول القرن السادس عشر ثانيا: ترتب على هذا كله أن صارت التجارة الشرقية مصدر دخل هام للدولة الفاطمية وما خلفها من حكومات على مصر، وكانت عدن. وعيذاب تمثلان محورين مهمين في هذه التجارة[2] .

وكان الأسطول العبيدي (الفاطمي (بجوب البحر الأحمر لحراسة السفن التجارية وتطهيره من القراصنة إلا أن تلك الإجراءات لم تردع حاكم مكة من

---

(١) عبد العزيز سالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية - مؤسسة شباب الجامعة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ٢٦.

(٢) حسن: البحر الصراع حول البحر الأحمر، ١١٢.

تخريب عيذاب ونهبها، ورد عليه الوزير الأفضل الجمالي بمنع الحجيج ووقف المؤن عن الحجاز وتجهز جيش لمعاقبته، فمكان من حاكم مكة إلا أن عجل بالاعتذار ورد كل ما نهبه[(١)].

ومهما يكن من أمر، فقد أدى نجاح العبيديين (الفاطميون (في تحويل تجارة الخليج العربي إلى البحر الأحمر إلى ثراء موانئ البحر الأحمر ثراءً ملحوظا؛ نتيجة للعناية التي أولاها العبيديون (الفاطميون (لدعم الحركة التجارية والملاحية فيه، ووضعهم عدد من قطع الأسطول الفاطمي تحت خدمة سفن التجار والحجاج لحراستها وتأمين رحلاتها[(٢)].

وبظهور الخطر الصليبي في بلاد الشام، وتوغله في الأراضي الإسلامية صارت لهم قاعدة أمامية على البحر الأحمر في ميناء أيلة (العقبة)[(٣)] الأمر الذي شكل تهديدًا خطيرًا لسواحل البحر الأحمر الأخرى.

وهذا أدى إلى أن يكون الساحل الشرقي للبحر الأحمر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي واحدا من جهات الصراع الإسلامي الصليبي؛ لأن ميناء العقبة يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر على مقربة من موانئ وثغور الجزيرة العربية الواقعة على الساحل الشرقي على البحر الأحمر والتي تشمل موانئ وثغور الساحل الحجازي وتهامة الحجاز واليمن.

ففي سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م كانت محاولة «رينودى ثباتيون» المعروف في المصادر العربية باسم البرنس أرناط مهاجمة السواحل الشرقية البحر الأحمر،

---

(١) حسن: المرجع السابق، ١١١.

(٢) حسنين ربيع: «وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ الحجاز واليمن في العصور الوسطى»، الرياض ـ الندوة العالمية الأولى لمصادر تاريخ الجزيرة العربية ١٩٧٧م، ١٠٥.

(٣) جابر عبده حنيف: موقف اليمن من الحروب الصليبية، ط ١، عدن ـ دار الوفاق للنشر ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م، ٢٥٨.

وتحديدا الساحل الحجازي ؛ حيث قام بعملية حربية بحرية تستهدف انتهاك حرمة المقدسات الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة بالإضافة الى ما كان يأمل تحقيقه من السيطرة على البحر الأحمر واحتكار تجارة الشرق الهندي[١] .

وأراد الفرنج من ورائه تحقيق هدفين خطيرين ، أولهما قطع طريق الحجاج إلى مكة ، وضرب العالم الإسلامي في قلبه ، وطعن المسلمين في قبلتهم ، وثانيهما : أن الصليبيين كانوا يزمعون الاستيلاء على عدن في جنوب البحر الأحمر لأخذ تجار اليمن ، وبذلك يتمكنون عن طريق السيطرة على أيلة (العقبة) في الشمال وعدن في الجنوب ـ من إغلاق البحر الأحمر في وجه أعدائهم واحتكار تجارة الشرق والمحيط الهندي[٢] .

أما ابن جبير فيشير إلى هدف خطير انطوت عليه هذه الحملة ، وهو هدم الكعبة المشرفة ، ومسجد الرسول ﷺ ، ثم الاستيلاء على جثمانه الشريف ، ونقله الى إمارة الكرك ، وعدم السماح للمسلمين بزيارته ، إلا بعد دفع مبلغ كبير يفرضه هو بنفسه[٣] .

بينما كان للمؤرخين المحدثين رؤى متباينة حول أهداف هذه الحملة ، ففي حين يرى يوشع براور أن حملة أرناط هي مشروع استعماري يهدف إلى التحكم في

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، القاهرة ، ط ٣، القاهرة ـ مكتبة الأنجلو ١٩٨٦م ، ٢: ٦١٨-٦١٩.

(٢) أبو شامة؛ شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (المتوفى ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، ط ٢، بيروت ـ دار الجيل بدون تاريخ ؛ ابن واصل ؛ جمال الدين محمد بن سالم (المتوفى ٦٩٧هـ) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق ، جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٣٧٧هـ ، ٣: ٣١٧؛ عمر يحيى محمد : مغامرة الصليبي أرناط الفاشلة لغزو الحجاز ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م ، جدة ـ جامعة الملك عبد العزيز ، ٢٠.

(٣) ابن جبير ؛ محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) : رحلة ابن جبير المسماة : «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» ، بيروت ١٩٦٤م ، ٣٤.

حركة المرور الدولية بين آسيا ومصر عن طريق باب المندب[١] ، نرى كلود كاهن يقلل من أهداف هذا الهجوم ويعتبره محاولة لسلب والنهب فقط[٢] . ويرى أحد الباحثين أنها محاولة لضغط على صلاح الدين ليخفف من غاراته على مدن بلاد الشام وفلسطين ، وحرمانه من الأموال الطائلة التي تدرها تجارة البحر الأحمر مع أوروبا ، وهي التي تعينه على مواصلة نضاله ضد الصليبيين[٣] .

ومهما يكن من أمر ، فمن الواضح أنها حملة ذات هدف اقتصادي بالدرجة الأولى للسيطرة على طرق التجارة الدولية عن طريق إغلاق البحر الأحمر في وجه تجارة الشرق الأقصى عبر المحيط الهندي ، زد على ذلك التعصب الصليبي نحو الاسلام والمسلمين بتدنيس الأماكن المقدسة ، ونبش قبر الرسول عليه السلام ، ولكن الله ردّ كيده في نحره تصديقًا لقوله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤] وقوله جل وعلا : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٥] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٦] .

---

(١) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة ، قاسم عبده قاسم ومحمد خليفه ، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨١م ، ٧٤.

(٢) كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة ، أحمد الشيخ ، القاهرة ـ دار سينا للنشر ١٩٩٥م ، ١.

(٣) رياض مصطفى شاهين : قلعة فرعون ساحة للصدام الصليبي والإسلامي ، بحث في كتاب ندوات اتحاد المؤرخين العرب ، رقم (١) ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ١٢.

(٤) سورة : الحج ، آية : ٢٥.

(٥) سورة : القصص ، آية : ٥٧.

(٦) سورة : العنكبوت ، آية : ٦٧.

موانئ وثغور الساحل الشرقي للبحر الأحمر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

شهر الساحل الشرقي للبحر الأحمر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بموانئ وثغور مهمة، منها ينبع والجار وجدة والسرين وأملج (الحوراء) وغيرها، يتضح ذلك من وصف الإدريسي الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي لتلك الموانئ والثغور بقوله: «وعلى ساحل هذا البحر الواقع في هذا الجزء في الجهة الشرقية حصن حلي والسرين والسقية وجدة والجحفة والجار وكل هذه معاقل ومواطن يسافر إليها ويتجهز منها وفي كل واحدة منها وال وعامل»(١).

فكانت هذه الموانئ والثغور تستقبل السفن التجارية القادمة من اليمن والحبشة محملة بالبضائع، ثم تنقل القوافل هذه البضائع من ميناء جدة الى مكة المكرمة(٢).

وكان ميناء الجار وجدة من أهم موانئ الساحل الحجازي الواقعة شمال جدة خلال العصور الإسلامية، ويليهما في الأهمية الوجه وضباء(٣). كما كانت ينبع والحوراء ورابغ وتبوك والعلا وعسفان والبرابر وعسفان محطات تجارية(٤). وكانت العملات المستخدمة في التعامل التجاري الدنانير والدراهم(٥)

---

(١) الإدريسي، حمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت ٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت- عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ١٣٨.

(٢) ربيع: وثائق الجنيزة وأهميتها، ١١.

(٣) علي غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الرياض ـ مطبعة سفير، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٤) العبدري: الرحلة المغربية، ١٦٥-١٦٦.

(٥) ابن جبير: الرحلة، ١١١-٩٨.

كما توجد أسواق في ينبع والحوراء ورابغ وبدر وخليص[١].

واحتلت تلك الموانئ أهمية كبيرة في تجارة العالم الوسيط، خاصة في العصر الأيوبي، بعد أن أصبحت تجارة البحر الأحمر في أيد المسلمين دون سواهم[٢].

وبعد أن نجح الفاطميون في القاهرة أثناء صراعهم مع العباسيين في بغداد، في السيطرة على تجارة البحر الأحمر، وتحويل التجارة الآتية من الشرق الأقصى من الخليج العربي إلى البحر الأحمر كما ـ ذكرنا سابقا ـ سعيًا وراء هدف واحد هي إضعاف الخلافة العباسية السنية في بغداد من الناحية الاقتصادية[٣].

فقد كانت الموانئ في كل من الحوراء (أملج) والوجه وضباء تستخدم لشحن وتفريغ السفن، وتشتمل منشآت كل ميناء على رصيف مبني بالحجارة، وحوض مائي للإرساء، ومخازن للبضائع المستوردة المصدرة، ودوائر لإدارة المرفأ والجمارك، وأماكن خاصة لصناعة القوارب محليًا، وتدل بقايا هذه المنشآت على ازدهار تلك الموانئ خلال العصور السابقة[٤].

وكانت الموانئ الشرقية تخدم القرى الداخلية في المنطقة، فميناء الخريبة كان يخدم مدين وتبوك وما حولهما، وميناء العوينـد كـان يخدم وادي القرى، وميناء حوراء كان يخدم القرى القريبة منه حتى خيبر.

أما في الحجاز أو في مصر، أو في بلاد الشام، فخلال الفترة الممتدة من النصف الثاني للقرن الخامس الهجري حتى بداية القرن السابع الهجري/ الحادي عشر

---

(١) العبدري: الرحلة، ١٦٠-١٦٣، ١٦٥-١٦٦.

(٢) ربيع: وثائق الجنيزة وأهميتها، ١١.

(٣) حسنين ربيع: «بحر الحجاز في العصور الوسطى»، الرياض ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد الاول ١٩٧٧م، ٤٠٣.

(٤) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ط ٢، القاهرة ـ مطبعة المدني ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٣٨٩.

والثالث عشر الميلادي ضعفت الحركة التجارية وغيرها في الموانئ، وأصابها الركود، واقتصرت خدماتها على المنطقة الداخلية وحسب، وكان سبب ذلك هو وجود الصليبيين قرب خليج العقبة، وتهديدهم المتواصل للملاحة في البحر الأحمر[١]. وقد استمر هذا الركود إلى أن تمكن الأيوبيون في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي من استئصال الفرنج من البحر الأحمر، والقضاء على خطرهم عليه، استعادة السيطرة على ميناء أيلة (العقبة)، خاصة بعد أن عرفوا أن هدف الفرنج في البحر الأحمر هو القضاء على تجارة الكارم فيه[٢].

وقد سجل صلاح الدين في رسالته إلى الخليفة العباسي عقب هذه الغزوة الغاشمة عزمه على إقرار السيطرة التجارية الإسلامية في البحر الأحمر في أيدي الكارمية، فقال: إن انتصار الأسطول الصليبي القاصد سوحل الحجاز واليمن «كان يستهدف منع طريق الحاج عن حجه، وأخذ تجار اليمن وكارم عدن ويلم بسواحل الحجاز»[٣].

وهو ما أدى إلى بعث حركة النشاط في موانئ البحر الأحمر من جديد. غير أن دور هذه الموانئ ما لبث أن ضعف مرة أخرى في أواخر العصر المملوكي بسبب انعدام الأمن[٤].

والملاحظ أن هذه الفترة شهدت ازدهار لبعض الثغور والموانئ الشرقية للبحر الأحمر وانحطاط أو اضمحلال لموانئ أخرى. وتتفاوت الأسباب التي أثرت في

---

(١) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، الرياض ـ مطبعة سفير ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، دار النهضة العربية، ١٩٨١م، ١٤٨- ١٥٠.

(٢) ابن شداد؛ بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (المتوفى ٦٣٢هـ/١٢٣٩م): سيرة صلاح الدين المسماة النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ١٠٦؛ أبو شامة: الروضتين، ٣: ٥١.

(٣) أبو شامة: الروضتين، ٣: ٥١.

(٤) غبان: بحوث، ١٥٤.

ازدهار أو انحطاط هذا الميناء أو ذاك ، لكن من المؤكد أن محاولة الصليبيين غزو الحجاز كان لها أثر عميق على أنشطة هذه الموانئ . وفيما يلي أهم الموانئ والثغور خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي :

ميناء الجار : هو أقدم منفذ بحري للمدينة المنورة ، ويقع على ثلاث مراحل عنها[١] ، أو مسيرة يوم منها[٢] على الساحل الشرقي للبحر الأحمر[٣] .

وعلى الرغم من أنه كان معروفًا قبل الإسلام ، إلا إنه لم يكتسب شهرته إلا بعد ظهور الإسلام ، عندما أصبحت المدينة حاضرة ومركزًا للمسلمين . فأصبح الجار ثغرًا للمدينة ، لقربه من بلاد الحبشة ومصر وعدن والصين والهند وغيرها من البلاد ، التي كان أهل المدينة على صلة تجارية[٤] . وأقدم من أشار إلى استخدامه كميناء عرام السلمي[٥] ثم اليعقوبي حيث ذكر أن الجار كانت ترسل مراكب التجار ، والمراكب التي تحمل الطعام من مصر ، وتلاه المقدسي في الإشارة إليه كميناء[٦] . وقد بلغ من شهرة الجار وقوته الاقتصادية أن وصف بأنه إحدى خزائن

---

(١) أبو الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود (المتوفى ٧٣٢هـ) : تقويم البلدان ، بيروت ـ دار صادر بدون تاريخ نشر ، ٨٢.

(٢) ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن أبي عبد الله ياقوت (المتوفى ٨٧٦هـ) : معجم البلدان ، تحقيق ، فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت ـ دار الكتب العلمية بدون تاريخ ، ٢: ١٠٧.

(٣) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ٨٢.

(٤) السلمي ، عرام بن الأصبغ (من أهل القرن الثاني الهجري) : كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٩٩٠م ، ١٣-١٤؛ البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (المتوفى ٤٨٧هـ) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، ط٣ ، بيروت ـ عالم الكتب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ١: ٣٥٥؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢: ١٠٧؛ البلادي : عاتق ، معجم معالم الحجاز ، ط٢ ، مكة ـ دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م . ، ٢: ١٠٤.

(٥) السلمي : كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة ، ١٣ـ١٤.

(٦) المقدسي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر (المتوفى ٣٧٥هـ) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،=

مصر[١] . وقد أكد الإسكندري والحازمي (من القرن السادس الهجري) ما ذكره عرام السلمي من أن الجار بلد على ساحل البحر بينه وبين المدينة يوم وليلة[٢] ، كما أكد كل من الحموي والبكري والبلادي ما قاله السلمي من أن الجار قرية على ساحل البحر الأحمر ترسو عندها السفن القادمة من مصر وأرض الحبشة والبحرين والصين وعدن والهند، وهي جزيرة لا تتجاوز مساحتها ميلًا واحدًا في ميل واحد، تتوسط البحر، ولا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق السفن، وهي مرفأ للحبشة»[٣] .

وبصفة عامة يعد الجار الميناء الرئيس لأهل الحجاز وليس المدينة فقط[٤] . فقد استخدم لاستقبال الواردات القادمة الى الحجاز بالإضافة الى استقبال الحجاج، وما أمّنه الميناء من ملجأ ومركز انطلاق للصيادين الذين استفادوا من الثروة السمكية الوافرة[٥] .

وأخذ ميناء الجار ينمو وازداد نشاطه التجاري، حتى أطلق على البحر الأحمر في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي اسم بحر الجار[٦] .

=تحقيق، غازي ظليمات، دمشق ـ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٨٠م، ٨٣.

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ٩١.

(٢) الإسكندري، نصر بن عبد الرحمن (المتوفى ٥٦١هـ): الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار، تحقيق حمد الجاسر، الرياض ـ دارة الملك عبد العزيز (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ١: ٢٦٩؛ الحازمي، محمد بن موسى (المتوفى ٥٨٤ هـ): الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض ـ دار اليمامة ١٤١٥هـ، ١٧٧.

(٣) السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة، ١٣ـ١٤؛ البكري: معجم ما استعجم، ١: ٣٥٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢: ١٠٧؛ البلادي: معجم معالم الحجاز، ٢: ١٠٤.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢: ١٠٧.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ٨٣.

(٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢: ٩٣؛ حمد الجاسر: بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة، الرياض ـ دار اليمامة للبحث والنشر ١٩٦٦م، ٤٨.

وكانت أهم الواردات التي تصل إلى الحجاز عن طريق ميناء الجار المسك ، والعود ، والكافور ، والدارصيني (القرفة) وغير ذلك[١] ، علاوة على الزعفران وخشب الصندل ، والمصطكى ، والعاج ، والحرير ، والأحجار الكريمة[٢] . أما الصادرات فكانت التمور في مقدمة الصادرات التي تصدر من ميناء الجار ، علاوة على ماء الورد ، والسمن ، والعسل ، والصوف ، والخيول ، وبعض أنواع الأسلحة»[٣] .

وترى إحدى الباحثات أن الجار استمر ميناء المدينة إلى سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م ، أي إلى القرن الخامس الهجري/ العاشر الميلادي استنادًا إلى ذكره الرحالة ناصر خسرو الذي مر بها خلال ذلك القرن ووصفها بأنها ميناء وقرية صغيرة[٤] . لكن ليس في كلام ناصر خسرو ما يدل على اضمحلال الجار خلال ذلك القرن ، فلم يصفها بأنها كانت مهجورة ، كما أن وصفه لها بالميناء يؤكد أنها كانت لاتزال تؤدي دورها كميناء للحجاز عامة والمدينة المنورة خاصة .

والحقيقة أن الجار استمر يؤدي دوره خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، وهذا ما أكده رحالة وبلدانيو القرن السادس الهجري ، فقد ووصفه الزمخشري والحازمي الذي عاش خلال ذلك القرن بأنه كان يستقبل السفن القادمة من الحبشة والبحرين والصين . وبالجار قُصور كثيرة ، ونصف الجار في جزيرة من البحر ، ونصفها على الساحل ، وبحذاء الجار قَرْيَة في جزيرة من البحر

---

(١) ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله (المتوفى ٣٠٠هـ) : المسالك والممالك ، القاهرة ـ مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ ، ١٥٤ـ١٥٣.

(٢) ربيع : وثائق الجنيزة ، ١٣٧.

(٣) ضيف الله بن يحيى الزهراني ، الجار : مدينة وميناء في الحضارة الاسلامية وعالم البحار بحوث ودراسات ، الكاتب : مجموعة من الدارسين ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ٣٥٠.

(٤) ناصر خسرو ، ناصر (المتوفى ٤٨١ هـ) : سفرنامة ، ترجمة ، يحي الخشاب ، ط ١ ، بيروت ـ دار الكتاب الجديد ١٩٧٠م ، ٩٢.

تكون ميلًا في ميل ، لا يُعبر إليها إلا في السفُن ، وهي مرسا الحبشة خاصة ، يُقَالُ لها قراف[١] . كما ما ذكر الإدريسي الذي ينتمي إلى نفس القرن أن الجار معقل وموطن يسافر إليها ويتجهز منه وله وال وعليه عامل[٢] . ولكن قد يكون الجار قد ضعف شأنه قليلًا آنذاك مقارنة بالقرون السابقة ، فقد ذكر الإدريسي في موطن آخر واصفًا الجار : «بأنها تقع على ضفة البحر المالح ، وأن المراكب ما تزال تقصدها وتطلع منها غير أنه ليس فيها تجارات واسعة وعظيمة»[٣] .

وظل ميناء الجار المرفأ الوحيد للمدينة حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حيث تم انشاء ميناء ينبع ، يتضح ذلك من وصف ياقوت الحموي له بأنه : «فرضه المدينة المنورة»[٤] ، كما يتضح من وصفه بأنه كان خاليًا من السكان إلى اضمحلاله خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[٥] .

ويمكن القول أن هناك جملة من الأسباب أدت إلى انهيار الجار منها : اختلال الأمن في منطقة الجار ، فقد أدت هجمات القبائل المتكررة التي بدأت منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي على المدى بعيد إلى إضعاف الجار تدريجيًا وبالتالي اضمحلاله[٦] .

---

(١) الزمخشري ، أبوالقاسم محمود بن عمر(المتوفى ٥٨٣ هـ) : الأمكنة والجبال والمياه ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، عمان ـ دار عمار للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ٨٦؛ الحازمي : الأماكن ، ٩٣٢.

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١: ١٣٨.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، ١: ١٤٤.

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ٢: ١٠٧.

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ٢: ١٠٧.

(٦) كما حدث في سنة ٢٣٠هـ عندما هاجمت قبيلة بنو سُليم على الجار فأوقعوا بناس من بني كنانة وباهلة فأصابوهم وقتلوا بعضهم ، وكان ذلك في خلافة الواثق بالله العباسي الطبري ، محمد بن جرير (المتوفى ٣١٠هـ) : تاريخ الرسل والملوك ، ط ١ ، بيروت- دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ ، ٥: ٢٧٨.

ويعد الغزو الصليبي لبعض موانئ الحجاز في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي سببًا رئيسًا في اندثار الجار، فقد عانت الجار من الهجوم الصليبي على الأراضي الحجازية عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م، حيث تم الاستيلاء على المراكب المحملة بالأطعمة، التي يتم إرسالها عن طريق البحر إلى الأراضي المقدسة في الحجاز(١). وأدى عجز ميناء الجار عن صد تلك الهجمات والغارات البحرية إلى تفرق وهروب سكانه(٢).

وفي سنة ٦٢١هـ اتخذ الأيوبيون ينبع ميناءً رسميًا للمدينة النبوية فكان عاملًا مهما في تضاؤل شأن الجار وبالتالي اختفائها كميناء، يضاف الى ذلك ضعف العلاقات بين حكّام شبه الجزيرة العربية ودولة الحبشة(٣). زد على ذلك أن ميناء الجار كان ميناء استيراد، لذلك أدى عدم وصول السفن من مصر أو غيرها إلى انهيار هذا الميناء، فساهم كل ذلك مجتمعًا في هجرة أهالي الجار وخاصة طبقة التجار مما أدى في نهاية الأمر إلى زوال واندثار مدينة الجار(٤).

وضعف أمر الجار رويدًا، وبدأ ميناء ينبع في الازدهار بقدوم عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، حين جعله الحكام الأيوبيين ميناء رئيسًا للمدينة المنورة بعد جدة، فأصبحت أغلب الغلال والمؤن التي تصل الى المدينة المنورة من مصر، تصلها عن طريق ميناء ينبع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، الذى كان يعد ثغرا للمدينة المنورة. وقد أسهم هذا الميناء في ازدهار المدينة المنورة تجاريًا منذ أوائل القرن السابع

---

(١) أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت - دار النهضة العربية، ١٩٨١م، ٢٦١.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ٢: ٣٧.

(٣) الزهراني،، الجار: مدينة وميناء، ٢٣٩.

(٤) عائشة محمد باقسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠م، رسالة ماجستير،، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ٨٨.

الهجري/ الثالث عشر الميلادي[١]. ويصور الحميري التراجع الاقتصادي الذي بلغته الجار في القرون التالية بقوله: «ليس بها كبير تجارة»[٢].

ينبع: يطلق مسمى ينبع على المنطقة واسعة تحتل موقعًا استراتيجيًا مهمًا على الساحل الشرقي للبحر الأحمر يميل إلى الشمال الغربي بالنسبة للمدينة المنورة على مسافة ١٥ كم منها[٣]. وتنقسم ينبع إلى قسمين هما: ينبع النخل، وينبع البحر، التي صارت ميناء للمدينة المنورة على ساحل البحر الأحمر[٤]. وقد اكتسبت أهميتها من كونها ميناء المدينة المنورة، وثاني موانئ الحجاز بعد ميناء جدة[٥]. وكانت ينبع من الموانئ الكبيرة الكثيرة العمائر والأسواق، ترد إليها المراكب بالغلال في كل سنة بما قيمته ثلاثين ألف دينار[٦].

---

(١) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب (المتوفى ٦٩٠هـ): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، تحقيق، ممدوح حسن محمد، القاهرة ـ مكتبة الثقافة الدينية ١٩٩٦م، ٥٠، الجاسر، حمد: بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية، ٤٩ـ ٥٠؛ السليمان، علي بن الحسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية في نهاية العصور الوسطى، ١٢٥٠ـ١٥١٧م، القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ٩٠ـ٩٥.

(٢) الحميري، محمد بن عبد المنعم (المتوفى ٩٠٠هـ): الرَّوْض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، ط ٢، بيروت ـ مكتبة لبنان ١٩٨٤م، ١٥٣.

(٣) سميرة مبارك بلسود: ميناء ينبع ورابغ فيما بين عامي ١٢٥٦-١٣٧٣هـ/ ١٨٤٠ـ١٩٥٤م دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة/ قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ٢٧.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥: ١٤٩ـ١٥٠؛ ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية في مكة في العصر المملوكي، ط ١، الرياض ـ عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٢٤؛ السليمان، النشاط التجاري، ١٠٥.

(٥) الجاسر: بلاد ينبع، ٤٦.

(٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥: ١٤٩ـ١٥٠؛ ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية في مكة في العصر المملوكي، ط ١، الرياض ـ عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٢٤؛ السليمان: النشاط التجاري، ١٠٥.

واكتسبت ينبع نشاطها التجاري البحري منذ أقدم العصور، وذلك نتيجة لموقعها الجغرافي على ساحل البحر الأحمر مما جعلها نقطة اتصال بين مدن الحجاز المقدسة، ومصر، وبلاد الشام(١)، الأمر الذي أدى إلى ازدهار التجارة وانتعاشها لا سيما في أشهر الحج حيث يتم استقبال الحجاج عن طريق مينائها سوء القادمين من مصر، أو شمال إفريقيا، وبرع أهلها في العمل التجاري حيث انتشرت الأسواق في وسط المدينة، وبالقرب من الميناء، والمناطق المجاورة له حيث المستودعات وأماكن الاستراحات(٢).

والملاحظ أن معظم بلدنيي ورحالة القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي اكتفوا بالإشارة إلى ينبع دون ذكر مزيد من التفاصيل، فالزمخشري اكتفى بوصف ينبع بأنها «موضع»(٣)، أما الإسكندري فوصفها بأنها صقع من المدينة دون أن يزيد على ذلك(٤)، بينما أشار إليها ابن جبير خلال رحلته إلى الحجاز اشارة عابرة وسماها الينبوع(٥). ولعل سبب ذلك كما قال العلامة حمد الجاسر أنها لم تكن تحظى بشهرة كبيرة عند المؤرخين حتى قبل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلاد(٦).

ولا يعني عدم شهرة ينبع عند المؤرخين والرحالة والجغرافيين خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أنها لم تكن ذات بال، بل على العكس من ذلك، حيث تمتعت ينبع بأهمية اقتصادية واستراتيجية خلال القرن السادس

---

(١) الجزيري: عبد القادر بن محمد (المتوفى ٩٧٧هـ): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق، حمد الجاسر، ط ١، الرياض - دار اليمامة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٤٧٦.

(٢) الرويثي: الموانئ السعودية، ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٣) الزمخشري: الأمكنة والجبال والمياه، ٧.

(٤) ا لإسكندري: الأمكنة، ٢: ٦٠٦.

(٥) ابن حبير: الرحلة، ١٢٤.

(٦) الجاسر: بلاد ينبع، ٤٦.

الهجري وما قبله؛ لأنها كانت محطة يمر بها ركب الحاج المصري والشامي، إضافة الى وقوعها على درب التجارة المتجه الى الشام ومصر ذهابا وإيابًا. وقد رسم لنا الحازمي الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي صورة تعطي انطباعًا جيدً عن ينبع في ذلك العصر، حيث وصفها أنها «قَرْيَة كبيرة غناءٌ على ليلة من رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر»[١].

وربما كانت منطقة ينبع وجدة ـ فيما بعد ـ أهم مناطق الساحل ذات التعرجات الطبيعية الصالحة لقيام الموانئ حيث أن ساحل البحر الأحمر ـ عموما ـ قليل التعرجات والموانئ الصالحة، كما توجد أمامه شعاب مرجانية تكون مصدر خطورة للسفن كما أشرنا من قبل[٢].

ونتيجة لأهمية ينبع مثل بقية ثغور وموانئ الساحل الحجازي على الجهة الشرقية للبحر الأحمر، فقد وصل الصليبيون بسفنهم إلى ينبع، وأحرقوا سفنًا كثيرة هناك وهددوا الحجيج[٣]، لكن الأيوبيون جهزوا مراكب في البحر وشحنوها بالمقاتلة من أهل الدين والنخوة والحمية البائعين لله انفسهم، فواقعوهم واقعوا بهم وفروا الى الجبال فلحقوهم وقتلوا منهم وارسلوا الأسرى إلى مصر[٤]. واسترجعوا أيلة (العقبة) من أيديهم[٥].

---

(١) الحازمي: الأماكن، ٩٣٢.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ١: ٢١٠.

(٣) المقريزي: السلوك، ١: ٧٩؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود (المتوفى ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق، محمد ديوب، ط ١، بيروت ـ دار الكتاب العربي ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٣: ٦٨ـ ٦٩؛ عاشور: الحركة الصليبية، ٢: ٢١٩، ٧٨٦؛ السليمان: النشاط التجاري، ٥٠ـ ٥١.

(٤) ابن فرحون، عبد الله بن محمد (المتوفى ٧٦٩هـ): تاريخ المدينة المنورة، تحقيق، حسين شكري، بيروت ـ شركة الأرقم للطباعة والنشر بدون تاريخ، ٢٢٦.

(٥) المقريزي: السلوك، ١: ٧٩، أبو الفداء: المختصر، ٣: ٦٨ـ ٦٩؛ السليمان: النشاط التجاري، ٥٠ـ ٥١.

وعلى الرغم من ذلك فقد أخذ ثغر ينبع ينمو ويزدهر حتى بلغ ذروته في أواخر القرن السادس/ الثاني عشر الميلادي حيث أهمل ميناء الجار وعطلت مرافقه لانعدام الأمن وتغير طريق الحج والتجارة إلى طريق جديد حيث سلك الحجاج من مصر والمغرب طريق عيذاب إلى ميناء جدة في أواخر القرن السادس ثم بدأ ثغر ينبع يقوى كما ذكرنا على أيدي الأيوبيين حكام مصر(١) . وهكذا تحول الثقل التجاري إلى ينبع ، وغدت مركزا تجاريا لجميع السلع المهمة آنذاك .

وهذه الأهمية جعلت صلاح الدين يفكر في تحويلها إلى ميناء ، لأنه وجدها أنسب بديل لمينائي الجار والحوراء وأن تأخر هذا الإجراء الى منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي .

والمؤكد أن سبب ازدهار ينبع هو تحول التجارة والحجاج إليها منذ تدهور الجار في منتصف القرن السادس الهجري ، لتصبح ينبع محطة بحرية برية للحجاج القادمين من مصر ، وبلاد الشام ، والمغرب كما أصبحت سوقا تجارية يجلب إليها العديد من السلع التي ازدحمت بها متاجرها ودكاكينها المتعددة التي يباع فيها الأمتعة والأقمشة والمأكولات والمشروبات ، وكل ما يحتاجه المسافر حتى يكمل طريقه إلى مكة(٢) .

وحينما اشترى السلطان الكامل الايوبي قلعة ينبع الواقعة على ساحل البحر مقابل المدينة من الاشراف الحسنيين بأربعة آلاف مثقال(٣) ، ويبدو أن شراءه تلك

---

(١) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة ، ٥٠، الجاسر: بلاد ينبع ، ٤٩-٥٠.

(٢) العبدري ، حمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود (المتوفى ٧٠٠هـ) : الرحلة المغربية ، تحقيق ، محمد الفاسي ، ١٩٦٨م ، ١٦٣؛ حمد الجاسر: الحجاز في القرن السابع الهجري ، دراسة في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، شعبان ١٣٨٥هـ/تشرين الثاني - نوفمبر ، ١٩٦٥م ، ١٦٤-١٦٥.

(٣) المقريزي ، أحمد بن علي)المتوفى ٨٤٥هـ) : السلوك في معرفة الملوك ، تحقيق ، محمد بيضون ، ط ١، بيروت - دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ١: ٢١٥.

القلعة كان إما بقصد مراقبة أشراف الحجار أو لمواجهة الأطماع الصليبية في المنطقة ولما امتنع الأشرف عن تسليمها فأخذها قهرًا وأقام له فيها نائبا[١]، وظلت تحت السلطة الأيوبية حتى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م حين استردها الأشراف الحسنيون[٢].

ونخلص من ذلك أن الجار، وينبع كان لهما تشاط تجارى غير قليل، فهما منفذ المدينة المنورة عبر البحر الأحمر[٣]. وتبادلا الأدوار في خدمة الساحل الحجازي تجاريًا واقتصاديًا خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي فلما ضعفت الجار وجد أهل المدينة خاصة والحجاز عامة في ينبع المخرج المناسب للقيام بمهام ميناء الجار وإن لم تحمل مسمى ميناء إلا منذ منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[٤].

جدة: تقع جدة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر على خط طول ٢١-٣٠ شمالًا، وخط عرض ١٦-١٩ شرقًا في المنطقة الغربية للمملكة العربية السعودية[٥]. وصفها الحضراوى بانها «ممر الابرار ومقر التجار ضاعف الله فيها البركات وأشهر الخيرات»[٦]. كما وصفها القلقشندي قائلًا: «أن جدة هي فرضة مكة على ساحل بحر القلزم وهى ميناء عظيم إليها تأتى

---

(١) المديريس، عبد الرحمن: المدينة المنورة في العصر المملوكي، الرياض، ط ١، الرياض - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١١٢.

(٢) المقريزي: السلوك، ١: ٢١٥.

(٣) حسنين ربيع: وثائق الجنيزة وأهميتها، ١١.

(٤) عبد الرحمن المديريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ط ١، الرياض - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١١٢.

(٥) مبارك محمد العبدي: «النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني» (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م - ١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، جدة- النادي الأدبي الثقافي ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ٤٩.

(٦) الحضراوي، أحمد محمد (المتوفى ١٣٢٦هـ): الجواهر المعدة بفضائل جدة، تحقيق، علي عمر، ط ١، القاهرة - مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ، ٢٢.

المراكب القادمة والمغادرة من مصر واليمن وغيرهما»[١] .

ونتيجة لأهمية مينائها في التجارة البحرية ، احتلَّتها الإمبراطورية الفارسيَّة في حوالي منتصف القرن السَّادس قبل الميلاد ، وخضعتْ للاحتِلال الحبشي في حوالي عام ١٨٣هـ/٧٩٩م[٢] . وخلال العصر الإسلامي جعلها عثمان بن عفان ﷺ ميناء لمكة بدلا من الشعبية واكتسب الميناء مع الوقت أهمية سياسية واقتصادية[٣] .

وقد ذكرها البلدانيون والرحالة الذين عاشوا خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في مؤلفاتهم وحددوا موقعها ، يقول الإسكندري المتوفي سنة (٥٦١هـ) في كتابه عن موقع جدة : جُدة : بضم الجيم البلد قرب مكة بينهما مسافة يوم وليلة على ساحل البحر[٤] ، ويعرّف الزمخشري المتوفي سنه (٥٨٣هـ) جُده فيقول : جُده : موضع بينها وبين مكة ثلاث ليال[٥] . اما الحازمي المتوفي سنه (٥٨٤هـ) فإنه يقول في (باب جُده وحده) في كتابه (الأماكن) : أما الأول (جُده) : ـ بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ـ علي ساحل البحر بينها وبين مكة مسافه يوم وليلة[٦] .

وأصبحت جدة ، ميناء مكة وفرضتها على البحر إحدى محطات المراكب ، التي تنقل السلع الشرقية من ميناء عدن إلى مصر . منذ أن تحولت طرق التجارة

---

(١) القلقشندي ، أحمد بن علي (المتوفى ٨٢١هـ) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، تحقيق ، محمد حسين شمس الدين ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ ، ٤: ٢٥٨.

(٢) عبد القدوس الأنصاري : موسوعة تاريخ مدينة جدة ، مطابع الروضة ١٤٠١هـ/١٩٨٠م ، ١: ٣١، ٦٠، ٨٩ ـ ٩٠.

(٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ٥١.

(٤) الإسكندري : الأمكنة ، ١: ٢٧٧.

(٥) الزمخشري : الأمكنة ، ٦٦.

(٦) الحازمي : الأماكن ، ١: ١٩٧.

الدولية البحرية من الخليج العربي إلى البحر الأحمر في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد وصفها المقدسي بقوله: «جدة مدينة على البحر منه اشتق اسمها، محصنة عامرة، أهلها أهل تجارات، وهي خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر، بها جامع سرى، غير أنهم في تعب من الماء مع أن فيها برك كثيرة ويحمل اليهم الماء من البعد، قد غلب عليها الفرس لهم بها قصور عجيبة، وأزقتها مستقيمة ووصفها حسن، شديدة الحر جدا»[1].

وكانت جدة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي محاطة بسور، وقد شاهد ابن جبير سورها عند وصوله إليها[2]، ولعل هذا السور هو الذى بناه تجار الفرس عندما قديما سكنوا جدة، وذلك لحماية تجارتهم[3]. كما وصفها الادريسي المتوفي سنه (٥٦٠هـ) في كتابه (نزهه المشتاق) في حديثه عن الجزء الخامس من الإقليم الثاني الذي تضمن البلاد التي تقع علي ساحل بحر القلزم (البحر الاحمر): «...... وهي (جُده) فرضه لأهل مكة وبينهما اربعون ميلًا. والبقول بها ممكنه، وبهذه المدينة فيما ذكر انزلت حوا من الجنة وبها قبرها»[4].

فقد قام ميناء جدة بدوره كاملا في المجالات الدينية والتجارية فكانت البضائع والسلع تصل اليه من شتى المناطق فاسهم بدور كبير في ترسيخ القاعدة التجارية لمكة المكرمة ذلك أن قرب جدة من المراكز التجارية الهامة في جنوب الجزيرة

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ٧٩.
(٢) ابن جبير: الرحلة، ٥٢.
(٣) الخضراوي: الجواهر المعدة، ٧.
(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ١: ١٣٨-١٣٩.

العربية وخاصة عدن كونها على الطريق الى الهند ، بالإضافة الى كون مينائها أوسع من غيره من الموانئ الحجازية(١) .

وقد استوعبت أسواق جدة التجارة من مصر وسواكن وزنجبار والصومال والهند وجاوة والروملي والأناضول والشام والمغرب والعراق والبحرين ومسقط واليمن ، وأوربا وآسيا وغيرها(٢) .

والواقع أن موسم الحج يمثل حركة تجارية عظيمة في جدة وفيه تكثر المتاجر المختلفة وتعقد الصفقات التجارية الكبيرة ، ومنها يستعد التجار لدخول مكة ويستأجرون وسائل النقل لحملهم اليها ومتابعة تجارتهم فيها والسير بعد انتهاء الموسم إلى بلاد الشام وقد أخذت أهمية جدة في الازدياد نتيجة لعودة حركة الملاحة البحرية في البحر الأحمر وازدهارها على حساب طريق الخليج .

ونتيجة لذلك لعبت جدة دوًا هاما في ازدهار تجارة مكة وبلاد الحجاز عموما ، لقربها من المناطق الجنوبية لشبه الجزيرة العربية ، وبخاصة ميناء عدن وهى أقرب إلى الهند من الموانئ . الشمالية في البحر الأحمر . يضاف إلى ذلك أنه يفد إلى جدة آلاف الحجاج من الديار المصرية والمغربية القادمين بطريق البحر ، فازدهرت أسواقها في مواسم الحج(٣) ، واستفاد أهلها من ذلك استفادة كبيرة ، وسرعان ما أصبحت جدة ميناء الحجاز كله وسرعان ما أصبحت جدة ميناء الحجاز كله ، بالإضافة إلى

---

(١) عائشة محمد باقسي : مكة والمدينة من منصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري دراسة تاريخية حضارية ، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٣/١٤١٤هـ ، ١٥٥.

(٢) رفعت باشا ، إبراهيم : مرآة الحرمين ، الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، القاهرة ـ ١٩٢٥م ، ٢: ٢٤.

(٣) السليمان ، النشاط التجاري ، ١٠٩.

أن هذا الميناء أخذ يزدحم بالحجاج القادمين من الهند واليمن[١] .

وكان للتجارة بجدة موسم مشهود قبيل موسم الحج ، تباع فيه البضائع المجلوبة والذخائر النفيسة . وبفضل اشتغالهم بالتجارة ، استطاع كثير من أهل جدة تكوين ثروات ضخمة[٢] . ووصلت تجارة جدة مع موانئ البحر الأحمر ـ ولاسيما الموانئ المصرية ـ درجة طيبة من الازدهار والنشاط . فقد كانت البضائع تجلب من الموانئ الأوروبية المختلفة ، إلى الاسكندرية والفرما ثم منها إلى الحجاز . وكانت الفرما حلقة اتصال بين مواني البحر المتوسط والبحر الأحمر ، ومحطة لتجارة أوروبا والشام[٣] .

يضاف إلى ذلك أن جدة نجحت في جذب التجارة الأندلسية وتجارة شمال أفريقية ، فقد جاء في وثائق الجنيزة : أن التجار القادمين ، من المغرب والأندلس اعتادوا بيع متاجرهم من الحرير والنحاس ، وغير ذلك من منتجات بلادهم في المدن الشامية والمصرية ، وإذا لم يصادف هؤلاء التجار سوقا تجارية لبضائعهم ، اتجهوا بمتاجرهم إلى ميناء جدة ، حيث يجدون سوقا رائجة لتجارتهم[٤] . وكان لميناء جدة تجارة برية نشطة مع بعض المدن في الجزيرة العربية وخارجها ، فكانت المتاجر تسير منها إلى مكة المكرمة وإلى عمان واليمامة وعدن وصنعاء ودمشق والبصرة وبغداد والفسطاط والقلزم وعيذاب وغيرها[٥] .

---

(١) حسنين ربيع : البحر الأحمر في العصر الأيوبي ، بحث في البحر الأحمر في التاريخ والسياسة المعاصرة ، القاهرة ١٩٨٠م ، ٣٠؛ السليمان : النشاط التجاري ، ١٥٦.

(٢) شارل مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية في مكة ، ١٧٤-١٧٥.

(٣) أحمد الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١ ـ ٤٨٧هـ ، ط ١، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ١٧٧.

(٤) الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ١٧٨.

(٥) السليمان : النشاط التجاري ، ١٥٦.

وزاد من أهمية ميناء جدة أنها كانت مركز جباية المكوس، التي كانت تجبى من الحجاج والتجار بعد وصول مراكبهم إليها[١]، وكانت جدة تتبع أمير مكة، الذى كان يجبى فيها المكوس من الحجاج الواردين إليها عن طريق البحر. وكان العباسيون والفاطميون يعرفون ذلك، فيغضون النظر عن هذا التصرف[٢].

ولم تكن جدة مرفأ مكة التجاري فقط، بل مرفأ الحجاز بأسره[٣]، هذا فضلًا عن اتساع الميناء ذاته عن ميناء ينبع، وغيره من الثغور الحجازية، وكانت هناك عدة طرق تجارية مهمة تصلها بالبلدان الأخرى منها: طريق يصل بلدة جدة بمكة شرقا مما يزيد وطريق برى يحاذي الساحل متجها الى الجنوب ليصلها باليمن وصعدة وطريق آخر يصلها بالجار شمالًا. واجتمعت هذه العوامل كلها لتجعل ذلك الميناء يعتلى صرح تجارة الحجاز، لأكثر من عدة قرون من نشأته[٤].

استمرت جدة في النمو خلال القرن السادس الهجري لازدياد مواردها المالية، تبعًا لزيادة عدد الحجاج، ولازدهار الحركة التجارية فيها التي كانت تنشط في الحج، وحين قدوم القوافل التجارية إليها من عدن. وفى جدة إعتاد التجار استبدال سلعهم في أسواقها، والتهيؤ منها لدخول بيت الله الحرام ومتابعة تجارتهم فى مكة أيضا، بعد المكوث فيها فترة سن الوقت، ثم السير منها الى الشام وظل ميناء جدة مركزًا هاما من مراكز تجارة الشرق طيلة العصر الأيوبي[٥].

ومما ساعد أيضًا على ازدهار جُدَّة خلال القرن السادس الهجري تقاطر التجار والحجاج القادمين من عيذاب إليها بسبب انقطاع طريق الشمال نتيجة لمهاجمة

---

(١) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ١٥٦.

(٢) ابن جبير: الرحلة، ٤٨-٤٩؛ عبد القدوس الأنصاري: موسوعة تاريخ جدة، ٥٧-٦١.

(٣) القلقشندى: صبح الاعشى، ٥: ٢٥٨.

(٤) السليمان: النشاط التجاري، ٩٧-٩٨.

(٥) ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ٢٠.

أرناط أمير الكرك موانئ البحر الأحمر، لذلك فقد أخذ حجاج المغرب ومصر وبلاد السودان يتجهون إلى طريق الجنوب، وظلوا زيادة على مائتي سنة لا يتجهون إلى مكة إلا من ميناء عيذاب[١].

وكان هؤلاء الحجاج عند صولهم إلى عيذاب يمكثون فيها عدة أيام حتى يجدوا مركبًا تنقلهم إلى جُدَّة. فقد كان الحجاج يقاسون أثناء وجودهم في عيذاب من شطف العيش والقسوة وسوء الأحوال، والإصابة بالأمراض، نظرًا لعدم توفر الغذاء الضروري. وقد تحدث عن ذلك الرحالة الأندلسي الشهير (ابن جبير) ـ رحمه الله ـ في كتابه عن رحلته (٥٧٩هـ ـ ١١٧٧م) فبين أن مدة مقامه في عيذاب كانت ثلاثة وعشرون يومًا. وقال: «إنها كانت في شطف العيش وسوء الحال واختلال الصحة لعدم توفير الغذاء». وقال: «إن المياه كانت تجلب من أماكن بعيدة»، وبين أنه لذلك كان العطش يشتد بالحجاج. وقد أسهب ابن جبير في وصف معاناة الحجاج في عيذاب .. وفي وصف معاناتهم في رحلتهم منها إلى جُدَّة للذهاب منها إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج[٢]. زد على ذلك أن الايوبيين قاموا بمنع التجار غير المسلمين من ارتياد البحر الأحمر مما جعله يصبح بحيرة إسلامية خالصة. كما وعندما أصبح صلاح الدين الأيوبي سلطانا على مصر والشام، كما أمر بإسقاط المكوس عن الحجاج وعوض أمير مكة عن ذلك، لإدراك السلطان الأيوبي أن دخل مكة المكرمة لا يفي بمصالح اهلها[٣]. ولا شك أن هذه الخطوة كان لها أثر عظيم في ازدهار ميناء جدة، وتنامي نشاطه الاقتصادي والتجاري.

---

(١) عبد الإله باناجه: تاريخ جُدَّة من أقدم العصور حتى نهاية العهد العثماني، جدة ـ مكتبة كنوز المعرفة ٢٠١٥م.

(٢) ابن جبير: الرحلة، ٤٨ـ ٤٩.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ٤٨ـ ٤٩؛ عبد القدوس الأنصاري: موسوعة تاريخ جدة، ٥٧ـ ٦١.

وزادت أهمية هؤلاء التجار المسلمين عندما نجح الأيوبيون في إقرار نفوذهم في البحر الأحمر، وفي تنظيم شؤون التجارة في اليمن، خاصة بعد أن تعرض نشاط هؤلاء التجار للخطر بسبب امتداد المد الصليبي الى مياه البحر الأحمر، لكن نجح صلاح الدين نجح - بعد الله - في إحباط محاولات البرنس أرناط العدائية في البحر الأحمر وضد بلاد الحجاز(١).

وقد احتكر الكارمية تجارة البحر الأحمر، والمحيط الهندي خاصة في تجارة التوابل وفى غيرها من البضائع الشرقية التي كانوا يجلبونها عن طريق عدن الى مصر حيث. يبيعونها إلى تجار المدن الإيطالية وغيرهم(٢). وقام الأيوبيون بمثل ما قام به الفاطميون، من العمل على صد خطر القراصنة في مياه البحر الأحمر، فرصدوا سفنًا من أسطولهم خصيصا لهذا الغاية(٣). ولاشك أن هذا الإجراء ساهم في ازدهار جدة وغيرها من موانئ الساحل الشرقي للبحر الأحمر.

حلى بني يعقوب: وهي مدينة صغيرة على ساحل البحر الأحمر، وواليها منها وهو من قبل صاحب تهامة(٤). وكانت من الموانئ المهمة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. فقد ذكر المقدسى أنها من المدن الساحلية العامرة(١)، واستمرت حلى بالنمو والازدهار حتى بلغت أوج ازدهارها في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي.

وعلى الرغم من وصف الإدرسي لها بالصغر، إلا أنه أشاد بأهميتها وقوتها التجارية والاقتصادية، فهي: «فرضة من جاء من اليمن وفرضة لمن صعد من

---

(١) عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٧٦هـ/١٣٩٦م، ١٧١-١٧٢.

(٢) ربيع: البحر الأحمر فى العصر الأيوبى، ١٤

(٣) القوصي: تجارة مصر، ١٧٦.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ١٣٨.

القلزم، وبها جبايات على والخارج الداخل، وكل شيء يجلب إليها»(١).

كما عدت من ضمن المعاقل التي يسافر إليها ويتجهز منها، وهذا دليل إليها على كثرة ما يردها من السلع(٢). ونستشف من الإشارات العابرة إليها في مؤلفات جغرافيي وبلدانيي ذلك القرن إذ لم ينسبوا إليها شيء ذي بال(٣).

السرين: السرين مدينة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر بينها وبين حلي بني يعقوب خمسة أيام من جهة الشمال وهي حصن حصين حسن موضعه كثيرة مياهه(٤). وتقع إلى الجنوب من مكة بمسافة خمس مراحل، وعلى بعد ٤٠ كيلو متر من الليث ويعتقد أن اسمها تثنية لكلمة سر في اللغة السبئية القديمة(٥).

وتعد السرين الواجهة البحرية الثانية لمكة المكرمة، وأهم المحطات التي تلتقي وتفترق عندها طرق التجارة والحج بين اليمن والحجاز، وهي تابعة من الناحية السياسية لأمير مكة المكرمة، وذات موقع هام، هيأها لأن تلعب في بعض الفترات دورًا مهمًا في أحداث المنطقة، ولاسيما علاقات مكة السياسية والحربية(٦)، كما

---

(١) المقدسى، أحسن التقاسيم، ٨٥.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ١٣٨.

(٣) العمايرة: موانىء البحر الأحمر، ٣٨- ٣٩.

(٤) ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى العنسي (ت٦٨٥هـ): بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق، خوان قرنيط خنيس معهد مولاي الحسن تطوان ١٩٥٨م؛ ٥١؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ٩٣-٩٤.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، ١٣٨.

(6) MOHAMMED A. R AL-THENAYIAN, «The Red Sea Tihami coastal ports in Saudi Arabia», Proceedings of the Seminar for Arabian Studies Vol. 38, Papers from the forty-first meeting of the Seminar for Arabian Studies held in London, 19-21 July (2008), pp Û 289-299, Published by: Archaeopress Publishing Ltd, p.289.

(٧) أحمد الزيلعي: ميناء السرين النافذة البحرية الثانية لإمارة مكة المكرمة في الحضارة الاسلامية وعالم البحار(بحوث ودراسات، القاهرة ـ اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٤)، ١٧٥.

ارتبطت إداريًا بمدينة عثر(١).

وظهرت السرين كميناء رئيس على البحر الأحمر خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في خريطة ابن حوقل للجزيرة العربية ضمن مجموعة أخرى من الموانئ الرئيسة هي أيلة وعينونة والجار ووجدة حلي وعثر والشرجه أو الحرده وغلافقه وعدن وساحل حضرموت(٢). فقد كانت السرين ميناء رئيس لإقليم الحجاز وكان اقتصاد السرين خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يعتمد على الضرائب والمكوس التي يفرضها أمير مكة على السفن والبضائع، ومن ضمنها الرفيق المجلوب او المرسل إلى اليمن.

وقد وصفها المقدسي في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بأنها مدينة صغيرة محاطة بالأسوار وتضم جامع وخزان مياه(٣).

وقبل نهاية القرن الخامس ازدهرت السرين وميناءها ونمت إلى مدينة كبيرة ومحصنة ولها أسواق متعددة وحمامات وجامع مقام على الساحل(٤).

وقد استمر ازدهار السرين خلال القرون الثلاثة التالية من السادس حتى الثامن وأصبحت مركزا محصنًا للتجار وقد نوه الإدريسي بجامعها، وقال عنه أنه أحد المعالم على ساحل البحر الأحمر(٥).

والواضح أن السرين كانت في أوج ازدهارها خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بسبب المزايا التي هيأها الله لها، فقد كان أدى قربها من

---

(1) MOHAMMED A. R AL-THENAYIAN, «The Red Sea Tihami coastal», p.290.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي (المتوفى ٣٦٧هـ): صورة الأرض، بيروت ـ دار مكتبة الحياة بدون تاريخ، ٢٨-٣٠.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ٨٣.

(٤) البكري: معجم ما استعجم، ٤٨

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، ١٣٨.

السروات، معدن الحبوب والخيرات والتمور والعسل، إلى ازدياد شهرتها، فأصبحت محطة مهمة للمراكب التجارية، ومركزًا لجمع الضرائب، وقد أشار الإدريسي لذلك بقوله: «ولواليه وجابيه شيء معلوم ورسم ملزوم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجارات والمتاع والرقيق وجباياته المحصلة يصل نصفها إلى صاحب تهامة ونصفها الثاني يصل إلى الهاشمي بمكة»[١].

ويعتقد أن شانها قل بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث لم تشر إليها المصادر[٢].

والسرين غير معروفة في الوقت الحاضر غير أن الأستاذ الدكتور أحمد الزيلعي تمكن بواسطة مقارنة بعض النصوص، التي أوردها الجغرافيون والمؤرخون العرب من ترجيح مكان هذا الميناء شمال وادى دوقة مقابل قرية عسيلة من ناحية الغرب شمال حلى. وأضاف أن السرين كانت مدينة عظيمة وأنه كان فيها أسواقا ومسجدًا جامعًا وأن لها سورًا في البحر، وأنها كانت فرضة السروات، وأسهمت كجدة في تجارة مكة. فبالإضافة إلى خيرات السروات التي كانت تأتي عبر هذا الميناء إلى جدة ثم مكة، كانت تجلب إلى السرين مختلف الحبوب من مدن اليمن[٣].

الشعيبة: أجمع البلدانيون على أن ميناء الشعيبة، كان موجودا قبل ميناء جدة، فذكر ابن المجاور أن الشعيبة مرسى قديم، وأنه كان قبل جدة[٤]. وفي معجم البلدان يقول ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة[٥].

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ١٣٨.

(٢) العمايرة: موانىء البحر الأحمر، ٤١.

(٣) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ١٨٤-١٨٧.

(٤) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ٤٣.

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣: ١٤٦.

وفي (مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) الشعيبة تصغير شعبة : وادٍ أعلاه لكلاب ، ويصب في سد قناة . وهو أيضًا مرفأ السفن من ساحل البحر ، وكان مرفأ السفن لمكة قبل جدة(١) .

وقد استخدمه تجار مكة للاتصال بالحبشة والصومال ومصر . وظل ميناء الشعيبة مرفأ لمكة إلى أن قام الخليفة عثمان بن عفان ـ كما سبق ذكره ـ بنقل ميناء مكة المكرمة من الشعيبة إلى جدة ، وهاجر أهل الشعيبة منها أفواجًا إلى جدة ، وأهملت الشعيبة إهمالا تامًا ، وأصبح دورها ثانويا بسيطًا في تجارة البحر الأحمر(٢) .

ووصفها الزمخشري في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في كتاب (الأمكنة والجبال والمياه) بأنها «موضع» ، ولم يزد على ذلك(٣) . مما يدل على أن الشعبية لم يكن له أهمية تذكر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي منذ أن نقل ميناءها إلى جدة وهجرها أهلها .

الحوراء : ذكر المقدسي أن الحوراء ساحل خيبر(٤) ، كما وصفها البكري في بأنها ساحل وادي القرى ، فقال عنها وهو يصف الطريق البحري المتجه شمالا من باب المندب فقال : «يصير إلى جدة وهو ساحل مكة المكرمة ثم يصير إلى الجار وهو ساحل المدينة المنورة ثم يمضي إلى الحوراء وهو ساحل وادي القرى»(٥) ، كما صفها الزمخشري الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

---

(١) البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (المتوفى ٧٣٩هـ) : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق ، علي محمد البجاوي ، بيروت ـ دار الجيل ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ، ٢: ٨٠٢.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣: ٣٥٠ـ ٣٥١.

(٣) الزمخشري : الأمكنة والجبال والمياه ، ١٦.

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٨٣.

(٥) البكري : صورة الأرض ، ٢١.

بأنها ماء لبني نبهان من طيء دون أن يحدد موقعها[١] .

ومهما تكن اختلاف الجغرافيين في تحديد موقع الحوراء ، فالثابت أنها تقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى الشمال من مدينة أملج الحالية ، تقع إلى ست مراحل من الوجه ، ومنها إلى ينبع سبع مراحل . فهي على منتصف الطريق بقرب بلدة أملج الحالية كما يفهم وصف المتقدمين[٢] .

أما في العصر الإسلامي فقد جاء ذكر الحوراء في مواطن عدة في التاريخ الإسلامي منها حادثة ذي العشيرة في السنة الثانية من الهجرة والتي كانت مقدمة لمعركة بدر[٣] .

وكانت الحوراء من أشهر موانئ الحجاز عامة والمدينة خاصة خلال القرن السادس الهجري ، فقد وصفها الادريسي بأنها : «قرية عامرة وأهلها أشراف وعندهم معدن يقطعون فيه الأبارم ومنها يتجهز بها إلى سائر الأقطار المصاقبة والمتباعدة ويتصل بها في جهة الجنوب وعلى قرب منها جبل رضوى وفيه حجر المسن الذي يحمل إلى جميع أقطار الأرض من بلاد المشرق والمغرب وشرب أهل الحوراء من آبار عذبة وبها إرساء وقصر»[٤] .

ويبدو أنها خرّبت خلال القرن السابع الهجري ، وهذا ما نستنتجه من وصف ياقوت الحموي لها خلال القرن السابع الهجري : «اخبرني من رآها في سنة ٦٢٦هـ أن ماءها مالح وبها أثار قصر مبني بعظام الجمال ، وليس بها أحد ولا زرع

(١) الزمخشري : الأمكنة والجبال والمياه ، ٧.

(٢) الجاسر : بلاد ينبع ، ١٨٠.

(٣) ابن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافري (المتوفى ٢١٣هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق ، مصطفى السقا وآخرون ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ نشر .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١: ١١٢.

ولا ضرع»[١]. وما ذكره ياقوت الحموي فيه إشارة إلى أن الحوراء كانت ميناءً عامرًا خلال القرن السادس الهجري.

وتكمن أهميتها في أن محطة في طريق الحاج المصري من العقبة إلى مكة على ساحر البحر[٢]. وكما أنها تشتهر بالملح وبمعدن البرام الذي يصدر إلى كل أقطار العالم خلال القرن السادس الهجري كما ذكر الإدريسي[٣].

ولعل من أهم الأحداث التي شهدتها سواحل الحوراء هي هجوم الصليبيين، مما جعل صلاح الدين الأيوبي يرسل جيشًا بقيادة العادل اخو صلاح الدين الأيوبي عام ٥٧٨هـ، حيث وصل الأسطول الإسلامي إلى ساحل الحوراء، وقام بالاصطدام بالسفن الصليبية وأعمل فيها الحرق والقتل، وفر عدد من الحراس الصليبيين إلى الجبال والشعاب المجاورة فعمل المسلمون على مطاردتهم مستعينين، بالخيول التي حصلوا عليها من أهل المنطقة[٤]، وعلى مدى خمسة أيام. استمرت المطاردة وحصدت عددًا كبيرًا من الأسرى والقتلى الصليبيين[٥].

وقد أهملت الحوراء ابان تتابع الحروب الصليبية وتأثرت حركتها التجارية ولربما عاد الاهتمام إليها تدريجيا في عهد المماليك. إذا ما أخذنا في الاعتبار فترة المماليك التي امتدت منذ عام ٦٤٨هـ وحتى ٩٢٣هـ. فقد فاق ـ ما كُتب عنها في كتب الرحالة خلال عصر المماليك عن الفترات السابقة وكان يشار إليها بأنها من منازل الحجاز.

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان،

(٢) الجاسر: بلاد ينبع، ١٨٠.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، ١: ١١٢. الجزيري: الدرر الفرائد، ٥٢٨.

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (المتوفى ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، بيروت- دار الفكر ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.، ١٢: ٣١١.

(٥) أبو شامة: الروضتين، ٢: ٣٧؛ محمد: مغامرة الصليبي أرناط، ٢٨.

رابغ : رابغ بلدة حجازية على الساحل الشرقي للبحر الأحمر بين جدة وينبع ، شمالًا[١] . وذكر بعض بلداني القرن السادس الهجري أن رابغ واد دون الجحفة على طريق الحاج من دون عزور[٢] ، بينما ذكر آخر من نفس هذا القرن أن بطن رابغ واد عند الجحفة على عشرة أميال من الجحفة ، فيما بين الأبواء والجحفة[٣] . ونقل ياقوت الحموي قوليهما حول موقع رابغ ، واضاف إليها أن رابغ بين الجحفة وودّان[٤] . وقد تحولت رابغ إلى ميقات ومحطة يحرم منها الحجاج منذ أن اصاب الجحفة الوباء وخربت صار الناس يحرمون من رابغ[٥] ، فأحرام أهل الشام والمغرب مما يأتون عن طريق البحر من رابغ لأنها قبل الجحفة بقليل ومن أحرم قبل الميقات بقليل صح احرامه[٦] . وإذا كانوا في السفين في البحر الأحمر وعلموا أنهم صاروا بحذاء رابغ أحرموا ولبوا[٧] .

ويذكر الرحالة الأندلسي ابن رشيد الفهري السبتي (المتوفى : ٧٢١هـ) أن رابغ كانت محطة يحرم منها الحجاج ويتزودن بالماء[٨] . ومهما يكن من أمر ، فرابغ

---

(١) البلادي : معجم معالم الحجاز ، ٤: ٥ـ٨.

(٢) الإسكندري : الأمكنة ، ١: ٤٩٨.

(٣) الحازمي : الأماكن ، ٤٥٣.

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣: ١١.

(٥) مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (المتوفى ٢٦١هـ) : الجامع الصحيح ، موسوعة الكتب الستة ، بإشراف ومراجعة ، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، ط ٣، الرياض ـ دار السلام ١٤٢١هـ. الحج ، حديث رقم (١٣٧٦).

(٦) عبد الله بن جبرين : رسالة السراج الوهاج للمعتمر والحاج ، جمع عبد اللطيف عبد الله الجبريني ، ٢٠١٥م.

(٧) شكيب أرسلان : الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف ، تحقيق ، محمد رشيد رضا ، القاهرة- مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بدون تاريخ ، ١٧٤.

(٨) ابن رشيد الفهري السبتي ، محمد بن عمر بن محمد ، أبو عبد الله ، محب الدين (المتوفى=

ثغور وميناء هام، وتعود أهميته للأسباب التالية :

أولًا : كونها الممر الرئيس للهجرة النبوية .

ثانيًا : اتخاذ الجحفة ميقاتًا لمن يليه، فأصبحت رابغ تمثل همزة وصل بين الأماكن المقدسة في الحجاز وأقاليم العالم الإسلامي الاخرى .

ثالثًا : اهتمام الرسول عليه السلام بها، وتجلى ذلك الاهتمام في كون اولى غزواته عليه السلام، ثم توالت الغزوات والسرايا ولعل هذا ما جعلها من المناطق المهمة التابعة للمدينة المنورة في صدر الإسلام .

رابعًا : كونه الميناء الأقرب الى المدينة المنورة .

خامسًا : أصبحت رابغ إحدى المحطات المهمة على دروب الحجيج البرية والبحرية سواء القائمة من شرق العالم الاسلامي، أو تلك القادمة من غربه(١) .

ولم يشر بلدنيو ورحالة القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كالزمخشري والادريسي وابن جبير إلى رابغ . عدا الحازميّ حيث ذكر أن بطن رابغ واد من الجحفة له ذكر في المغازي وفي أيّام العرب(٢)، والإسكندري الذي ذكر كما اسلفنا أنها دون الجحفة(٣) . لكنهما لم يذكرا تفصيلا أخرى عن أهميتها سوى أنها في طريق الحاج . كما جاء ذكرها عند العبدري في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حيث وصفها بأن فيها : «عربان كثيرة تقيم مع الركب سوقا عظيما، ومن الجحفة الى خليص مسيرة ٣ ايام، ودون خليص على مسافة نصف يوم عقبة السويق» . ولا يعني عدم اشارتهم لها أنه لم تكن موجودة،

=٧٢١هـ) : ملء العيبة بما جمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، ط ١، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م، ١: ٧٤ـ٧٥.

(١) بلسود : ميناء ينبع ورابغ، ٦٩ـ ٧٠.

(٢) الحازمي : الأماكن، ٤٥٣.

(٣) الإسكندري : الأمكنة، ١: ٤٩٨.

فلعل الطريق الذي سلكوه خلال الحج لم يكن يمر برابغ.

ومن المرجح أن رابغ قد حلت خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي محل الجحفة، فقد كانت الجحفة قبل القرن السادس مزدهرة، بسبب موقعها كميقات على درب الساحل، إضافة إلى كثرة الأودية التي تصب فيها، مما ساعد على توفر المياه بكميات كبيرة أسهمت في قيام زراعة، عدا عن توفير الكميات الكافية من مياه الشرب، وهذا أحد عوامل الجلب الرئيسة إليها، والتي جعلت القادمين من مسافات شاسعة وجافة يقصدونها، وبالتالي برزت مكانتها التجارية لكونها ملتقى دروب القوافل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبين السفن القادمة من البحر وكل من المدينتين المقدستين، وكذلك من الشام ومصر وشمال إفريقيا وإليها[١].

واستمر ازدهار الجحفة في الجاهلية وفي العصر الإسلامي، إلا أنها اندثرت كمدينة في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد أشار ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله: «وهي الآن خراب»[٢]. وبما أن ياقوت توفي سنة ٦١٦هـ، فهذا يعني أنها اندثرت في الفترة التاريخية التي أشرنا إليها[٣].

والدليل على صحة ذلك أن البكري الذي زار الجحفة في أواخر القرن الخامس الهجري أشار إلى عمرانها[٤]، أما ابن جبير الذي زارها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٧م، أي في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فلم يدون شيءً عن الجحفة أو رابغ، بالرغم من أنه صحب الموكب العراقي وسلك الطريق

---

(١) بلسود، ميناء ينبع ورابغ، ص ٧٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢: ١٢٩.

(٣) بلسود، ميناء ينبع ورابغ، ص ٧٦- ٧٩.

(٤) البكري، معجم، ١: ٣٦٧.

بين مكة المكرمة والمدينة مكة المنورة[١]، وهل يشير أيضًا الى تحول الطريق عن الجحفة في هذه الفترة، إذ كانت مندثرة، آنذاك[٢]. وبذلك فإن رابغ كمحطة رئيسة لم تظهر على الدرب على الرغم من وجودها في دلتا وادي رابغ[٣]، كما ذكرنا الحازمي[٤].

كما كان لحركة القرصنة الصليبية أثرها في ابتعاد تلك القوافل سواء التجارية أو قوافل الحجيج من سلوك الدرب المار بالساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى الداخل[٥]، وقد ذكر ذلك المقريزي حين قال: «إن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة - شرفها الله - إلا من صحراء عَيذَاب[٦]. زد على ذلك أن نضوب الموارد المائية في الجحفة، واضطراب الأمن في المنطقة في العصر العباسي الثاني أدى إلى هجرة بعض القبائل من المنطقة، ومن أهم تلك القبائل قبيلة بني سليم التي تستوطن المنطقة، وقد قامت هذه القبيلة بالهجرة من مصر ثم إلى شمال إفريقيا، وكان لتلك الهجرة في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي صلة بذلك الاندثار»[٧].

على أن الإدريسي الذي مر بها خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ذكر أنها آهلة بالسكان، وميقات لحجاج بلاد الشام «والجحفة منزل عامر

---

(١) بلسود، ميناء ينبع ورابغ، ص ٧٦- ٧٩.

(٢) بلسود، المرجع السابق، ص ٧٧.

(٣) بلسود، نفسه، ص ٧٩.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣، ١١.

(٥) بلسود، ميناء ينبع ورابغ، ص ٧٨.

(٦) المقريزي، أحمد بن علي)المتوفى ٨٤٥هـ)، الخطط، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، د. ت، ١: ٢٠٢.

(٧) بلسود، ميناء ينبع ورابغ، ص ٧٩.

أهل فيه خلق كثير لا سور عليه وهو ميقات أهل الشام»[١].

ولم تكن رابغ بأحسن حالًا من بقية موانئ وثغور الساحل الحجازي، فقد تعرضت هي الأخرى لهجمات الصليبيين الذين عاثوا فيها فسادًا، حتى تمكن جيش الأيوبي من طردهم وتطهير رابغ وبقية ثغور الحجاز منهم[٢].

وكان الأسطول الصليبي قد أثار الرعب والنهب على الشاطئ الحجازي والذي وصلت بعض سفنه إلى مدينة رابغ، وتُرك القسم الأكبر منها في الحوراء، وكان عدد من التجار والحجاج قد تعرضوا للأسر والنهب من الصليبيين، وقرر أرناط أن يصاحبه عدد من فرسان الداوية، وقرابة ٣٠٠ من المقاتلين الصليبيين، وبرفقتهم بعض المرشدين من الأعراب، التوجه الى المدينة المنورة، وترك بقية جيشه في الحوراء ورابغ[٣]. ولاشك أن هذه الهجمات كان لها أثر سلبي على رابغ اقتصاديًا.

على كل حال، يبدو أن رابغ في ذلك الوقت لم تكن تحظى بأهمية تجارية كبيرة، فلم يشر الإدريسي خلال رحلته إلى الحج إلى رابغ حتى اشارة عابرة واكتفى بانتقاله من قديد إلى الجحفة «ومن قديد إلى الجحفة ستة وعشرون ميلًا والجحفة منزل عامر أهل فيه خلق كثير لا سور عليه وهو ميقات أهل الشام ومنه إلى البحر نحو أربعة أميال»[٤]. ولكن هذا لا يمنع أنها كانت تؤدي دور شبيه بدور الميناء يخدم الحجاز ولو داخليًا، فمن مزايا رابغ أن ميناءها آمن ميناء في الحجاز؛ إذ من المعلوم أن مرافئ بحر الحجاز كلها مخوفة لا تقدر السفن أن ترفأ إليها إلا بدلالة

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ١٣٨.

(٢) ابن فرحون، عبد الله بن محمد (المتوفى ٧٦٩هـ)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق، حسين شكري، بيروت، شركة الأرقم للطباعة والنشر، د. ت، ص ٢٢٦.

(٣) إبن واصل، مفرج الكروب، ٢: ١٣؛ أبو شامة، الروضتين، ٢: ٣٧.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ١٣٨.

بحرية من أهل الحجاز يتخللون البحر أمامها ؛ وأما رابغ فقد عافاها لله من هذه العلة(١) .

عثر(٢) : تقع مدينة عَثّر أو عَثْر على ساحل البحر الأحمر على لسان من اليابسة يمتد داخل مياه البحر الأحمر ويعرف باسم رأس الطرفة .

ويرجع تاريخ الميناء إلى العصر الإسلامي المبكر وظل عامرا حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي . وظهرت عثر في خرائط ابن حوقل للجزيرة العربية كميناء رئيس على الساحل الشرقي البحر الأحمر(٣) . ووقعت عثر في صدر الإسلام تحت سيطرة مدعي النبوة اليمني الملقب بالأسود العنسي ، وتعد هذه أول إشارة وردت لها في المصادر الاسلامية . وكانت عثر مثل السرين إحدى المدن التي تعتمد عليها مكة . وبالإضافة إلى كونها محطة رئيسة في طريق الحجاج . كان ميناءها يخدم كل اقليم الحجاز . وقد بلغت خلال القرن الرابع أوجها حيث

---

(١) أرسلان ، شكيب ، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف ، تحقيق ، محمد رشيد رضا ، القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، د. ت ، ص ١٧٤.

(٢) مخلاف حَكَم وعثر هو الاسم الذي عرفت به منطقة جازان حتى القرن الرابع الهجري ، وهما كيانان سياسيان حكما تلك المنطقة في فترة متزامنة ، وانتهيا في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري بتوحيدهما في إطار سياسي واحد عُرف بـ«المخلاف السليماني» . استمر «المخلاف السليماني» اسم شهرة للمنطقة منذ نشأته في ذلك التاريخ حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، حيث أصبح يعرف باسم «جازان» . ومخلاف حَكَم هو نسبه إلى قبيلة حكم بن سعد العشيرة من مَذْحِج ، أما مخلاف عثر فملوكه من بني مخزوم . وعن اشتقاقه يقول ياقوت الحموي : «لم أسمع في اشتقاقه شيئًا ، لكنه يؤكد أن التسمية ناتجة عن تخلف القبائل في بعض النواحي واستقرارهم بها . فإذا استقرت القبيلة في ناحية ما سموها مخلافًا لتخلفها في تلك الناحية ، وسموا المخلاف باسم أب تلك القبيلة» . محمد بن أحمد العقيلي ، المخلاف السليماني في التاريخ السياسي والاجتماعي ، ١٣٧٨ ه ، ١: ٤٢-٤٨؛ أحمد الزيلعي ، مخلاف عثر في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الخامس ، الرياض ، قسم الآثار والمتاحف ، جامعة الملك سعود ، ١: ١٩٩.

(٣) ابن حوقل : ، صورة الأرض ، ٢٣.

أصبحت المدينة الرئيسة لإقليم تهامة . وقد وصفت عثر خلال تلك الفترة كمدينة مهمة وكبيرة لإقليم تهامة وميناء لصنعاء وصعده . وبها سوق منظم تنظيما ميدان مسجد جامع وحمام عام وكانت مشهورة لإنتاج زيت السمسم[١] .

وقد برزت عثر في تجارة البحر الأحمر خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وارتبط هذا النمو مع بروز سلطة الطولونيين والفاطميين .

ومن الواضح أن عثر كانت على درجة كبيرة من الازدهار التجاري والاقتصادي ، وكانت زبيد تحصل من عثر على إيراد سنوي يزيد على مليون دينار عثري . ومما زاد ثراءها الضرائب التي كانت تفرضها على السفن القادمة من الهند والصين ، كما كانت جزيرة دهلك تدفع لها اللؤلؤ كجزية ، بالإضافة الى الرقيق النبوي والحبشي يجلب من افريقيا إلى عثر ، بل إن ملوك الحبشة كانوا يرسلون الهدايا إلى والي عثر ويعقدون معه تحالفات[٢] .

وقد زاد من قيمة ميناءها أنشاء العباسيين دارين لضرب النقود الأول في عثر والآخر في مدينة بيش . وكانت العملة الذهبية المسكوكة تسمى بالدينار العثري . وأصبح الدينار العثري معروفا جيدا في تهامة ، كما كانت بيش تسك العثرية أو الدينار العثّري ؛ وجميع الدنانير الذهبية العثرية التي كشف عنها والمتوفرة في وقتنا الراهن تعود للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي . وأسباب رخاء عثر والموانئ الأخرى على ساحل البحر الأحمر خلال هذا الوقت لا شك أنها تعود لازدهار مصر كقوة أولا تحت الحكم الطولوني ثم الفاطمي[٣] .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٦٩، ٨٦، ٧٠، ٩٨.

(2) ZARINS, J. (1989) *Arab Southern Red Sea Ports and the Early Chinese Porcelain Trade as Reflected Principally from Aththar, 217-108 Saudi Arabia,* Annali Istituto Orientale di Napoli, 49 (3), p.236.

(3) ZARINS, *Arab Southern Red Sea,* p.236.

كما كان لميناء عثر دور مهم في النشاط التجاري فمدينة عثر تتوسط منطقه زراعيه غنية بما تنتجه من محاصيل زراعيه كما أضاف موقعه المتوسط أهمية أخرى فقد اصبح سوقًا للمنطقة التي حوله فضلا على أن كان المنفذ البحري لمدينتين هامتين هما صعدة وصنعاء[1] . وقد استمرت عثر في القرون التاليه ، حيث وصفها جغرافيو القرن السادس الهجري كميناء ومحطة الحاج[2] .

أما نهاية عثر فقد سكتت عنها المصادر الإسلامية ، والمصدر الوحيد الذي ذكر نهاية عثر هو للمورخ اليمني الجندي ت ٧٣٠-٧٣٢هـ ، حيث ذكر أنها خربت منذ زمن طويل[3] . وقد يكون خراب عثر وقع النصف الثاني من القرن السابع الهجري وهذا التاريخ يصادف تحول عاصمة المخلاف السليماني من عثر إلى جازان العليا[4] .

السرجة أو الشرجة (الحردة): أما السرجه أو الشرجة ، فتقع في الجزء الجنوب الغربي لمحافظة جازان واسمها مشتق من الكلمة السبئية سرج والتي تعني مجرى الماء وقد تكون اكتسبت هذا الاسم بسبب وقوعها في نهاية وادي جراد . ومثل بقية الثغور والموانئ الساحلية وقعت تحت سيطرة الأسود العنسي المتنبيء اليمني[5] .

---

(١) المقدسي : المصدر السابق ، ٧٨.

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١: ١٣٧. al-Thenayian, *The Red Sea Tihami coastal,* p.294.

(٣) الجندي : بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (المتوفى ٧٣٢هـ) : السلوك في طبقات العلوم والملوك ، تحقيق ، محمد بن علي الأكوع ، بيروت ١٩٨٣م ، ٢: ٣٢٧.

(٤) الزيلعي : مخلاف عثر ، ١١٠.

(٥) الهمذاني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (المتوفى ٣٣٤هـ) ، صفة جزيرة العرب ، ليدن ـ مطبعة بريل ١٨٨٤م ، ١٢٠. وقد اخطأ الحازمي والاسكندري عندما ذكرا ان المتنبئ هو مسيلمة الكذاب ؛ لأن مسيلمة ظهر في اليمامة ولم تمتد سلطة إلى هذه المناطق . انظر : الاسكندري : الأمكنة ، ١: ٣٥٩.

وميناء الشرجة أو السرجة معروف منذ العصر الإسلامي ، ويأتي ذكره مرتبطا بذكر عثر[١] . وكانت السرجة ميناء ومحطة الحاج ولها علاقات مع الموانئ الحجازية واليمنية والأفريقية . وقد ورد ذكرها في المصادر الجغرافية المبكرة مثل اليعقوبي وابن خرداذبة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، حيث وصفت بأنها مدينة كبيرة وبها جامع ، ولها مخازن لحفظ الذرة التي تصدر إلى عدن وجدة[٢] .

وقد بلغت أوج ازدهارها في العصرين العباسي والعبيدي (الفاطمي)، وفي حين أن عثر بدأ سكانها بهجرها منذ سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م ، فقد استمرت السرجة مأهولة بالسكان حتى عصر متأخر[٣] ، فقد زارها الرحالة ابن بطوطة ووصفها بأنها مدينة صغيرة يسكنها التجار اليمنيين[٤] .

مما يعطي دلالة إلى أن ميناء السرجة كان لا يزال نشطا تجاريًا واقتصاديًا خلال القرن السادس الهجري ، كما يعطي اشارة إلى التغيرات التي مرت بها السرجة مما أدى إلى تقلصها ولكنها بقيت مركزا هاما لتجار حتى العصر المملوكي . كما وصفها أبو الفداء بأنها ميناء صغير على الساحل بيوتها من الخصاص[٥] ، ولعل الوصف السابق يدل على قلة شأنها ، وأنها لم تعد تقم بدور رئيس في عمليات التبادل التجاري[٦] .

---

(1) ZARINS, *Arab Southern Red Sea Ports,* p.242.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم، ٦٩، ٨٦، ٧٠. AL-THENAYIAN, *The Red Sea Tihami coastal,* p.295.

(3) ZARINS, *Arab Southern Red Sea Ports,* p.242.

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار

(٥) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ٩١.

(٦) العمايرة : موانيء البحر الأحمر، ٤١.

غلافقة: وهو من الموانئ التي ارتبطت بمدينة زبيدن التي حظيت بشهر عالية بسبب اتساع نطاق ما كان لها من علاقات. وكانت زبيد تتلقى من عدن منتجات الهند والصين إما عن طريق البحر أو عن طريق البر. ولما كانت زبيد تقع في سهول اليمن المشرفة على البحر الأحمر، كان سكان الشواطئ يفضلون أن يتزوّدوا منها بمئونتهم لأن ذلك يجنبهم الرحلة إلى عدن الواقعة وراء مضيق باب المندب.

وكان غلافقة أهم ميناء في زبيد، وهو ميناء على ساحل الشرقي للبحر الأحمر، وهو مرسى زبيد(١)، ويقع في الشمال الغربي منها، ويسمى اليوم باسم غليفقة(٢) وقد كانت كما، وكانت زبيد عاصمة تهامة وأكبر مدنها فيما مضى، فلما اندثرت غلافقة انحط شأن زبيد(٣).

ومن الواضح أن ميناء غلافقة كان في أوج نشاطه وازدهاره خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، نستشف ذلك من وصف الادريسي لمدينة زبيد خلال ذلك القرن على اعتبار أن ازدهار هذه المدينة كان يعتمد ـ بعد الله ـ على ازدهار مينائها غلافقة دينة كبيرة وأهلها مياسير أهل ثروة ومال والمسافرون إلها كثيرون وبها يجتمع التجار من أرض الحجاز وأرض الحبشة وأرض مصر الصاعدون في مراكب جدة وأهل الحبشة يجلبون رقيقهم إليها ويخرج منها ضروب الأفاويه الهندية والمتاع الصيني وغيره(٤).

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤: ٢٣٥.

(٢) إبراهيم أحمد المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، القاهرة- دار الكلمة للنشر والتوزيع ١٩٨٨م، ٤٨٣.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤: ٢٣٥.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ١: ١٣.

والحقيقة أن ميناء غلافقه أسهم بدور فعال في النشاط التجاري لليمن لما توفر له من مقومات جعلته يحتل تلك الأهمية ، ومنها قربه من مدينة زبيد ، فقد كان يربطه بها طريق بري هام تسير فيها القوافل التجارية محملة بالبضائع ومتجه نحو مدينة زبيد ، فضلا عن موقعه في سهل زراعي خصب تميز بكثرة انتاجه الزراعي ، كما كانت مياهه صالحه للاستعمال مما أتاح للقوافل والحجيج التزود بما يحتاجون منه[1] . كما اتخذها تجار الكارم مركزًا لهم في جنوب البحر الأحمر ، مما زاد في أهميتها ، وازدهارها التجاري ، ففيها يحطون عند وصولهم من مصر ، ومنها يقلعون إلى الهند والصين ، وعفت من أهم أسواقهم ، ولهم فيها أهم فنادقها[2] . ناهيك عن أطلاله على سهل تهامة[3] .

وكان لهذا الميناء نشاط وشهرة تجارية كبري باستقباله للسفن القادمة من شرق افريقيا حيث كان يقابل ميناء عوان بالحبشة الواقعة على الساحل الأفريقي والذي كانت تأتي منه السفن محملة بالبضائع الى الميناء[4] . فقد كان هذا الميناء متخصص في نقل الرقيق على ساحل زبيد والتي تعتبر من أهم مراكز استقدام الرقيق الأسود من منطقة الحبشة والصومال ويتم نقلهم إلى الحجاز والشام ومصر والعراق وكان الاتجار بهم يمثل مورد رزق للتجار[5] .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ١: ٨٦.

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١: ١٣؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٥: ٨، ١٦؛ عمارنة : موانئ البحر الأحمر ، ٣٦.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق، ١: ١٣؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر، ٢٤٣.

(٤) الإدريسي : نفسه ، ١: ١٣؛ ابن المجاور : المصدر السابق، ٢٤٣.

(٥) بن خرداذبه : المسالك والممالك، ١٥٤- ١٥٥؛ ابن حوقل : صورة الأرض، ٣٣؛ عبد الله العسكر : «اليد العاملة في الجزيرة العربية في العصر الوسيط» ، الندوة العالمية السادسة لتاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الملك سعود، الرياض ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٦م.

ومن غلافقة تخرج السلع الهندية والصينية ، وكانت محطة اقلاع المركب بالمتاجر إلى الهند والصين ، وبذلك كانت مركزًا للصادر والوارد بين الشرق ومصر . وبه أسواق وجوامع ، وتأتيه السفن التجارية من عدن وشرق إفريقيا محملة بالسلع التجارية المختلفة(١) .

مما يعني أن غلافقه اشتهرت نتيجة لازدهار زبيد ، كما أن زبيد ازدهرت بازدهار غلافقة «فهي فرضة اليمن ، وربما يكون مستقر السلطان والجند(٢) ، إضافة إلى وقوعها على طريق الحجاج عبر اليمن ، إذ أن يلملم» ، ميقات أهل اليمن ، تقع على طريق زبيدا ، فلا بد للحجاج من دخول زبيد للتزود بالماء والطعام(٣) .

وهكذا أصبح ميناء غلافقه ملتقى السفن والقوافل التجارية فكانت تصل اليه مراكب الحجاز ومصر والحبشة وهي محملة بالسلع المختلفة وعليها الكثير من التجار القادمين من تلك البلدان ، وكان التجار وقوافلهم يعبرونه أثناء مسيرهم نحو مدينة زبيد ، فكان أشبه بمحطة تجارية للصادر والوارد من التجار من مختلف البقاع ، كما أر تبط بطريق هام مع ميناء عيذاب الشهير حيث كانت السفن التجارية اليمنية تنطلق تنطلق نحوها ، ولم يبلغ ميناء غلافقه ما وصل اليه ميناء عدن من نشاط تجاري بل جاء بعده في ذلك النشاط بين موانئ اليمن المختلفة(٤) .

الأهواب : من الموانئ اليمنية المطلة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ميناء الأهواب ، ويقع الى الجنوب من ميناء غلافقة ، في الجنوب الغربي من مدينة زبيد ، ويبعد عنها نحو ١٨ كم . وقد بني مرسى الأهواب في القرن السادس الهجري/

---

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ٢٤٨.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٨٤؛ أبو الفداء : تقويم البلدان ، ٨٨.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٧٩.

(٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ٢٤٣؛ عبد ، عباس كريم ، «الحياة الاقتصادية لليمن في العصر العباسي» ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الانسانية ، مجلد ١٧، العدد ٢، ٢٠٠٩، ٣٢٠-٣٢١.

الثاني عشر الميلادي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م(١). وكان بعض من يقصدون زبيد يستخدمون مرسى الأهواب(٢).

مما يعني أن مرسى الأهواب من المراسي المستحدثة خلال القرن السادس الهجري، ولكن يبدو أنه لم يكن بأهمية ميناء غلافقة، ولم يبلغ درجته في الازدهار التجاري.

الخاتمة وأهم النتائج

نظرًا لأهمية البحر الأحمر كأحد البحار المطلة على شبه الجزيرة العربية تمتع بمكانة تاريخية واستراتيجية على مرالعصور، فقد عنيت هذه الدراسة بدراسة ثغور وموانئ الجزيرة العربية على الساحل الشرقي للبحر الأحمر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وتوصلت إلى النتائج التالية:

- اتضح من خلال البحث تنوع ثغور وموانئ الجزيرة العربية الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر فهناك ثغور وموانئ على الساحل الحجازي، وأخرى على ساحل تهامة الحجاز وتهامة اليمن.

- خلال الحكم العبيدي (الفاطمي) بمصر ازدادت الحركة التجارية فيها نشاطًا ليس على الساحل الشرقي فحسب، وإنما على الساحل الغربي أيضًا. خاصة بعد بسط نفوذهم على اليمن. واستطاعوا تحويل النشاط التجاري البحري من الخليج العربي إلى البحر الأحمر، وأصبح الشريان الرئيس الذى يربط الشرق بالغرب من

(١) ابن سعيد: بسط الأرض، ٥١.

(٢) ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٦٣-١٦٤.

الناحية التجارية، والمتحكم في التجارة العالمية وقتذاك واهتم العبيديون (الفاطميون (ومن بعدهم الأيوبيون بتأمين الملاحة فيه، حماية للتجارة وحفاظًا على سلامة الحجاج الدين يصلون الى ساحل الحجازي والذين يغادرونه.

– كان لهذه الثغور والموانئ دورًا في التجارة قبل الاسلام واستمرت تؤدي دورها خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي منها ميناء الجار والحوراء والسرين وغيرها حيث لعبت دورا حيويًا في نقل واستقبال السلع والحجاج وغيرهم من المسافرين.

– شهد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ازدهار بعض الثغور والموانئ الشرقية للبحر الأحمر وانحطاط واضمحلال موانئ أخرى. وتتفاوت الأسباب التي أثرت في ازدهار أو انحطاط هذا الميناء أو ذاك، لذلك لم يكن نشاط هذه الموانئ مستمرا على وتيرة واحدة؛ لأنها كانت تتأثر سلبا أو إيجابا بالأوضاع السياسية التي تحدث إما في الحجاز أو في مصر، أو في بلاد الشام، فقد ضعفت الحركة التجارية وغيرها في بعض هذه الموانئ، وأصابها الركود، واقتصرت خدماتها على المنطقة الداخلية وحسب بسبب وجود الصليبيين قرب خليج العقبة، وتهديدهم المتواصل للملاحة في البحر الأحمر، ثم مهاجمتهم لبعض ثغور الساحل الحجازي.

– وعلى الرغم من ذلك فقد اسهمت هذه الثغور الممتدة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى حد كبير في امتداد النشاط التجاري لمكة المكرمة والمدينة المنورة الى البلاد البعيدة، فكانت هذه الموانئ والثغور تستقبل السفن التجارية القادمة من اليمن والحبشة محملة بالبضائع، ثم تنقل القوافل هذه البضائع من ميناء جدة الى مكة المكرمة.

– وقفت الدولة الأيوبية في وجه المشاريع الصليبية لتطويق سواحل البحر الأحمر وأحكام السيطرة عليه. وتمكنت بفضل الله من طرد الحملات

الصليبية التي هاجمت ثغور الساحل الحجازي.

– كان منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بداية التدهور لميناء الجار الإسلامي لأسباب متعددة، كما كان بداية بزوغ ميناء ينبع الذي حل محل ميناء الجار منتصف القرن السابع الهجري.

– من الملاحظ أن موانئ وثغور ساحل تهامة الحجاز واليمن كانت أكثر ازدهارً ونشاطًا من موانئ وثغور الساحل الحجازي، فقد تأثرت الأخيرة بالغزو الصليبي مما انعكس على دورها التجاري والاقتصادي، بل أن هذا الغزو كان من أسباب اضمحلال بعض موانئها كالحوراء والجار.

– كانت جدة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أكثر موانئ الساحل الشرقي للبحر الأحمر ازدهارًا، وانشطها تجاريًا واقتصاديًا، فقد لعبت جدة دورً هامًا باعتبارها ميناء حيويًا لمكة المكرمة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر. فقد استوعبت أسواق جدة التجارة من مصر وسواكن وزنجبار والصومال والهند وجاوة والروملي والأناضول والشام والمغرب والعراق والبحرين ومسقط واليمن، وأوربا وآسيا وغيرها. واستمرت جدة في النمو خلال القرن السادس الهجري لأسباب متعددة منها ازدياد مواردها المالية، تبعًا لزيادة عدد الحجاج، ولازدهار الحركة التجارية فيها التي كانت تنشط في الحج، وحين قدوم القوافل التجارية إليها من عدن. ومما ضاعف ازدهارها خلال ذلك القرن تقاطر التجار والحجاج القادمين من عيذاب إليها بسبب انقطاع طريق الشمال نتيجة لمهاجمة أرناط أمير الكرك موانئ البحر الأحمر؛ لذلك ظل ميناء جدة مركزًا هاما من مراكز تجارة الشرق طيلة العصر الأيوبي.

– يعد ميناء غلافقه من أهم موانئ تهامة اليمن؛ فقد أسهم بدور فعال في النشاط التجاري لليمن لما توفر له من مقومات جعلته يحتل تلك الأهمية، ومنها قربه من مدينة زبيد، فقد كان يربطه بها طريق بري هام تسير فيها القوافل التجارية

محملة بالبضائع ومتجه نحو مدينة زبيد، فضلا عن موقعه في سهل زراعي خصب تميز بكثرة انتاجه الزراعي، كما كان لهذا الميناء نشاط شهرة ونشاط تجاري باستقباله للسفن القادمة من شرق افريقيا حيث كان يقابل ميناء عوان بالحبشة الواقعة على الساحل الأفريقي والذي كانت تأتي منه السفن محملة بالبضائع الى الميناء.

قائمة المصادر والمراجع

١) المصادر

القرآن الكريم.

- الإدريسي، حمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الإسكندري، نصر بن عبد الرحمن، الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- السلمي، عرام بن الأصبغ (من أهل القرن الثاني الهجري)، كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- الإصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ)، مسالك الممالك، بيروت، دار صادر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (د. ت).
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، ط٣، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير المسماة: «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار»، بيروت د. ط، ١٩٦٤م.

- الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت٩٧٧هـ)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق، حمد الجاسر، الرياض، ط ١، دار اليمامة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت٧٣٢هـ)، السلوك في طبقات العلوم والملوك، تحقيق، محمد بن علي الأكوع، بيروت، ١٩٨٣م.
- الحازمي، محمد بن موسى (ت٥٨٤هـ)، الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٤١٥هـ.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ)، الرَّوْض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، ط ٢، مكتبة لبنان، (١٩٨٤م).
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي (٣٦٧هـ)، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د. ت).
- الخضراوي، أحمد محمد (ت ١٣٢٦هـ)، الجواهر المعدة بفضائل جدة، تحقيق، علي عمر، القاهرة، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ.
- ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله (ت٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية (د. ت).
- خسرو، ناصر (ت٤٨١ هـ)، سفر تامة، ترجمة، يحي الخشاب، بيروت، ط ١، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٠م
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، ط ٥، بيروت، دار القلم، ١٩٨٤م.
- ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى العنسي (ت٦٨٥هـ)، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق، خوان قرنيط خنيس معهد مولاي الحسن تطوان، ١٩٥٨م
- ابن رشيد الفهري السبتي، محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين (ت٧٢١هـ)، ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، الأمكنة والجبال والمياه، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- أبو شامة؛ شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت، ط ٢، دار الجيل، (د. ت).
- ابن شداد؛ بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٩م)، سيرة صلاح الدين المسماة النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- ابن رشيد الفهري السبتي، محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين (ت٧٢١هـ)، ملء العيبة بما جمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- ابن شداد؛ بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٩م)، سيرة صلاح الدين المسماة النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
- العبدري، حمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود (ت٧٠٠هـ)، الرحلة المغربية، تحقيق، محمد الفاسي، ١٩٦٨م.
- أبو الفداء، سماعيل بن علي بن محمود (٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، بيروت، دار صادر، (د. ت).
- المختصر في أخبار البشر، تحقيق، محمد ديوب، بيروت، ط ١، دار الكتاب العربي، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- ابن فرحون، عبد الله بن محمد ت٧٦٩هـ تاريخ المدينة المنورة، تحقيق، حسين شكري، بيروت، شركة الأرقم للطباعة والنشر، د. ت.
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، (١٤٠٧هـ).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٧هـ گ ١٩٨٦م.
- ابن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، تحقيق، ممدوح حسن محمد، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م.
- المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق، غازي ظليمات، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، د. ط، (١٩٨٠م).
- المقريزي، أحمد بن علي)ت٨٤٥هـ)، السلوك في معرفة الملوك، تحقيق، محمد بيضون، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الخطط، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، د. ت.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، موسوعة الكتب الستة، بإشراف ومراجعة، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الرياض، ط ٣، دار السلام، ١٤٢١هـ.

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.
- الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت ٣٣٤هـ)، صفة جزيرة العرب، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٤م.
- ابن واصل؛ جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٧٧هـ.
- ياقوت الحموي؛ شهاب الدين بن أبي عبد الله ياقوت (ت ٨٧٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط.
- اليعقوبي، وضاح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، كتاب البلدان، بيروت، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢) المراجع العربية والمعربة:

- أرسلان، شكيب، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، تحقيق، محمد رشيد رضا، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د. ت.
- الأنصاري، عبد القدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، جدة، مطابع الروضة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
- باناجه، عبد الإله، تاريخ جُدَّة من أقدم العصور حتى نهاية العهد العثماني، جدة، ط ١، مكتبة كنوز المعرفة. ٢٠١٥م.
- البلادي، عاتق، معجم معالم الحجاز، مكة، ط ٢، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.
- البلوي، مطلق صياح، تبوك في عهد الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية.
- الجاسر، حمد، في شمال غرب الجزيرة العربية، بيروت، ط ١، ١٣٩٠هـ.
- ــــــ، بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة، الرياض، دار اليمامة للبحث والنشر، ١٩٦٦م.
- ابن جبرين، عبد الله بن جبرين، رسالة السراج الوهاج للمعتمر والحاج، جمع عبد اللطيف عبد الله الجبريني، ٢٠١٥م.

- حينف، جابر عبده، موقف اليمن من الحروب الصليبية، عدن، دار الوفاق للنشر، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- حافظ، صلاح الدين، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٢م.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط ٢، بغداد، ٢٠٠١م.
- ربيع، حسنين، وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ الحجاز واليمن في العصور الوسطى، الندوة العالمية الأولى لمصادر تاريخ الجزيرة العربية، ١٩٧٧م.
- ـــــ، البحر الأحمر في العصر الأيوبي، بحث في البحر الأحمر في التاريخ والسياسة المعاصرة، القاهرة، ١٩٨٠م
- رفعت باشا، إبراهيم، مرآة الحرمين، الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، القاهرة، ١٩٢٥م.
- الرويثي، محمد أحمد، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، القاهرة، ط ٢، مطبعة المدني، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الزهراني، ضيف الله بن يحيى، الجار: مدينة وميناء في: الحضارة الاسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات، الكاتب): مجموعة من الدارسين، القاهرة، اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٩٤.
- الزيلعي، أحمد، مخلاف عثر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الخامس، الرياض، اقسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود.
- مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١ ٤٨٧-هـ، الرياض، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- ميناء السرين النافذة البحرية الثانية لإمارة مكة المكرمة في: الحضارة الاسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات)، الكاتب: مجموعة من الدارسين، القاهرة، اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٩٤.
- عاشور؛ سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، القاهرة، ط ٣، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٦م.
- العبادي، أحمد مختار، وسالم، السيد عبد العزيز، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيرو ت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.
- العبدي، مبارك محمد، النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م - ١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- غبان، علي إبراهيم، بحوث في التاريخ والآثار، الرياض، مطبعة سفير، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ـــــ، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الرياض، مطبعة سفير، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- شاهين، رياض مصطفى، قلعة فرعون ساحة للصدام الصليبي والإسلامي، بحث في كتاب ندوات إتحاد المؤرخين العرب رقم (١١)، القاهرة ٢٠٠٣م.

- سالم، عبد العزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د. ط، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- السليمان، علي بن الحسين، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية في نهاية العصور الوسطى، ١٢٥٠- ١٥١٧م، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- العبدي مبارك محمد، النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م - ١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- القوصي، عطية، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦هـ/١٣٩٦م.
- كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، القاهرة، دار سينا للنشر، ١٩٩٥م.
- محمد، عمر يحيى، مغامرة الصليبي أرناط الفاشلة لغزو الحجاز ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، جدة، جامعة الملك عبد العزيز، ص ٢٠.
- المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م،
- المديريس، عبد الرحمن، المدينة المنورة في العصر المملوكي، الرياض، ط ١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- مورتيل، ريتشارد، الأحوال السياسية والاقتصادية في مكة في العصر المملوكي، الرياض، ط ١، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- واصف بك، أمين، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق، أحمد زكي باشا، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت.
- يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفه، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م.

٣) الدوريات:

- حسن، يوسف فضل، الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر، مجلة الدارة، السنة السادسة، العدد الثالث، جماد الثاني ١٤٠١هـ/ إبريل ١٩٨٠م.
- الجاسر، حمد، الحجاز في القرن السابع الهجري، دراسة في رحلة ابن رشيد الأندلسي، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٢، ص٤ شعبان ١٣٨٥هـ/تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٦٥م.

- ربيع ، حسنين ، بحر الحجاز في العصور الوسطى ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، (الرياض) ، العدد الاول ، ١٩٧٧م ، ص٣٩٩-٤١٦.
- عبد ، عباس كريم ، الحياة الاقتصادية لليمن في العصر العباسي ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الانسانية ، مجلد ١٧، العدد ٢، ٢٠٠٩م ، ص٣٢٠-٣٢١.
- العسكر ، عبد الله ، اليد العاملة في الجزيرة العربية في العصر الوسيط ، الندوة العالمية السادسة لتاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٦م .
- الكلاس ، فايزة ، الحملة الأيوبية الأولى على اليمن بقيادة تورانشاه شمس الدين فخر الدولة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ١١٧-١١٨، كانون الثاني/ حزيران ، عام ٢٠١٢م ، جامعة دمشق .

٤) الرسائل الجامعية :

- باقسي ، عائشة محمد ، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ/ ١١٧١- ١٢٥٠م ، رسالة ماجستير ، اشراف ، محمد حسنين ربيع ، جدة ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م
- ـــــــ ، مكة والمدينة من منصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري دراسة تاريخية حضارية ، رسالة ماجستير ، اشراف ، محمد الحبيب الهيلة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤١٣/ ١٤١٤هـ .
- بلسود ، سميرة مبارك ، ميناء ينبع ورابغ فيما بين عامي ١٢٥٦- ١٣٧٣هـ/ ١٨٤٠- ١٩٥٤م دراسة تاريخية حضارية ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث ، إشراف أميرة مداح ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة/ قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .
-الشمري ، محمد حمزة ، موانئ شبه جزيرة العرب وأثرها في النشاط التجاري البحري ، رسالة دكتوراه ، إشراف حسين الداقوقي ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .
- العمايرة ، خالد محمد سالم ، موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك ، رسالة دكتوراه ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ٢٠٠٤م .

٣) المراجع الأجنبية :

- al-Thenayian, Mohammed A. R; *The Red Sea Tihami coastal ports in Saudi Arabia, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* Vol. 38, Papers from the forty-first meeting of the Seminar for Arabian Studies held in London, 19-21 July 2007 (2008), pp. 289-299, Published by: Archaeopress Publishing Ltd.
- ZARINS, J. (1989) *Arab Southern Red Sea Ports and the Early Chinese Porcelain Trade as Reflected Principally from Aththar, 217-108 Saudi Arabia.*, Annali Istituto Orientale di Napoli, 49 (3), pp.231-269.

المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨)، ١٤٥ ـ ١٧٨

الأهوازُ العَـرَبِيّةُ ـ مَوْقِعُهَا الجُـغْرافِي وعُرُوبَتُهَا

بدر بن حميد منسي السُّلَمي

مُقَــدِّمَة

إن تاريخ الخليج العربي في العصر الحديث ـ بساحليه الغربي والشرقي ـ حافل بالأحداث التاريخية المهمة، ويرجع ذلك إلى موقعه الإستراتيجي الذي جذب إليه السكان للاستقرار، وممارسة نشاطهم الإنساني الذي هو أهم مقومات صناعة الأحداث التاريخية. وهذا مما دفع القوى الدولية الأجنبية للالتفات إليه، محاولة استغلال ثرواته ونهبها، وحدث نزاع وصراعات حول أراضيه، منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى القرن العشرين الميلادي، وبعد بروز الكيانات السياسية المستقلة على ساحلي الخليج العربي زادت حدة الصراع والنزاع مما ساهم في تطور الأحداث، التي ساهمت في تغيير الخارطة الجغرافية في المنطقة بشكل عام.

ومن أبرز تلك الكيانات السياسية في ذلك الوقت إمارة الأهواز العربية (عَرَبِسْتان)، التي لعبت دورًا بارزًا في تلك الأحداث التاريخية، ومن أهم أمرائها وآخرهم هو الشيخ خزعل بن جابر الكعبي، لأنه يمثل القمة التي وصلت إليها إمارة عَرَبِسْتان، وهو أعظم شخصية حكمها، ولعب دورًا رئيسًا في أحداث الخليج العربي في الربع الأول من القرن العشرين، وساهم بشكل فعال في أهم أحداثه، واحتل مكانة مرموقة بين أمراء الجزيرة العربية، وكذلك تمثل نهاية حكمه الانحدار

العربي السريع في إمارة عربستان، وهذا دافع كبير للدراسة لمعرفة أهم آثاره الواضحة والظاهرة في الإقليم.

إقليم الأهواز (عربستان) يقع في الجنوب الشرقي من العراق، وأما قسمه الشمالي الشرقي فيشكل منطقة حاجزة بين الدول العربية الأسيوية وبين الدول غير العربية من قارة آسيا.

إقليم الأهواز لعب دورًا كبيرًا في التجارة لما يحتله من موقع استراتيجي على الخليج العربي، فهو يحتل سواحله الشمالية وله كذلك أهمية أخرى بأنه يشكل منطقة انتقال بين العرب وغير العرب في قارة آسيا.

كذلك له مكانة اقتصادية كبرى لتوافر النفط في أراضيه، ولحاجة العالم الغربي في الحصول على النفط الذي يعتبر العصب الرئيس للصناعة والحروب، وموقعه على رأس الخليج العربي يشكل الطريق الأقصر الذي يربط البحر المتوسط بالمحيط الهندي، واتصاله بميادين النفط والحقول المجاورة بأسهل الطرق وأيسرها مما جعله ميدانا للتنافس الدولي الخطير للحصول على النفط.

المميزات الطبيعية لإمارة الأهواز العربية

التسمية

كان العرب يطلقون اسم الأهوازعلى هذا الإقليم، والأهواز (الأحواز) جمع لكلمة حوز، وأصل الحوز مصدر للفعل حاز: بمعنى الحيازة والتملك[١]، وكان العرب يستعملون هذا اللفظ دلالة على تمليك الأرض دون سواها، ويشيرون بها إلى الأرض التي اتخذها فرد وبيَّن حدودها، فاستحقها دون منازع. كما كانوا

(١) ابن منظور، (جمال الدين): لسان العرب، بيروت ـ دار صادر١٩٩٣م، ٥: ٣٤٢.

يعدونها دلالة للتبعية الإدارية أو السياسية أو العشائرية وذلك للقبائل والحواضر والإمارات، فيقال: حوز فلان، وأحواز تميم، وأحواز البصرة[1].

ويذكر أنه لما غزا الإسكندر المقدوني[2] فارس، وجزأها إلى إمارات، انفرد العرب بهذه المنطقة، وأطلقوا عليها اسم الأهواز نسبة إلى ملكيات قبائلهم لأقسامها[3].

والهوز (بالهاء) يقصد به «السكر»، وكذلك أطلق الاسم على الأرض ثم حُرفت إلى «خوز»، وكثيرًا ما يقال في النسبة إلى هذه الأرض: هوزي أو خوزي[4].

وعندما نزحت القبائل العربية إلى هذا الإقليم، قبل الإسلام، أطلقت عليه اسم (الأحواز)، وقد ذكرها العرب في أشعارهم[5][6].

---

(١) إبراهيم خلف العبيدي: الأحواز أرض عربية سليبة، بغداد ـ دار الحرية للطباعة ١٩٨٠م، ٧.

(٢) هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ، وُلد الاسكندر في مدينة يلا قرابة سنة ٣٥٦ ق. م، وتتلمذ على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطوحتى بلغ ربيعه السادس عشر. وبحلول عامه الثلاثين، كان قد أسس إحدى أكبر وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم، والتي امتدت من سواحل البحر الأيوني غربًا وصولًا إلى سلسلة جبال الهيمالايا شرقًا. يُعد أحد أنجح القادة العسكريين في مسيرتهم، إذ لم يحصل أن هُزم في أي معركة خاضها على الإطلاق، للمزيد انظر إلى عبد اللطيف أحمد علي: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، بيروت ـ دار النهضة العربية ١٩٧٣م، ٣٧.

(٣) خالد المسالمة: الأرض العربية المحتلة، ألكانيا ـ بوخوم ٢٠٠٨م، ١٨.

(٤) علي نعمة الحلو: الأحواز «عربستان» دراسة لجغرافية الإقليم، بغداد ـ دار البصرى ١٩٦٩م، ١: ١٣.

(٥) ومنها قول الشاعر: لا ترجعن إلى الأحواز ثانية وقعقعان الذي في جانب السوق وهربط الذي أمسى يؤرقني فيه البعوض بلسب غير تشقيق.

(٦) المرجع السابق، ١٤.

قال ياقوت الحموي في (معجمه) : « الأهواز» آخره «زاي» ، وهو جمع «هوز» ، وأصله «حوز» ، فلما أكثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيّرتها حتى أذهبت أصلها جملة ، لأنه ليس في كلام الفرس «حاء» مهملة ، واذا تكلّموا بكلمة فيها «حاء» قلبوها «هاء» فقالوا في «حسن» : «هَسن» ، وفي «محمّد» : «مهمّد» ، ثمّ تلقفها منهم العرب فقلبت بحكم الكثرة في الاستعمال ، وعلى هذا يكون «الأحواز» اسمًا عربيًا سُمّي به في أيام الإسلام»[1] .

وتطلق كلمة «الأهواز» على الإقليم بأسره ، وأما البلدة التي يغلب عليها هذا الاسم ، فهي عند العامة «سوق الأحواز» وذلك لتمييزها عن اسم الإقليم[2] .

عربستان

تسمية «عربستان» أطلقها عليها الفرس[3] في عهد «الصفويين»[4] ، و«عربستان»

---

(١) الحموي ، شهاب الدين ياقوت : معجم البلدان ، بيروت ـ دار صادر ١٩٧٧م ، ١: ١٣٢.

(٢) صالح أحمد العلي : الأحواز في العهود الإسلامية الأولى ، بغداد ـ مطبعة أوفسيت العدالة ، ٧.

(٣) تأسست الإمبراطورية الفارسية عام ٥٥٩ق. م .بواسطة كورش . وتعتبر الإمبراطورية الفارسية التي تعرف بدولة الفرس أو الدولة الكسروية ، من أعظم وأكبر الدول التي سادت المنطقة قبل العصر الإسلامي ، حتى إنها فاقت الإمبراطورية البيزنطية في الشهرة والقوة ، للمزيد انظر إلى كاتوزيان ، هوما : الفرس «إيران» في العصور القديمة والوسطى والحديثة ، ترجمة ، أحمد حسن المعيني ، بيروت ـ دار جداول للنشر ٢٠١٤م ، ٣٧.

(٤) ينسب الصفويون إلى صفي الدين الإرديبلي ، المولود سنة ٦٥٠هـ (١٣٣٤م) ، والمتوفى سنة (٧٥٣هـ) ، وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل ، وقد نشأ نشأة صوفية ، وكان صاحب طريقة ، مما ساعد على التفاف الكثير من المريدين حوله ، وانتشار دعوته وأنصاره . وبعد وفاته خلفه في رئاسة أتباعه ، ابنه صدر الدين موسى ، الذي سار على طريقة أبيه ، ثم انتقل الأمر إلى ابنه صدر الدين خواجة علي سياهبوش ، وهو أول من اعتنق المذهب الشيعي من الأسرة الصفوية ، ودعا إليه ، للمزيد انظر إلى طقوش ، محمد سهيل : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، بيروت ـ دار النفائس للطباعة ٢٠٠٩م ، ٣٥. وانظر كذلك العدد الثاني من الراصد : «الصفويون يحالفون الصليبيين» http://alrased.net/show_topic.php?topicid=378

مؤلفة من كلمتين «عرب» و«أستان» التي تعني الأرض، كما هي الحال بالنسبة إلى «خوزستان»، و«عربستان» تعني «بلاد العرب»، وغالبًا ما يطلقه غير العرب على الأرض العربية المجاورة لهم، فالأتراك كانوا مثلًا يسمون «بلاد سوريا» بعربستان لاسيما القسم الشمالي منها، حتّى إن الإيرانيين[1] مازالوا يطلقون تعبير «عربستان سعودي» على «المملكة العربية السعودية» إلى اليوم[2].

وقد أطلقت تسمية «عربستان» على أنحاء إقليم الأهواز كافة، ونجد هذه التسمية في كتابات الرحّالة الغربيين الذين زاروا المنطقة، إذ يذكر «سيربيرسي سايكس»[3]: «كان من دواعي سروري الاقتراب من عربستان والتعرّف على أثارها التاريخية»[4].

وجاءت تسمية (عربستان) من الإيرانيين أنفسهم في عهد الشاه إسماعيل الصفوي[5] الذين أطلقوا هذه التسمية على هذه المنطقة على أنها أرض عربية شعبها

---

(١) اسم «إيران» بالفارسية «أرض الآريين»، وتم استخدام الكلمة محليا منذ عهد الساسانيين، في العصور القديمة، وفي العصور الحديثة، استخدم مجددا في عام١٩٣٥م، وقبل ذلك كان البلد يعرفببلاد فارس، ويستخدم كل من «فارس» و«إيران» بشكل متبادل في السياقات الثقافية، إلا أن «إيران» هو الاسم الذي يستخدم في السياقات السياسية رسميا، للمزيد انظر إلى زاده، علي نوري: ماهي حكاية فارس وإيران، مقالة تاريخية، صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٩٨٩٤ ٣٠/١٢/٢٠٠٥م، ٢٨.

(٢) عباس عساكرة: القضية الأحوازية، المقومات التداعيات التطلعات، بندن ـ دار الحكمة ٢٠٠٤م، ١٥.

(٣) السير بيرسي سايكس (١٨٦٧-١٩٤٥م)، كان جنديًا ودبلوماسيًا وباحثا إنجليزيا ذو نتاج أدبي كبير، كتب أعمالًا متعلقة بالسيرة والجغرافيا والتاريخ، بالإضافة إلى كتاباته حول رحلاته التي قضاها في بلاد فارس. تم إرساله إلىالهندومن هناك قام بجملة من الرحلات عبربلوشستان وبلاد فارس، للمزيد انظر إلى الموسوعة الحرة، على شبكة الانترنت،

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%8A%D8%

(٤) مصطفى علي العتوم: عربستان، عمان ـ المكتبة المركزية العامة ١٩٨١م، ١٤.

(٥) الشاه إسماعيل الصفوي: مؤسس الدولة الصفوية في إيران، وإسماعيل الصفوي هو شاه إيران=

من العرب ، وذلك من دافع أنهم يشكلون الأغلبية المطلقة في هذا الإقليم الذي يحوي من الآثار والملامح ما يؤكد عروبته وأصالته العربية[1] .

وهكذاعرف الإقليم «بعربستان» حتى ظهور الدولة الإيرانية عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ، حين قامت بتغيير المركز القانوني للإقليم بعد الاجتياح العسكري الواقع عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م ، ثم أبدل اسمه من «عربستان» إلى «خوزستان»[2] . وتسمى الآن رسميًا «خوزستان» عند الفُرس ، ويعاقب كل من يسميها بالأحواز أو عربستان[3] .

أعيدت تسمية الإقليم «خوزستان» بعد سقوط الدولة الكعبيّة[4] عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م ، وبالرغم من أن المراجع الفارسية الإيرانية قبل هذا التاريخ كانت تسميها (عربستان) ، إلا أن الأنظمة الإيرانية التي تعاقبت على دفة الحكم طيلة العقود

=(١٥٠١-١٥٢٤م) وهو القائد الديني الذي أسس الحكم للصفويين وهو سليل عائلة دينية لها تقدير واسع في اردبيل والمناطق المجاورة له ، للمزيد انظر : حسن كريم جاف : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، الجزء الثالث ، بيروت ـ الدار العربية للموسوعات ٢٠٠٨م ، ٣: ١٨.

(١) عذبي زيد العتيبي : الاحتلال الايراني لامارة عربستان وحق تقرير المصير ، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة الشرق الأوسط بعمان ، ٣٣.

(٢) خوزستان/ هي جمع خوز ، بلاد القلاع والحصون ، العرب بعد معركة القادسية بنوا فيها مواضع حربية ، وكل موضع سمي خوز بالفارسية ، للمزيد انظر إلى مصطفى عبد القادر النجار : عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي ، بيروت ـ الدار العربية للموسوعات ٢٠٠٩م ، ٣٣.

(٣) شفيق الرشيدات : عربستان الجزء العربي المغتصب ، مطبعة عبده وأنور أحمد ، القاهرة ١٩٦٧م ، ١٣.

(٤) يرجع أصل كعباليا لقبائل العدنانية القديمة ، وقد نزحت من نجد إلى العراق خلال القرن السابع عشر الميلادي ، واستوطنت ضفاف شط العرب في مكان يسمى السابلة مشتغلة بزراعة الأرز وتربية البقر ، ومنذ ذلك الحين أصبحت تابعة للدولة العثمانية ، وصار رؤساؤها يدفعون ضريبة إلى خزانة البصرة مقابل رعيها في أراضي الدولة العثمانية ، للمزيد انظر إلى علاء موسى نورس ، رؤوف عماد عبد السلام : إمارة كعب العربية ، القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م ، ٢١.

الثمانية الماضية تعاقب كل من يسميها (عربستان)[١].

وعلى العموم، ومهما كانت من تسميات فإنها أرض عربية لشعب عربي قديمًا وحديثًا، فلا الاسم العربي يؤكد عروبتها ولا الاسم الأعجمي ينفي عروبتها، بل إن عوامل عديدة كالواقع التاريخي والجغرافي، وتلك البصمات التي تركها سكانها الأصليون العرب منذ أقدم العصور على هذه الأرض، هي التي تؤكّد عروبة إقليم الأهواز، وما المعارضة الإيرانية الشديدة لإطلاق اسم الأحواز أو عربستان على الإقليم، إلا دليل على مدى عنصريّة الأنظمة المتعاقبة على دفة الحكم في إيران، والتي تحارب كل ما هو عربي في إقليم الأهواز[٢].

جغرافية الأهواز

يقع الأهواز(عربستان) إلى الجنوب الشرقي من العراق والشمال الشرقي من الوطن العربي، وهو بذلك يكون نهاية الطرف الشرقي من الهلال الخصيب[٣] الذي يبدأ عند السهول الفلسطينية مارًا ببلاد الشام والعراق، وهو يشكل منطقة حاجزة بين الوطن العربي (آسيا العربية)، والقسم غير العربي من قارة آسيا[٤].

---

(١) عذبي زيد العتيبي: الاحتلال الايراني لإمارة عربستان وحق تقرير المصير، مرجع سابق، ٣٥.

(٢) إبراهيم خلف العبيدي: الأحواز أرض عربية سليبة، مرجع سابق، ٧.

(٣) الهلال الخصيب، مصطلح جغرافي أطلقه عالم الآثار الأمريكي جيمس هنري برستد على حوض نهري دجلة والفرات، والجزء الساحلي من بلاد الشام هذه المنطقة كانت شاهدة لحضارات عالمية، وأهمها العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي حتى ابتداء الممالك والمدن في جنوب الرافدين وشمال جزيرة الفرات السورية وغرب الشام يشتخدم المصطلح عادة في الدراسات الأثرية، إلا أن له استخداما سياسيا أيضا، إذ استخدمه أنطون سعادة منطلقا من التداخل الثقافي في هذه المنطقة الجغرافية عبر التاريخ ليبرهن على وجود أمة واحدة تجمع سكان هذه البيئة الجغرافية، للمزيد انظر للموسوعة الحرة، الهلال الخصيب https://ar.wikipedia.org/wiki.

(٤) علي نعمة الحلو: الأحواز «عربستان» دراسة لجغرافية الإقليم، ١: ١٣.

وقد كان الإقليم إحدى الوحدات السياسية التي كانت تحف بشبه الجزيرة العربية ، فهو امتداد طبيعي لسهول وادي الرافدين متصلا به من الناحية الجغرافية والاقتصادية والطبيعية والبشرية والتاريخية[١] .

وعربستان محصورة بين خطى عرض ٣٠، ٣٤ شمالا ، أما بالنسبة لخطوط الطول فتقع بين ٤٦ و٥١ شرقا ـ وبهذا يكون امتدادها من الشرق إلى الغرب يساوى امتدادها من الشمال إلى الجنوب تقريبا ـ ومن ملاحظة امتدادها بالنسبة لخطوط العرض نجد أنها تقع في القسم الجنوبي من المنطقة المناخية المعتدلة الشمالية[٢] .

حدودها الجغرافية : من الشمال تحدها سلسلة جبال كردستان العراق ، ومن الشرق جبال لرستان(جبال البختيارية) وهذه الجبال تعرف بجبال زاجروس[٣] ، كما تحدها هذه الجبال من الشمال أيضا . ومن الشرق حدود طبيعية تفصل أرض العرب عن الحدود الفارسية ، ومن الغرب العراق ، ومن الجنوب الساحل الشمالي للخليج العربي[٤] .

والتاريخ الجغرافي والجيولوجي لأراضي كل من الأهواز العربية ، والسهل الرسوبي من العراق يؤكد أن كليهما متماثل ، وأن أراضيهما تكونت في وقت

---

(١) ماهر اسماعيل الجعفري ، ضياء أحمد جمعة : الأحواز ، الكويت ـ مطابع الرسالة ، ١٨ـ١٩.

(٢) مصطفى عبد القادر النجار ، والراوي فؤاد : عربستان ، بغداد ـ وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨١م ، ١١.

(٣) جبال زاجروس هي تعتبر الحاجز الطبيعي الذي يفصل إقليم الأحواز عن إيران ، ويجعل منهما منطقتين مختلفتين تماما في الخصائص الجيولوجية والطوبوغرافية والحياتية ، فليس هناك أية علاقة في التكوين الطبيعي بين سهل الأحواز وهضبة إيران الجبلية ، للمزيد انظر إلى ماهر اسماعيل الجعفري، ضياء أحمد جمعة : الأحواز ، مرجع سابق ، ٢١.

(٤) خليل التميمي : الكفاح العربي في عربستان ، دمشق ـ منشورات الجبهة القومية لتحرير عربستان ١٩٦٦م ، ٢٨. وانظر كذلك سلمان الدركزلي : جغرافية العراق والأقطار المجاورة ، بغداد ١٩٥٦م ، ٣٠٤.

واحد من ترسبات دجلة، والفرات، وكارون، وتفرعاته؛ فأدى ذلك إلى ظهور الأراضي الحديثة على جانبي شط العرب؛ لذلك يعتبر سهل الأهواز امتدادًا طبيعيًا للسهول العراقية، حيث لا تتظهر حدود واضحة بينهما، سواء من الناحية الطوبوغرافية[1] أو المناخية[2].

وقد لعب إقليم الأهواز دورًا رئيسًا في التجارة؛ لما يحتله من موقع إستراتيجي على مدخل الخليج العربي، إذ أنه كان يحتل سواحله الشمالية، ويسيطر سيطرة كاملة على موانئه، لاسيما في عهد العباسيين؛ لأن قناة السويس لم تكن موجودة آنذاك ولو كفكرة، كما للأهواز مكانة هامة في العالم الحديث، ليسلكونه غنيا في ثرواته الطبيعية، أو لأهميته الاستراتيجية فحسب، بل لكونه يشكل منطقة انتقال وتداخل بين العرب وغير العرب في قارة آسيا[3].

إمارة الأهواز (عربستان) كانت تتميز بموقع استراتيجي تطل منه عربستان على سواحل الخليج العربي الشمالية، فكان لهذا الموقع دور رئيس في النشاط الاقتصادي في المنطقة[4]، إذ تعتمد حياة عربستان الاقتصادية إلى ثلاث ركائز أساسية هي:

١ـ **النفط**: تعد الأهواز العربية أهم مناطق البترول في العالم إذ توجد فيها أكثر من عشر مدن منتجة له، وهي من المناطق القديمة التي تم التنقيب فيها عن الذهب

---

(١) الطوبوغرافية: هي ما على سطح الأرض من ظواهر تضاريسية.

(٢) كوردنهستد: الأسس الطبيعية لجغرافية العراق، ترجمة جاسم محمد خلف، بغداد ـ دار العلمين ١٩٤٨م، ٧٩.

(٣) مصطفى عبد القادر النجار، والراوي فؤاد: عربستان، مصدر سابق، ١٨ـ٢٠.

(٤) شفيق الرشيدات: عربستان الجزء العربي المغتصب، بحث مقدم للمؤتمر لاتحاد المحامين العرب، مطبعة عبده وأنور أحمد، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٣.

الأسود[١]، فقد تم العثور على النفط أول مرة عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م في مدينة مسجد سليمان، وهي إحدى مدن الأهواز قبل العثور عليه في مناطق الخليج الأخرى[٢]، إذ مدت أنابيب النفط في الأحواز عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م من المناطق النفطية فيها إلى عبادان، التي أنشئ فيها رصيف للبواخر الناقلة للنفط بالإضافة لبناء مصفاة لتكرير النفط فيها[٣].

٢ـ **الزراعة**: تعد الزراعة المورد الاقتصادي الرئيس للشعب العربيالأهواز، وهي حرفتهم الأولى، وتشكل مياه نهري الكارون والكرخة وروافدهما، المصدر الرئيس للري في عربستان التي تشتهر بزراعة النخيل[٤] في المحمرة، وعبادان، والفلاحية، وبزراعة الحنطة والشعير وقصب السكر والرز والقطن وغيرها[٥].

٣ـ **التجارة**: لعبت الأهواز دورًا رئيسًا في التجارة؛ بسبب موقعها الجغرافي المهم على الخليج العربي، فهي تحتل سواحله الشمالية وتسيطر سيطرة تامة على موانئه، فالمحمرة وعبادان أصبحتا ميناءين رئيسين لاستيراد البضائع إلى عربستان، فبنيت لهما مراس حديثة متطورة؛ لاستقبال السفن بأحجامها المختلفة[٦].

لهذا أصبح لإمارة الأهواز (عربستان) خصوصية إستراتيجية كبيرة يمكن تلخيصها[٧] بالآتي:

---

(١) وزارة الإعلام العراقية: عربستان قطر عربي أصيل، بغداد ـ دار الحرية للطباعة ١٩٧٢م، ٨.

(٢) إبراهيم خلف العبيدي: الأحواز أرض عربية سليبة، مرجع سابق، ص ٩.

(٣) شفيق الرشيدات: عربستان الجزء العربي المغتصب، مرجع سابق، ١٧.

(٤) يعتبر امتداد النخيل لأرض العراق، ويوجد في أغلب مناطق الإقليم، ويبلغ تعداده أكثر من (١٢) مليون نخلة.

(٥) علي نعمة الحلو: الأحواز «عربستان» دراسة لجغرافية الإقليم، ١: ٩٧.

(٦) مصطفى عبد القادر النجار، والراوي فؤاد: عربستان، ٢١.

(٧) مصطفى عبد القادر النجار: عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي، ٣٢.

أ ـ وقوعها على رأس الخليج العربي وعلى الطريق الأقصر الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الهندي.

ب ـ اتصالها بمناطق إنتاج النفط والحقول المجاورة بأسهل الطرق وأيسرها، مما جعلها ميدانا للتنافس الدولي الخطير للحصول على النفط[١].

ت ـ مجاورتها للجزء الجنوبي من إيران والعراق والكويت، وإشرافها المباشر على سواحل الخليج العربي وجزره.

ث ـ موقعها العسكري الذي لا يقل أهميته عن مكانتها العسكرية إذ يوصف بأنه في غاية الأهمية لأنه يقع ضمن الجسر الأرضي الذي يصل القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا بعضها ببعض كما أنه يكون خط الدفاع الطبيعي المتمثل بجبال (البختيارية) و(كردستان) بين العراق وإيران[٢].

إمارة الأهواز (عربستان) هي الأغنى من بين الدول العربية المجاورة والبعيدة عدا العراق، وذلك من حيث وفرة المياه العذبة وتعدد الأنهار، وقد لعبت هذه الأنهار دورًا متميزًا في جعل عربستان غنية بالموارد الزراعية، وتربية الماشية والحيوانات منذ أقدم العصور، كما كان لهذه الأنهار أهمية متميزة في أعمال التجارة والنقل، مما جعل عربستان مطمعًا للقوى الأجنبية وفي مقدمتها فارس[٣]. من أبرز هذه الأنهار:

ـ نهر كارون (دجيل الأهواز) وقد لعب دورًا كبيرًا في حياة الإمارة وينبع من جبال البختيارية (لرستان) ويصب في شط العرب، وهو أكبر أنهار عربستان،

---

(١) ماهر إسماعيل الجعفري، ضياء أحمد جمعة: الأحواز، ٣٠.

(٢) مصطفى علي العتوم: عربستان، ١٢.

(٣) عباس عساكرة: القضية الأحوازية، المقومات التداعيات التطلعات، لندن ـ دار الحكمة، لندن، ١٦.

وتقع عليه مدينة الناصرية (الأهواز حاليا) ، كما تقع عليه أيضا مدينة المحمرة عند مصبه في شط العرب[١] .

ـ نهر الجراحي وينبع من مقاطعة بهبهان ، ويصب في هور الفلاحية ، وهو نهر قوي كنهر كارون ويبعد عن مدينة الأهواز نحو (٣) كلم[٢] .

ـ نهر الكرخة ويسمى نهر (السوس) ، لا يقل أهمية عن نهر كارون ، فينبع من جبال بشتكوه الغربية ، ويجري من الشمال إلى الجنوب ويصب في هور الحويزة ، ويسير في أراض منخفضة وبسرعة كبيرة ، ثم يمر مدينة الحويزة ، وبعد ذلك يصب في نهر دجلة[٣] .

هناك أنهار أخرى ، حديثة وقديمة اختفت الآن ، ذكرها مؤرخو العصور الإسلامية[٤] منها :

نهر دبيس : فرع من نهر كارون ، حفره شخص اسمه دبيس بأمر والي البصرة عبد الله بن عامر[٥] في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ ، سكنته فخذ من

---

(١) جبهة تحرير عربستان ، عروبة الأحواز وخرافات حكام إيران ، كوادر الحزب الوطني العربستاني ، ٦.

(٢) إبراهيم شريف : الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي ، بغداد ـ مطبقة شفيق ١٩٦٥م ، ٣٥.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، مكتبة الحياة ١٩٩٢م ، ٤٠٨ ، وانظر كذلك إلى علي نعمة الحلو : الأحواز «عربستان» دراسة لجغرافية الإقليم ، ١: ٣٤.

(٤) جبهة تحرير عربستان : عروبة الأحواز وخرافات حكام إيران ، ٦.

(٥) عبد الله بن عامر : هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي ، ابن خال عثمان بن عفان ﷺ ، ولد في حياة رسول الله ﷺ وتفل في فيه ، فجعل يتلع ريق رسول الله ﷺ ، فقال : إنه لمسقاء ، فكان لا يعالج أرضا إلا ظهر له الماء ، وكان كريما ممدحا ميمون النقيبة ، استنابه عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ﷺ ، وولاه بلاد فارس بعد سعد بن أبي العاص ﷺ ، وعمره إذ ذاك خمسا وعشرين سنة ، ففتح خراسان كلها ، وأطراف فارس ،=

كعب العربية وسميت كعب الدبيس[١].

نهر حميدة: نسبة إلى حميدة زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن عامر، وما زالت آثاره موجودة جنوب القطر في مدينة القبان العربية التي لم يبق منها سوى الأطلال، وهي تقع على الخليج العربي جنوب الإقليم[٢].

وغيرها من الأنهار كنهر زيدان الذي يصب من مدينة الفلاحية، ونهر رباحي الذي يوجد في مدينة الدورق في القسم الجنوبي من الإقليم[٣].

أهم مدن الأهواز

في الأهواز كثير من المدن القديمة الجذور، العريقة في الحضارة، لكل منها ماض تاريخي، إلى جانب المدن الجديدة التي أنشئت في العصور الحديثة لعوامل متعددة، منها تجارية ومنها سياسية ومنها صناعية ومنها التي جاءت مع البترول[٤].

أهم هذه المدن هي:

١ـ الأهواز[٥]: تسمى (الناصرية)[٦] وتقع إلى الشمال الشرقي من مدينة

=وسجستان وكرمان وبلاد غزنة، للمزيد انظر إلى الدمشقي، الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، بيروت ـ دار المعارف ١٩٩٠م، ٨: ١٣٩.

(١) جابر جليل المانع: الأحواز قبائلها أنسابها أمراؤها شيوخها أعلامها، بيروت ـ الدار العربية للموسوعات ٢٠٠٨م، ١٤٧.

(٢) جبهة تحرير عربستان، عروبة الأحواز وخرافات حكام إيران، ٧.

(٣) مصطفى علي العتوم: عربستان، ١٣.

(٤) ماهر إسماعيل الجعفري، ضياء أحمد جمعة: الأحواز، ٢٥.

(٥) ينطقها الفرس (الأهواز) لأنه ليس في كلامهم حرف يماثل حرف (الحاء) العربي، فيلفظونه (هاء).

(٦) سميت الناصرية نسبة لأول أمرائها من بني كعب وهو ناصر بن محمد، انظر إلى البغدادي، عبد المؤمن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار المعرفة ١٩٥٤م، ١: ٣٨.

المحمرة بنحو ١٢٠كم، وتقع على نهر كارون، وهي مركز وعاصمة إمارة الأهواز، ويبلغ عدد سكانها نحو نصف المليون نسمة ونسبة العرب فيها ٧٠٪[١].

٢ـ المحمرة[٢]: غير الفرس اسمها إلى (خرمشهر)، وقد تم بناء هذه المدينة عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٢م على يد يوسف بن مرداو ثاني أمراء المحمرة، قرب مصب نهر الكارون في شط العرب، أصبحت عاصمة الدولة الكعبية، واستمرت حتى عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م. وهي من أقدم الموانئ التجارية في الخليج العربي، وترتبط تاريخيا بالبصرة ارتباطًا اقتصاديًا واجتماعيًا وثيقًا[٣].

٣ـ عبادان[٤]: وتقع جنوب المحمرة نحو (١) كلم، ويسميها الفرس (آبادان)، وهي في شكل جزيرة مستطيلة الشكل، تحيط بها مياه شط العرب من كل الجهات، وتعتبر ميناء رئيس لتصدير النفط، إذ فيها أكبر مصفاة نفط في الشرق الأوسط[٥].

٤ـ الحويزة[٦]: وتقع على نهر الكرخة، يسميها الفرس الآن (دشت ميشان)،

---

(١) مصطفى عبد القادر النجار: عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي، ٤٠.

(٢) سميت بالمحمرة من تكون أرضها نتيجة ترسبات الغرين الأحمر عند مصب نهر كارون، فأصبح ترابها أحمر، ومنها أخذ اسمها.

(٣) ماهر إسماعيل الجعفري، ضياء أحمد جمعة: الأحواز، ٢٢.

(٤) سميت عبادان نسبة إلى القائد العربي المسلم عباد بن الحصين، الذي كان أول من رابط فيها، ونسبتها إلى عباد بإضافة ألف ونون إليها وليس ياء النسبة، فسببها لهجة عربية جنوبية، كانت تضيف هذين الحرفين بدلا من الياء إلى المواضع والأشياء عند نسبتها إلى الأشخاص والصفات، انظر إلى مصطفى عبد القادر النجار، والراوي فؤاد: عربستان، ١٦.

(٥) قال ابن حوقل في كتابه صورة الأرض ٥٣، (وأما عبادان فحصن صغير على شط البحر).

(٦) الحويزة تصغير للحوزة، وهو موضع القائد الأمير دبيس بن عفيف الأسدي في أيام الطائع لله العباسي، وقبيلة بني أسد كانت في المنطقة منذ القدم، وقد أسس بنو أسد إمارة مستقلة اتخذت مدينة الأهواز عاصمة لها، ودامت إمارتهم بين قوة وضعف، حتى قيام إمارة المشعشعين العربية، حيث =

تقع شمال غرب المحمرة، وكانت في الماضي عاصمة لدولة المشعشعين عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م أيام المغول[١]، وكانت تابعة للعراق، وهي موطن لقبيلة بني الطرف[٢].

٥ـ الفلاحية (الدورق): يسميها الفرس الآن (شادكان) تقع في جنوب عربستان وهي على نهر الجراحي، وكانت عاصمة أمراء عربستان قبل بناء مدينة المحمرة[٣].

٦ـ مسجد سليمان: تقع في أقصى الشرق وتكثر فيها آبار النفط، وتمتد منها أنابيب النفط حتى مصفاة عبادان.

٧ـ آغا جاري: تقع في غرب عربستان وتضم مجموعة غزيرة من آبار النفط[٤].

فضلا عن العديد من المدن القديمة والحديثة التي لها أهميتها التجارية والسياسية.

وفيما يتعلق بالسطح نلاحظ أن سطح الأهواز سهل من بسط متشابه في جميع أجزائه، تشقه عدة أنهار، وتتخلل بعض أقسامه أهوار ومستنقعات[٥]. وأما

=ساعد بنو أسد السيد محمد المشعشعي في حروبه وساندوه في دعوته، للمزيد انظر إلى الحموي، شهاب الدين ياقوت: معجم البلدان ٣: ٣٧٣، وكذلك إلى كتاب عربستان عبر التاريخ، موجز تاريخ عربستان، مركز دراسات سيلام بدون تاريخ، ١٣.

(١) جاسم حسن شبر: تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، النجف ـ مكتبة دار الآداب ١٩٦٥م، ١٢.

(٢) إبراهيم خلف العبيدي: الأحواز أرض عربية سليبة، ١٢.

(٣) علي نعمة الحلو: الأحواز «عربستان» دراسة لجغرافية الإقليم، ١: ٧٤.

(٤) ماهر إسماعيل الجعفري، ضياء أحمد جمعة: الأحواز، ٢٥.

(٥) مصطفى عبد القادر النجار: عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي، ٣٧.

الأراضي البعيدة عن الأنهار فهي صحراوية قاحلة تغمرها السباخ، وترتفع الأراضي فجأة من الشرق إلى ارتفاعات شاهقةعن جبال البختيارية.

هنا كسلسلة من التلال طولها نحو ٣٠ ميلا، وارتفاعها نحو ٣٠٠ قدم من منطقة الأحواز، ويشقها نهر كارون عند مدينة الأحواز[١].

أما تربة هذا الأقليم فقد تأثرت كثيرا بالرواسب الخشنة التي حملتها المجاري المائية الصغيرة المنحدرة من المرتفعات الفارسية نحو هذا السهل، فتكونت أودية صغيرة ضيقة، حفرتها المجاري أثناء انحدارها من المرتفعات الجبلية الفارسية[٢]. ومن ناحية أخرى لا يختلف مناخ أقليم عربستان عن مناخ مدينتي البصرة، والعمارة العراقيتين، فما ينطبق على هاتين المدينتين ينطبق على عربستان، فمناخ الإقليم حار ذو رطوبة نسبية عالية صيفا، وبارد ممطر شتاء[٣].

أما الرياح فهي رياح شمالية غربية، وتكون حارة جافة تهب من الإقليم الصحراوي غرب العراق، ومن الخليج العربي تهب رياح جنوبية شرقية كثيرة الرطوبة، وقد تعتدل الحرارة عندما تهب الرياح الشمالية في فصل الصيف[٤].

سكان الأهواز العربية

عدد السكان في عربستان على حسب إحصاء عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م أكثر من ثلاثة ملايين ونصف مليون، كلهم من العرب، باستثناء (٤٠٠) أربعمئة ألف نسمة من الإيرانيين، استوطنوا في هذا الإقليم عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٥ م، بعد

---

(١) سلمان الدركزلي: جغرافية العراق والأقطار المجاورة، ٢٧٩.

(٢) كوردنهستد: الأسس الطبيعية لجغرافية العراق، ٥٧.

(٣) الخزعلي، نصار أحمد: الأحواز الماضي الحاضر المستقبل، بغداد ـ منشورات الشرق الأوسط ١٩٩٠م، ٢٧.

(٤) مصطفى عبد القادر النجار، والراوي فؤاد: عربستان، ١٣.

الاحتلال الفارسي له، وذلك في نطاق حملة التفريس[١].

وعلى وفق أدقّ الدراسات، تبلغ مساحة الأهواز العربية (٣٤٨) ألف كيلو مترٍ مربّع، أي أكثر من مساحة بلاد الشام كلها (سورية والأردن وفلسطين ولبنان)، ويبلغ عدد سكانها العرب أكثر من (١٢) مليون نسمة[٢].

وينتمي السكان إلى قبائل عربية عريقة في عروبتها، نزحت إلى هذا القطر من شبه جزيرة العرب قبل الفتح العربي الإسلامي، ثم توالت الهجرات بعد الفتح، فاستقروا على ضفاف شط العرب ونهر كارون، متخذين الزراعة مهنة لهم، لكن هذا التحول لم يشمل القبائل كلها[٣]، والظاهرة الاجتماعية التي تسترعي الانتباه في عربستان، هي أنه ليس هناك عشيرة فيها إلا ولها أصل في العراق[٤].

أهم القبائل العربية في عربستان هي قبائل كعب، وقد نزحت من العراق إلى قبان ثم إلى الفلاحية (الدورق)، وانتشرت هذه القبيلة الضخمة، في الأطراف السفلى من مصب نهر كارون، واستقرت في القسم الجنوبي الغربي من المنطقة، وتمسك بعضهم بطابعهم البدوي[٥]، وقد كان لهذه القبيلة دور كبير في تطور الحياة السياسية في عربستان.

وأهم تفرعات هذه القبيلة هم: عساكرة، البو صبيح، البو غبيش، البو كاسب، مقدم، خنافرة، شارودية، البودلي، دريس، البو صمور، البوغضبان،

(١) إبراهيم خلف العبيدي: الأحواز أرض عربية سليبة، ١٣.

(٢) محمد بسام يوسف: الأحواز (عربستان) المحتلة إيرانيا، مقالة عن الأحواز، بتاريخ ١٠/١٠/١٤٣٣هـ، موقع المسلم http://almoslim.net/node/127432.

(٣) نصار أحمد الخزعلي: الأحواز الماضي الحاضر المستقبل، ٤١.

(٤) إبراهيم خلف العبيدي: الأحواز أرض عربية سليبة، ١٤.

(٥) علي نعمة الحلو: الأحواز قبائلها وأسرها، العراق ـ مطبعة الفرى الحديثة ١٩٧٠م، ٤: ١٤٤.

كثيرات، النصار، كعب الدبيس[1].

مما سبق يتضح، أن إقليم الأهواز العربية (عربستان) ومن خلال موقعه الجغرافي في الجنوب الشرقي من العراق، يكون نهاية الطرف الشرقي من الوطن العربي، وهي منطقة حاجزة بين آسيا العربية والقسم الغربي غير العربي من هذه القارة. والإقليم امتداد طبيعي لسهول وادي الرافدين، فهي متصلة اتصالًا يكاد يكون تامًا به من النواحي الجغرافية والاقتصادية والعسكرية والجذور التاريخية.

عروبة الأهواز (عربستان)

إن عروبة الأهواز ترجع في أصولها إلى جذور الماضي، وهم إلى يومنا هذا يكونون الأغلبية الساحقة في المنطقة. فالحقيقة الكبرى هي: أن الأهواز (عربستان) وطن عربي، وعروبتها لم تكن وليدة ظرف تاريخي معين، بل هي أمر يرجع في أصوله إلى جذور الماضي وإلى طبيعة الإقليم[2].

والتاريخ القديم يؤكد أن عرب الإقليم ظلوا أسياد ساحل الخليج العربي، وأن الفرس وملوكهم لم يتمكنوا أبدًا من التقدم نحو البحر، وأنهم تحملوا صابرين على مضض بقاء هذا الساحل ملكا للعرب[3].

تعرض جنوب غربي آسيا ـ بما فيه الأهواز ـ للسيطرة العثمانية منذ القرن السادس عشر الميلادي، وقد نازعتها السيادة الفارسية، كما أن الزحف الأوروبي بدأ يستهدف المنطقة، فأثر ذلك تأثيرًا عامًا فيها، الأمر الذي عرضها للتدهور

---

(١) جابر جليل المانع: الأحواز قبائلها أنسابها أمراؤها شيوخها أعلامها، ١٤٤ـ١٤٨.

(٢) مصطفى عبد القادر النجار: عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي، ٨١.

(٣) جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، القاهرة ـ مكتبة مدبولي ٢٠٠٦م، ١٦٦.

الاجتماعي والسياسي مدة ليست بالقصيرة ، إلا أن القرن التاسع عشر الميلادي شهد بوادر نهضة في المنطقة أدت إلى ظهور فكرة القومية العربية التي سرعان ما اصطدمت بفكرتين أخريين : الأولى فكرة الجامعة الإسلامية[١] التي عدّت الأحواز جزءًا من الامبراطورية العثمانية ، والثانية فكرة القومية الفارسية (الإيرانية) الحديثة التي تغلبت على الأولى فقضت على الحكم العربي في الأحواز العربية[٢] .

إن النزاع العثماني الفارسي على المنطقة ، يمثل في الواقعالتصادم بين الفكرتين السابقتين ، وكان التيار الثاني أقوى من الأول ، إذا كان موقف العثمانيين رخوًا في المباحثات ، في حين كان موقف الفرس صلبًا . وبالرغم من تصديق التنازل في معاهدة أرضروم الثانية ، فإن الإمارة بقيت عربية لا تقر بشيء مما وقع ، كما أن فارس نفسها أبقت الاستقلال الذاتي لها ، واعترفت بإمارة الحاج جابر بن مرداو وأولاده من بعده[٣] .

---

(١) إن فكرة الجامعة الإسلامية في الأساس فكرة جمال الدين الأفغاني التي كان ينادي بها من أجل توحيد الشعوب الإسلامية لا توحيد الحكام فقد فقام السلطان عبد الحميد بتبني هذه الفكرة لتجميع الشعوب تحت راية واحدة وهي الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد وترتكز على دعوة المسلمين فيما بينهم لإصلاح أحوالهم ولمواجهة موجات الاستعمار الأوروبي حيث تكون الدولة مبنية على الشورى والانتخاب والمطالبة بإصلاح أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية فقام السلطان عبد الحميد بتقريب إليه جمال الدين الأفغاني لإنجاح فكرة الجامعة الإسلامية . للمزيد انظر إلى عبد الرؤوف سنو : الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية ، مجلة حوار العرب ، العدد ٤ ، (٢٠٠٥م) ، بيروت .

(٢) النجار ، مصطفى عبد القادر ، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ، ٧٢.

(٣) مصطفى عبد القادر النجار : عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي ، ٨٢.

إمارة الأهواز عبر التاريخ

مر إقليم الأهواز العربية مع الوطن العربي في مراحل تاريخية واحدة منذ أيام العيلاميين[١] نحو (٤-٦ ألاف سنة قبل الميلاد) الذين أقاموا حضارة قديمة انتشرت بالحيز الجغرافي الممتد من إقليم عربستان في الجنوب إلى مناطق بو شهر في إيران ، ومن الغرب إلى البصرة والكوت في العراق ، ولم يكن هذا الإقليم موجودا في فجر التاريخ ؛ لأنه كان مغمورا بمياه الخليج العربي ، وعندما بدأت المياه تنحسر منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، بدأ في استيطانه الشعب العيلامي الذي خضع في بادئ الأمر لسلطان المملكة الأكدية[٢] في جنوب العراق ، ولكن هذا الخضوع لم يتصف بالدوام والاستقرار ؛ بسبب ثورات العيلاميينوغاراتهم المتقطعة على المدن الأكدية[٣] .

ثم أصبحت مدينة الشوش (سوسة)[٤] في الأحواز عاصمة الممالك العيلامية

---

(١) العيلاميون هم أقوام سامية جزرية الأصل والمنشأ ينتسبون إلى ابن لسام بن نوح يدعى عيلام وقد اتخذ العيلاميون من مدينة السوس (الشوش حاليا) عاصمة لهم وكثيرا ما سميت بلاد عيلام بـ (سوسيانا) وتكاد حضارة العيلاميين تختلط بالحضارات الأكدية والسومرية والكلدانية والآشورية ، للمزيد انظر إلى السعدون ، نصار سليمان : الحضارة العيلامية ، الموسوعة العربية ، الموقع ، http://www.arab-ency.com/ar/

(٢) الإمبراطورية الأكدية هي إمبراطورية تمركزت في مدينة أكاد وحسب التأريخ التوراتي أكد (وبالمناطق المحيطة بأكد في منتصف بلاد الرافدين) حاليا العراق ، تقع مدينة أكد على الصفة الغربية لنهر الفرات بينزمبير وكيش في العراق ٥٠كم جنوب غرب مركز بغداد . ازدهرت الحضارة الأكدية خلال الفترة ٢٢-٢٤ ق.م ووصلت ذروتها ، عقب غزو سرجون الأكدي . انظر : عيد مرعي : اللسان الأكادي ، دمشق ـ منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠١٢، ١٦.

(3) PEVAN EDWYN, *The Land of the two Rivers*, London 1917, pp.23-27.

(٤) هي مدينة في محافظة خوزستان في إيران ، أحد أقدم المدن في إيران وتقع في إقليم الأحواز ويرجع تاريخ بنائها إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد ، وكانت آخر عاصمة للعيلاميين قبل مجيء قبائل الفرس إلى الهضبة الإيرانية ، للمزيد انظر إلى موسوعة المعرفة ، http://www.marefa.org/index.php .

المتواترة التي حكم فيها ملوك العلاميين، كان آخرهم الملك (نيروفر)[١]، ثم قامت بعد ذلك المملكة البابلية في وسط العراق سنة (٢٢٠٠) قبل الميلاد[٢]، ولما استقر أمرهم تطاحنوا مع العيلاميين على السيادة والنفوذ، ودارت حروب بين الفريقين مدة من الزمن؛ بهدف إخضاع كل منهما لسلطان الآخر[٣]، حتى اعتلى عرش الحكم البابلي (حمورابي) سادس ملوك الدولة البابلية سنة (٢٠٩٤) قبل الميلاد[٤].

وظلت الأهواز في كل عهود القبائل العربية الآشورية والكلدانية النازحة من شبه الجزيرة نحو العراق، تستقبل مزيدا من الوافدين العرب من الجنوب استقبالا مستمرا لتشكيل جزء من ممالك (بابل) و(آشور) و(نينوى)[٥] في العراق[٦].

---

(١) الملك نيروفر: هو أخر الملوك العيلاميين، والذي أغتصب منه الحكم أردشير الأول وجعل مدينة الأحواز عاصمة له.

(٢) بابل: هي مدينة عراقية كانت عاصمة البابليين أيام حكم حمورابي حيث كان البابليون يحكمون أقاليم ما بين النهرين وحكمت سلالة البابليين الأولى تحت حكم حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠) قبل الميلاد في معظم مقاطعات ما بين النهرين، وأصبحت بابل العاصمة التي تقع علي نهر الفرات. انظر إلى العفيفي، عبد الحكيم: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، دار أوراق شرقية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٨٠.

(٣) علي نعمة الحلو: الأحواز (عربستان) في أدوارها التاريخية، بغداد ـ دار البصرى، ٢: ١٢.

(4) SYKES PERCY, *A History of Persia*, London, p.25.

(٥) نينوى: مدينة أثرية قديمة، تعتبر من أقدم وأعظم المدن في العصر القديم، تقع في بلاد الرافدين في شمال العراق على الضفة اليمنى لنهر دجلة، وكانت عاصمة الامبراطورية الآشورية، كانت نينوى أكبر مدن العالم في فترة الامبراطورية الآشورية الحديثة، وتنتشر بقاياها في الجانب الأيسر من مدينة الموصل في محافظة نينوى شمال العراق على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وقد دمرت نينوى بعد معركة نينوى ٦١٢ ق.م بعد أن غزاها نبوبولاسر ملك بابل بالتحالف مع الميديين والكلديون وأرمنوكيميريون، أدت الى دمار المدينة ونهبها وسقوط الامبراطورية الآشورية الحديثة، للمزيد انظر إلى الموسوعة الحرة على الانترنت، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%

(٦) شفيق الرشيدات: عربستان الجزء العربي المغتصب، ٣١.

ففي حكم الآشوريين[١] استرد العيلاميون وجودهم المستقبل في زمن ضعف مملكة بابل، ولكن هذا الاستقلال لم يدم طويلا نتيجة سيطرة الآشوريين، واحتلالهم عاصمة العيلاميين سنة (٦٤٦) قبل الميلاد، وبعد اقتسام الكلدانيين[٢] والميديين[٣] أراضي المملكة الآشورية سنة (٦٠٦) قبل الميلاد، فأخذ الميديون القسم الشمالي من المملكة، وأخذ الكلدانيون القسم الجنوبي منها الذي شمل إقليم عربستان[٤].

وقد توحدت القبائل الفارسية تحت قيادة (كورش الأكبر)[٥] مع القبائل الميدية

---

(١) الآشورية: هي مجموعة عرقية دينية سامية مسيحية تسكن في شمالما بين النهرين في العراق وسوريا وتركيا وبأعداد أقل في إيران، كما توجد أعداد أخرى في المهجر في الولايات المتحدة ودول أوروبا وخاصة بالسويد وألمانيا. ينتمي أفراد هذه المجموعة العرقية إلى كنائس مسيحية سريانية متعددة ككنيسة السريان الأرثوذكس والكاثوليك والكنيسة الكلدانية وكنيسة المشرق. للمزيد انظر إلى: سبستينوموسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، بيروت ـ دار القي ١٩٨٦م، ٦١.

(٢) الحضارة الكلدانية هي حضارة قديمة قامت في بلاد ما بين النهرين بين ٦٢٦-٥٣٩٩ ق. م، وفي عام ٦١٢ ق. م. سقطت مدينة نينوى بيد الأمير الكلداني نبو بلاصر، بعد أن حاصرها، ودك حصونها، فأحرق آخر ملوكها سن شر أشكن نفسه في قصره. وهكذا انتهى النفوذ السياسي والعسكرى للآشوريين، وبدأت صفحة جديدة من تاريخ العراق القديم حمل فيها الكلدانيون مشعل الحضارة في وادي الرافدين. أشهر ملوك الكلدانيين نبوخذ نصر، حكم ٤٣ سنة، قضاها في تعمير مدينة بابل. وأعظم أعماله حدائق بابل المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع، للمزيد انظر إلى فتوحي، حنا عامر: الكلدان منذ بدء الزمان، ٢٠٠٤م، ١٢١.

(٣) الميديون: أسرة ملكية فارسية كونت لها امبراطورية في فارس عام ٥٥٩ ق. م. واستولت على ليديا غرب الأناضول وبابل وإيران وفلسطين ومصر، التي امتدت في أوجها إلى جميع أرجاء الشرق الأدنى، منوادي السند إلى ليبيا، وشمالاً حتى مقدونيا. وهكذا فقد تمكنوا من السيطرة على جميع الطرق التجارية المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط عبر البر والبحر، للمزيد انظر إلى كاكي، حسن: الامبراطورية الميدية البداية والنهاية، ١٩.

(٤) عباس عساكرة: القضية الأحوازية، المقومات التداعيات التطلعات، لندن ـ دار الحكمة، ٥٣.

(٥) قورش الكبير أو كورش أول ملوك فارس (٥٦٠-٥٢٩ ق. م) واسمه كورش بن كمبوجية بن=

سنة (٥٣٦) قبل الميلاد، وعندها قامت الأسرة (الأخمينة)[١] التي قسمت سلطانها إلى أقاليم يتولى الحكم فيها من يعينه الملك (الأخميني)، الذي كان يراعي العادات الاجتماعية الخاصة بوراثة الحكم في تلك الأقاليم[٢].

لذلك فإن غزو المملكة الأخمينية لإقليم عربستان سنة ٥٣٩ (قبل الميلاد)، لم يغير نظام الحكم القائم، فاستمر العرب الساميون متمتعين باستقلالهم الذاتي، وقوانينهم البابلية التى كانت سائدة، كما لم يحاول (الأخمينون) فرض ديانتهم (الزرادشتية)[٣] على الإقليم الذي بقي خاضعا لقوانين العرب الخاصة[٤].

حكام الشعب البابلي (السامي) الذي استوطن عربستان والعراق أسسوا علاقة طيبة مع الملوك الأخمينيين، وذلك أنه قطع شوطا كبيرا في مضمار الحضارة على عكس الأقاليم الأخرى، وقد خضعت عربستان لحكم الأسرة السلوقية منذ سنة (٣١١) قبل الميلاد إلا إن (البارثيين) وهم من القبائل التي لها صلة نسب

=كورش، أحد أعظم ملوك الفرس الأخمينية، استولى على آسيا الصغرى، وبابلوميديا، حكم من (٥٥٠-٥٢٩ ق. م)، للمزيد انظر إلى: زينب فواز: الملك كورش، القاهرة ـ مؤسسة هنداوي للتعليم ٢٠١٤م، ٣١.

(١) الأخمينيون هم أسرة ملكية فارسية كونت لها إمبراطورية في فارس عام ٥٥٩ ق. م. واستولت عليليديا غرب الأناضول وبابل وإيران وفلسطين ومصر، التي امتدت في أوجها إلى جميع أرجاء الشرق الأدنى، من وادي السند إلى ليبيا، وشمالاً حتى مقدونيا. وهكذا فقد تمكنوا من السيطرة على جميع الطرق التجارية المؤدية إلىالبحر الأبيض المتوسط عبر البر والبحر؛ وأسقط الإسكندر الأكبر هذه الإمبراطورية عام ٣٣١ ق .م. ومن ملوكها قمبيز وقورش سيروس. وتعتبر فترة حكم هذه الإمبراطورية هي فترة الحضارة الفارسية، للمزيد انظر إلى فرزات، محمد حرب: تاريخ فارس القديم، جامعة دمشق، ١٩٩٠م https://ar.wikipedia.org/wiki

(٢) علي نعمة الحلو: الأحواز (عربستان) في أدوارها التاريخية، ٢: ١٧.

(٣) هي ديانة فارسية قديمة وفلسفة دينية كانت الدين الرسمي للإمبراطوريات الأخمينية والبارثية والساسانية.

(٤) عبد الرزاق الحسني: العراق قديما وحديثا، بغداد ـ دار الشؤون الثقافية، ١: ١٦.

بالأتراك[١]. تمكنوا سنة (١٢٦) قبل الميلاد من القضاء على الأسر السلوقية[٢]، واتخذوا (طيسفون)[٣] عاصمة لهم، ومدوا سلطانهم إلى كل الأقاليم التي كانت خاضعة لحكم (السلوقيين)، ومنها إقليم عربستان حتى قيام الأسرة الساسانية بالقضاء على المملكة (البارثية)[٤] سنة (٢٢٦م)، والتي لم تتمكن من بسط سيطرتها على عربستان إلا في سنة (٢٤٥م)، إلا أنها لم تخضعه إخضاعا تاما بسبب الثورات المستمرة فيه، الأمر الذي كان يفرض عليها إرسال حملات عسكرية لمواجهة هذه الثورات، وكان آخر هذه الحملات تلك التي قادها (سابور الثاني) سنة (٣١٠م) اقتنع بعدها (الساسانيون) بعدم قدرتهم على حكم الساميين (العرب)، فسمحت لهم بإنشاء إمارات تتمتع باستقلال ذاتي مقابل دفع ضريبة سنوية للملك الساساني[٥].

وبهذا كانت عربستان طيلة عهد الفرس الساسانيين وحتى أوائل القرن السابع الميلادي أرضا عربية خالصة، تربطها بفارس روابط دفاع عسكرية، وتعاون تجاري، وكان شعب الأهواز خلال هذه المدة شعبًا عربيًا تحكمه في الداخل أعرافه

---

(١) شفيق الرشيدات: عربستان الجزء العربي المغتصب، ٣٣.

(٢) المملكة السلوقية: وعاصمتها مدينة سلوقية التي تقع على الضفة من نهر دجلة جنوب بغداد، ولم يعد لتلك المدينة وجود في الوقت الحاضر. للمزيد انظر إلى جواد، حسن حمزة: نشوء الدولة السلوقية، رسالة ماجستير، بغداد، ٢٠٠٨م، ص ٧٩.

(٣) طيسفون: كان موقع هذه المدينة قبل اندثارها على الضفة اليسرى لنهر دجلة مقابل مدينة سلوقية، المرجع السابق، ٨٧.

(٤) هم السلالة المؤسسة للإمبراطورية البارثية وهو اسم منطقة تاريخية في شمال شرق إيران تعادل تقريبا غرب خراسان عرفت بكونها المركز السياسي والثقافي للسلالة الأرشكية التي حكمت الإمبراطورية البارثية. التي حاربت السلوقيين ثم الرومان وبقى سلطانها خمسا وسبعين وأربعمائة سنة (٢٤٩ ق. م - ٢٢٦م)، ويسمى أول ملوكها أرشكو ينسب، كدأب الفرس في وصل الأسر الحديثة بالقديمة، للمزيد انظر للموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki

(٥) عباس عساكرة: القضية الأحوازية، المقومات التداعيات التطلعات، ٥٥.

وتقاليده العربية الخالصة، وتربطه بالإمبراطورية الفارسية سلطة اسمية وولاء رمزي. وكانت هذه الإمبراطورية لا تتجاوز الحدود مع الإمارات العربية مجتمعة أومنفردة؛ لأنها كانت تواجه تمردا وثورة وحربا من كل العرب المجاورين لحدودها(١).

وكان للعرب مواقف مشرفة، وأيام مشهودة وتاريخ حافل، في الخليج والعراق قبل الإسلام؛ دفاعا عن حقوقهم واستقلالهم، ضد الإمبراطورية الفارسية ومحاولاتهم الطامعة في العرب وممتلكاتهم، وذلك كلما حاول الفرس التجاوز عليها بالتسلط أو الاحتلال، وإن حروب يوم قلهات(٢) في عمان، ويوم الصفقة(٣) في البحرين، ويوم ذي قار(٤) شمال الخليج بالعراق، التي وقعت في أوقات متفاوتة

(١) عذبي زيد العتيبي: الاحتلال الإيراني لإمارة عربستان وحق تقرير المصير لشعبها، ٣٠.

(٢) قلهات: وهي المدينة العمانية التي اتخذها القائد العربي مالك بن فهم في بداية قدومه إلى عمان كنقطة ارتكاز وانطلاق إلى باقي المناطق العمانية في معركة سلوت التي لا يعرف تاريخها بالضبط وذلك لما تتمتع به قلهات من موقع استراتيجي وذلك لاحتوائها على الموانع الطبيعية والتي تحول وتعرقل تقدم الفرس فيما إذا انهزم العرب في قتالهم ضدهم. وكذلك تكون نقطة انسحاب إلى الصحراء والتي لا يستطيع الفرس التوغل فيها لعدم معرفتهم بمجاهلها كما يعرف العرب. كما قام مالك بتشكيل الجيش الذي سيقاتل الفرس ابتداء من (قلهات) ومن ثم التقدم إلى (الجوف) وهي منطقة تجمع مناسبة لهذا الجيش العربي حتى يسهل مناورة الجيش الفارسي والذي لا يحسن القتال في منطقة الصحراء وقد تم انتخاب منطقة (سلوت) كمنطقة مناسبة لقتال الفرس. ومنطقة الجوف تقع مابين ولايتي (آدم) و(بهلا) وبعد الانتصار الذي تحقق على الفرس تملك مالك بن فهم البادية وأطراف الجبال متخذا من (قلهات) عاصمة مؤقتة لعمان، للمزيد انظر إلى العريمي محمد عيد: قلهات اللغز المفقود بين التاريخ والجغرافيا، موقع البيان، http://www.albayan.ae/opinions/2005-09-15-1.98796

(٣) يوم الصفقة: هو من أيام العرب في الجاهلية انتقم فيه الفرس من بني تميم لنهبهم عير كسرى إلى اليمن وقد حرض هوذة بن علي الحنفي كسرى بالانتقام منهم لثأر بينه وبينهم قديم، للمزيد انظر إلى إبراهيم شمس الدين: مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، بيروت ـ دار الحكمة العلمية ٢٠٠٢م، ٩١.

(٤) يوم ذي قار: هو يوم من أيام العرب الجاهلية هو أول يوم انتصر فيه العرب على الفرس ويقال إنه=

بين الفرس والعرب في القرنين السادس والسابع الميلاد ، خير شواهد على تمسك العرب بحريتهم وكرامتهم ، ورفضهم أي شكل من أشكال التسلط أو الاحتلال الإيراني ، فهي صفحات لا تنسى في التاريخ العربي العسكري الخالد[١] .

في السنوات الأولى من حكم الدولة الإسلامية جرت صدامات متكررة مع المملكة الساسانية الفارسية ، بسبب عدم قبول ملكها (يزدجر بن شهريار[٢]) دعوة النبي محمد ﷺ للدخول في دين الإسلام ، وكان قد طلب من عامله في اليمن السير لقتال المسلمين[٣] .

بعد ذلك قام المسلمون الأوائل في العراق بمهاجمة الحاميات العسكرية الفارسية ، ونالت الأهواز في عهد الخلفاء الراشدين أهمية كبيرة ؛ نظرا لأنها كانت تمثل أحد طرق الفتوحات الإسلامية الرئيسة ، وأصبحت مدن الإقليم قواعد للحملات العسكرية المتجهة إلى أقاليم الشرق ، حاملة رسالة الإسلام السمحة ، ومبشرة بدين المساواة الجديد[٤] .

=حدث في زمن النبي محمد ﷺ وقع فيه القتال بين العرب والفرس في العراق وانتصر فيه العرب ، للمزيد انظر للمرجع السابق ، ٣٢٢.

(١) شفيق الرشيدات : عربستان الجزء العربي المغتصب ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٢) يزدجرد بن شهريار : هو يزدجرد بن شهريار بن برويز بن أنوشروان (٦٣١-٦٥١ ق. م) ، وهو آخر ملوك الدولة الساسانية ، وحفيد ملك الدولة الساسانية كسرى الثاني ، كان يزدجرد ممن نجا من سيف عمه شيرويه ، حين قتل إخوته وبنيهم ، فقد هرب به بعضهم إلى بعض الأطراف ، ثم رجع للملك وهو ابن الخامسة عشر ، وقد عاش بعد تمليكه عشرين سنة أمضى منها زهاء سبع سنين ، بالمدائن ثم خرج منها حين قاربها العرب ، وظل يطوف في أرجاء إيران حتى قتل في خراسان حوالي سنة ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان ﷺ ، للمزيد انظر إلى أرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت - دار النهضة العربية للنشر ١٩٧٢م ، ٤١.

(٣) ماهر إسماعيل الجعفري ، ضياء أحمد جمعة : الأحواز ، ٣٦.

(٤) علاء موسى نورس ، عماد عبد السلام رؤوف : إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية ، ١٩.

أرسل الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بعض المجاهدين إلى العراق بقيادة خالد بن الواليد[١].

أعقبه الخليفة الراشد عمر الفاروق رضي الله عنه، بإرسال الجيش الإسلامي بقيادة سعد بن أبي وقاص الذي استطاع إلحاق الهزيمة بالجيش الساساني سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م في معركة القادسية[٢].

فتحت الأهواز سنة ١٧هـ/٦٣٨م زمن الخليفة عمر بن الخطاب، واستغرق الفتح لمدنها قرابة خمس سنوات، ومن يومها ألحقت الأحواز بالبصرة إداريا، وبقيت كذلك حتى نهاية الحكم الأموي[٣].

وقد شهدت الأهواز نزوح قبائل عربية من قلب شبه الجزيرة العربية في موجة زحف إلى أطراف الجزيرة، وكان أشهرها قبائل بني العم (مالك وكليب) من اليمن، التي استقرت في تلك المنطقة أثناء الفتح الإسلامي للمدن العربستانية الواحدة بعد الأخرى قرابة مدة خمس سنوات[٤].

وقدمت هذه القبائل المساعدة لجيوش العرب المسلمين في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ اتفقت القبيلتان وبقية قبائل العرب سنة ١٧هـ/٦٣٨م، مع جيش المسلمين في البصرة بقيادة سلمى بن القين[٥]، وجيش المسلمين في

---

(١) ماهر إسماعيل الجعفري، ضياء أحمد جمعة: الأحواز، ٣٦.

(2) Loydsyton, *Twin Rivers*, London 1943, p.140.

(٣) وزارة الإعلام العراقية: عربستان قطر عربي أصيل، ١٤.

(٤) جبهة تحرير عربستان، عروبة الأحواز وخرافات حكام إيران، ١٧.

(٥) سلمى بن القين بن عمرو التميمي الحنظلي، من بني العَدَوِية، وصحب النبي ﷺ في رواية هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، وهو مهاجري، وكان مع عتبة بن غَزوان بالبصرة، فسيره في جيش إلى الأهواز، وله في قتال الفرس أَثر حسن، انظر إلى خير الدين الزركلي: الأعلام، بيروت ـ دار العلم للملايين ٢٠٠٢م، ٣: ١١٥.

الكوفة بقيادة نعيم بن مقرن[١] في القضاء على الهرمزان[٢] بعد انسحابه إلى إقليم عربستان في أعقاب معركة القادسية[٣].

فمع انتهاء المعارك سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م زال كل أثر فارسي في هذه المنطقة، وتدفقت للإقليم قبائل عربية جديدة بناء على أوامر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، من عمان والقطيف والبحرين بحرا عن طريق الخليج، ومن نجد واليمن والحجاز والبادية عن طريق البر، وامتزج فيها سكانها من الأساورة مع سكانها العرب، واعتنقوا الإسلام واتخذوا العربية لغة، وشاركوا العرب حضارتهم وتاريخهم، حتى لم يبق لهم الآن ومنذ قرون أي أثر في المنطقة[٤].

ولم تعد هناك حدود فاصلة بين الإقليم والأقاليم الإسلامية الأخرى، بعد أن أصبح جزءًا من وحدة سياسية ودينية تحت حكم الخلفاء المسلمين منذ سنة ١٧هـ/ ٦٣٧م في عهد الخلفاء الراشدين، والدولتين الأموية والعباسية وحتى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م تاريخ سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية على يد المغول، إذ عاد مرة

---

(١) نعيم مقرن أخوالنعمان بن مقرن المزني، خلف أخاه النعمان بن مقرن لما قتل بنهاوند وأخذ الراية فدفعها إلى حذيفة بن اليمان، وكانت على يد نعيم فتوح بفارس. ونعيم وإخوته من جلة الصحابة، ومن وجوه مزينة، وكان عمر بن الخطاب يعرف لنعمان ونعيم فضلهما، وأبناء مقرن هم النعمان ونعيم وسويد وكلهم كانوا قادة بفتح فارس والعراق ومن مشاهير القادة العرب والمسلمين، انظر للمرجع السابق، ٨: ٤٢.

(٢) الهرمزان هو: أحد قادة الفرس إبان الفتح الإسلامي، وكان قائد الجيش الفارسي، وكان حاكما للأحواز، أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث، وكان قد عقد صلحًا مع المسلمين في السنة السادسة عشرة للهجرة، ما لبث أن نقضه فيما بعد بتحريض من يزدجرد، وعلم المسلمون بذلك فجهزوا جيشًا لمحاربته ومحاربة من تعاقد معه على ذلك، فأسر، وأقبلوا به إلى المدينة مكتوفًا، وعليه تاجه وحليته، فأراد عمر أن يضرب عنقه، فأعلن إسلامه في قصة طريفة، للمزيد انظر إلى الدمشقي، الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، ٧: ٦١.

(٣) جبهة تحرير عربستان، عروبة الأحواز وخرافات حكام إيران، ١٨.

(٤) شفيق الرشيدات: عربستان الجزء العربي المغتصب، ٤١.

ثانية تحت حكم الأجانب سواء أكانوا مغولا أم ساسانيين أم غيرهم[١] .

وقد تعرض إقليم الأهواز إلى همجية المغول الذين أسقطوا الخلافة العباسية في بغداد ، فنال الإقليم ما نال العراق من متاعب وإراقة الدماء ، وتدمير معالم الحضارة فيه ، إلى تأسيس حكم بني أسد الذين جاؤوا إلى الأحواز أيام حكم الظاهر بالله العباسي بقيادة زعيمهم دبيس بن عفيف الأسدي بعد سقوط الدولة العباسية ، وأخضعوا عربستان لحكمهم وملكوا سقي نهر الكارون ، واتخذوا من مدينة الأحواز (الناصرية) عاصمة لحكمهم[٢] .

وقد تعرض الإقليم بعد ذلك ، حاله حال العراق وبقية الأقطار العربية الأخرى ، للغزو الأوروبي ، وذلك بسبب خصوصيته الإستراتيجية ، لكن مصيره وحده اتسم مدة هذه المدة المظلمة من تاريخ العرب بالتمرد على الاستعمار ، والحفاظ على العروبة والمحافظة على الاستقلال من تسلط القوى الاستعمارية ، فعلى الرغم من سيطرة الأتراك على العراق ، وسيطرة البرتغاليين والهولنديين ثم البريطانيين على شواطئ الخليج العربي ، وأطماع الدولة الفارسية في أرض عربستان ، فقد احتفظ الإقليم بوحدته المستقلة وعروبته واستقلاله ، على يد الإمارات العربية المستقلة لبني لام وكعب والمحيسن[٣] .

مما سبق ذكره يتضح لنا أن الأهواز عربية بماضيها وحاضرها ، فلا توجد حدود طبيعية تفصل بين الأحواز والوطن العربي كما هي بين الأهواز ودولة فارس ، وكذلك يعد الخليج العربي امتدادًا طبيعيًا للأنهار في الإقليم كدجلة ، والفرات ، وكارون .

بالإضافة إلى أن الأهواز العربية تربطها بالعالم العربي وحدة اللغة ، والدين ، والعادات ، والتقاليد ، ووحدة الأهداف ، والمصالح المشتركة .

---

(١) عائشة راتب : المنظمات الدولية والتنظيم الدولي ، القاهرة ـ دار الهلال العربية ١٩٩٨م ، ٢٠٠.

(٢) وزارة الإعلام العراقية : عربستان قطر عربي أصيل ، ١٥.

(٣) عذبي زيد العتيبي : الاحتلال الإيراني لإمارة عربستان وحق تقرير المصير لشعبها ، ٣٢.

الخاتمـة

أوضحت الدراسةعددًا من الجوانب المهمة في جغرافية إمارة الأهواز العربية (عربستان)، والتطرق لعروبتها عبر التاريخ وأنها عربية أرضا وبشرا، كما أوضحت الدراسة أن إمارة الأهواز العربية كانت تمتلك موقعًا جغرافيًا مميزًا واستراتيجيًا، فهو يحتل سواحل الخليج الشمالية، ويمثل منطقة انتقال بين العرب وغير العرب في قارة آسيا، وبهذا الموقع أصبح النشاط الاقتصادي للإقليم كبيرًا وفعالًا، فالحياة الاقتصادية في الأهواز العربية تستند إلى ثلاث ركائز رئيسة هي: النفط، والزراعة، والتجارة، وتعد عربستان من أكثر الأقاليم وفرة للمياه لوجود عدة أنهار تجري في أراضيه، وتعد مدينتا المحمرة وعبادان من أهم المدن في الإقليم، لما لها من ثقل تاريخي وسياسي واقتصادي.

وقد أظهرت الدراسة عروبة الأهواز، وأن العرب موجودون من زمن بعيد في الإقليم، فعروبة الإقليم لم تكن وليدة لظرف تاريخي طارئ ومعين بل له جذور تاريخية قديمة، بالإضافة إلى وجود دلائل وشواهد تدل بشكل قطعي على عروبة إقليم الأهواز (عربستان)، كعروبة التاريخ والجغرافيا، ووجود القبائل العربية في الإقليم، والدلالة التاريخية، والدلالة السياسية، والدلالة الاقتصادية، ودلالة اللغة، فكلها تثبت أحقية العرب بهذه الأرض العربية الصرفة.

لذلك يوصي الباحث بضرورة دراسة إمارة الأهواز العربية من كافة ملامحها الجغرافية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وإبرازها للمكتبات العلمية، وتثقيف المجتمعات العربية بهذه الدراسات، وتسليط الضوء على إمارة الأهواز العربية بشكل مكثف لئلا تسقط هذه الإمارة العربية من ذاكرة التاريخ والعرب.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : المصادر :

١ـ الكتب :

ـ البغدادي ، عبد المؤمن عبد الحق : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار المعرفة ، الجزء الأول ، ١٩٥٤م .

ـ الحموي ، شهاب الدين ياقوت : معجم البلدان ، الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧م .

ـ الزركلي ، خير الله : الأعلام ، ط ١٥، الجزء الثاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

ـ الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، الجزء الثالث ، دار العلم للملايين ، ط ١٥، بيروت ، ٢٠٠٢م .

ـ ابن منظور ، جمال الدين : لسان العرب ، الجزء الخامس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٣م .

٢ـ الكتب المترجمة :

ـ بيربي ، جان جاك : الخليج العربي ، ط ١، ترجمة ، نجدة هاجر وسعيد العز ، المكتب التجاري للطباعة ، بيروت ، ١٩٥٩م .

ـ هستد ، كوردن : الأسس الطبيعية لجغرافية العراق ، ترجمة جاسم محمد خلف ، ط ١، دار العلمين ، بغداد ، ١٩٤٨م .

ثانيا : المراجع :

١ـ المراجع العربية :

أـ الكتب :

ـ التميمي ، خليل : الكفاح العربي في عربستان ، منشورات الجبهة القومية لتحرير عربستان ، دمشق ، ١٩٦٦م .

ـ التميمي ، خليل : عربستان ، منشورات الجبهة القومية لتحرير عربستان ، دمشق ، ١٩٦٦م .

ـ الجاف ، حسن كريم : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، الجزء الرابع ، ط ١، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٨م .

ـ جبهة تحرير عربستان : عروبة الأحواز وخرافات حكام إيران ، منشورات كوادر الحزب الوطني العربستاني ، بغداد ، د.ت .

ـ الجعفري ، ماهر اسماعيل ، جمعة ، ضياء أحمد : الأحواز ، مطابع الرسالة ، الكويت ، د. ت .

ـ الحسني ، عبد الرزاق : العراق قديما وحديثا ، الجزء الأول ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٦٨م .

- الحلو، علي نعمة : الأحواز «عربستان» دراسة لجغرافية الإقليم، الجزء الأول، ط ٢، دار البصرى، بغداد، ١٩٦٩م.
- الحلو، علي نعمة : الأحواز (عربستان) في أدوارها التاريخية، الجزء الثاني، ط ١، دار بصرى، ١٩٦٩م.
- الحلو، علي نعمة : الأحواز قبائلها وأسرها، الجزء الرابع، ط ١، مطبعة الفرى الحديثة، العراق، ١٩٧٠م.
- ابن حوقل، أبي قاسم : صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.
- الخزعلي، نصار أحمد : الأحواز الماضياالحاضرالمستقبل، ط ١، شركة الشرق الأوسط للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م.
- الدركزلي، سلمان : جغرافية العراق والأقطار المجاورة، بغداد، ١٩٥٦م.
- الدمشقي، الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية، الجزء الثامن، دار المعارف، بيروت، ١٩٩٠م.
- راتب، عائشة : المنظمات الدولية والتنظيم الدولي، دار الهلال العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- شبر، جاسم حسن : تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، ، مكتبة دار الآداب، النجف، ١٩٦٥م.
- شريف، إبراهيم : الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، مطبقة شفيق، بغداد، ١٩٦٥م.
- شمس الدين، إبراهيم : مجموع أيام العرب في الجااهلية والإسلام، دار الحكمة العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- طقوش، محمد سهيل : تاريخ الدلولة الصفوية في إيران، ط ١، دار النفائس للطباعة، بيروت، ٢٠٠٩م.
- العبيدي، إبراهيم خلف : الأحواز أرض عربية سليبة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
- العتوم، مصطفى علي : عربستان، المكتبة المركزية العامة، عمان، ١٩٨١م.
- العساكرة، عباس : القضية الأحوازية، المقومات التداعيات التطلعات، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٤م.
- العفيفي، عبد الحكيم : موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، دار أوراق شرقية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- علي، عبد اللطيف أحمد : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م.
- العلي، صالح أحمد : الأحواز في العهود الإسلامية الأولى، ط ١، مطبعة أوفسيت العدالة، بغداد، د ت.

ـ فواز، زينب : الملك كورش، مؤسسة هنداوي للتعليم، مصر، ٢٠١٤م.
ـ المانع، جابر جليل : الأحواز قبائلها أنسابها أمراؤها شيوخها أعلامها، ط ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨م.
ـ مرعي، عيد : اللسان الأكادي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٢م.
ـ مركز دراسات سيلام : عربستان عبر التاريخ، موجز تاريخ عربستان، مركز دراسات سيلام، بغداد، د. ت.
ـ المسالمة، خالد : الأحواز الأرض العربية المحتلة، ط ٢، بوخوم، ألمانيا، ٢٠٠٨م.
ـ النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
ـ النجار، مصطفى عبد القادر : عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي، ط ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٩م.
ـ نورس، علاء موسى، رؤوف، عماد عبد السلام : إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٢م.

ب ـ الكتب المترجمة :

ـ كاتوزيان، هوما : الفرس «إيران» في العصور القديمة والوسطى والحديثة، ترجمة، أحمد حسن المعيني، ط ١، دار جداول للنشر، بيروت، ٢٠١٤م.
ـ كريستنس، أرثر : إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، ١٩٧٢م.
ـ موسكاتي، سبستينو : الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار القي، بيروت، ١٩٨٦م.

ت ـ البحوث والمقالات :

ـ الرشيدات، شفيق : عربستان الجزء العربي المغتصب، بحث مقدم للمؤتمر لاتحاد المحامين العرب، مطبعة عبده وأنور أحمد، القاهرة، ١٩٦٧م.
ـ سنو، عبد الرؤوف : الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية، مجلة حوار العرب، العدد ٤، بيروت، ٢٠٠٥م.

ج ـ الرسائل العلمية :

ـ جواد ، حسن حمزة : نشوء الدولة السلوقية ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ٢٠٠٨م .

ـ العتيبي ، عذبي زيد : الاحتلال الإيراني لإمارة عربستان وحق تقرير المصير ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الشرق الأوسط ، عمان ، ٢٠١٣م .

د ـ شبكة المعلومات العنكبوتية :

ـ الموسوعة الحرة :

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%8A%D8%

ـ يوسف ، محمد بسام : الأحواز (عربستان) المحتلة إيرانيا ، مقالة عن الأحواز ، بتاريخ ١٠/١٠/١٤٣٣هـ ، موقع المسلم الالكتروني :

http://almoslim.net/node/127422

ـ السعدون ، نصار سليمان : الحضارة العيلامية ، الموسوعة العربية ، الموقع الالكتروني :

http://www.arab-ency.com/ar/

ـ موسوعة المعرفة :

http://www.marefa.org/index.php.

ـ فرزات ، محمد حرب : تاريخ فارس القديم ، جامعة دمشق ، ١٩٩٠م ، الموقع الالكتروني :

https://ar.wikipedia.org/wiki.

ـ العريمي ، محمد عيد : قلهات اللغز المفقود بين التاريخ والجغرافيا ، مجلة البيان ، الموقع الالكتروني :

http://www.albayan.ae/opinions/2005-09-15-1.98796

٢ـ المراجع الأجنبية

- BELL, G. (1917). *The Letters of Gertrude Bell*, London, p.29.
- ROWLINSON, *major General Sir Hennry; England and Russia in the East*, London. 1975.
- SYTON, LOYD (1943), *Twin Rivers*, London, p.140.

المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨)، ٢٢٥ ـ ٢٧٠

النُّظَامُ القَضَائي في المَدِينَة واختِصَاصَاتُه
١٢٢٨ـ١٢٧٧هـ

باسم بن أمين البدري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

يعد النظام القضائي في أية دولة هو العمود الأساسي لأية دولة إذ به تتكامل أركانها وتنضبط أمور البلاد ، ومنه الدولة العثمانية إذ بدئ في تنظيم أمور القضاء في الدولة منذ العصور الأولى لنشأتها من جهة ومن جهة أخرى أخذ النظام القضائي يتطور عبر قرون عديدة ومنذ دخل الحجاز في سلطة الدولة العثمانية اهتمت به من كافة جوانبها وبدأت في تطبيق نظمها عليه ومنها النظم القضائية منذ سنة ٩٤٣هـ وجعلت لقاضي المدينة مكانة خاصة وقدمت له التسهيلات والمنح والرواتب التي تجعل منه شخصية قيادية وسياسية كبرى فيها لذلك كان من الضروري تقديم دراسة عن النظام القضائي من حيث موضوعات محددة على أن نتبع ذلك بدراسة تفتح الباب للإجابة عن كثير من التساؤلات عن القضاء ودوره في المدينة في العصر العثماني. أما هنا في هذه الدراسة التي بين أيدينا فسنحدد قضايا معينة للحديث عنها في ضوء التعرض للنظم القضائية في الفترة ١٢٢٨ـ١٢٧٧هـ في مبحثين اثنين كما يلي :

المبحث الأول: الهيئات القضائية في المدينة

أولًا: القضاء في المدينة

كانت المدينة بالنسبة للقضاء تمثل المركزية لهذه المنطقة، فإليها يلجأ المتنازعون، غير أن الوضع لم يقتصر فقط على المدينة، بل يعد أشهر الأقضية التابعة لها أربعة أقضية هي (ينبع البحر ـ ومنطقة الوجه ـ ومنطقة سوارقية ـ والعقبة)، والحقيقة أنه لم تكن أي ناحية مرتبطة بالقضاء المركزي حتى سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م[١].

ولقد ارتبط ينبع البحر كقضاء تابع لسنجق المدينة بشكل متلازم خلال عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني[٢]، واعتبر قضاء ينبع البحر قضاءً من الدرجة الأولى[٣]، والذي كان يتقاضى فيه القائم مقام ألفين وخمسمائة قرشًا شهريًا حيث صنفت الدولة العثمانية الأقضية حسب أهميتها إلى ثلاث درجات «أولى وثانية وثالثة»، بالإضافة لقضاء منطقة «الوجه»[٤] حيث صنف قضاء الوجه من الدرجة الأولى في فترة البحث[٥]، أما فيما يتعلق بقضاء منطقة «سوارقية»، فقد كان

---

(١) سالنامة دولة علية ١٣٢١هـ، ٥٤٨، ١٣٢٢هـ، ٥٦٠، ١٣٢٣هـ، ٦٢٦، ١٣٢٤هـ، ٦٠٩، ١٣٢٥، ٦٨٦، ١٣٢٦هـ، ٦٩٦.

(٢) سالنامة دولة علية ١٣١٠هـ، ٥٦٢، ١٣١٢هـ، ٥٠٨، ١٣١٣هـ، ٥٤٠.

(٣) سالنامة دولة علية ١٣١٤هـ، ص ٥٥٢، ١٣٢٦هـ، ٦٩٨.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف ٨٤٤٢٦/ ,DH1067 الأرشيف العثماني، تصنيف DH.MKT1442.31، الأرشيف العثماني، تصنيف M.V21.53، الأرشيف العثماني، تصنيف، DH.MKT1560.26.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف DH.MKT2493.32، سالنامة دولة علية ١٣٢٠هـ، ٤٩٩، ١٣٢١هـ، ٥٥٠، ١٣٢٢هـ، ٥٦٢، ١٣٢٣هـ، ٦٢٨. سالنامة دولة علية ١٣١٤هـ، ٥٥٢، ١٣٢١هـ، ٥٥٠.

تأسيسه في بداية الأمر من أجل استقبال المحمل الشريف القادم من مصر أو الشام، وتقديم ما يلزم له من مساعدات ضرورية خلال رحلته إلى المدينة[١]، وقد ارتبط قضاء منطقة سوارقية بسنجق المدينة وصُنف كقضاء من الدرجة الثالثة حيث لم ترتبط به أية ناحية أو قرية[٢]، حيث أُعيد مرة أخرى إلى سنجق المدينة بعد فترة البحث منذ عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م[٣]، من خلال ما سبق يتضح للباحث أن المدينة كانت مركزًا للقضاء بالإضافة غلى أربعة أقضية تابعة لها.

ثانيًا: الهيئات القضائية في المدينة

وتتمثل الهيئات القضائية في القاضي الرسمس والعرفي في المدينة وتوابعها ومعاونية من نوابه وموظفيه الذين أعرض لهم على النحو التالي:

١ ـ القاضي «الشرعي» الرسمي

وهو الذي يُعين بفرمان من السلطان العثماني، ويأتي من الدولة العثمانية ذاتها وافدًا علي المدينة، وكان من القضاة الذين تولوا قضاء المدينة القاضي الشيخ محمد مدني الحسيني، كما تولى منصب شيخ خطباء الحرم النبوي، حيث ورد اسمه قاضيًا سنة ١٢٦٣هـ[٤]، وأيضًا القاضي يعقوب عاصم

---

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف DH.MKT221.4، سالنامة دولة علية ١٣٢٤هـ، ٦٩٢، ١٣٢٥هـ، ٦٨٨، ١٣٢٦هـ، ٦٩٨.

(٢) سالنامة دولة علية ١٣١٣هـ، مطبعة مكة المكرمة ١٣١٣هـ، ٥٤٢-٥٤٣.

(٣) سالنامة دولة علية ١٣١٥هـ، مطبعة مكة المكرمة ١٣١٥هـ، ٣٤٤، ١٣١٦هـ، مطبعة مكة المكرمة ٣٩٤، ١٣١٧هـ، ٣٨٠، ١٣١٨هـ، ٤٢٦، ١٣١٩هـ مطبعة مكة المكرمة، ٤٧٤. سالنامة دولة علية ١٣٢٠هـ مطبعة مكة المكرمة، ٤٩٩، ١٣٢١هـ، ٥٥٠، ١٣٢٢هـ، ٥٦٢، ١٣٢٣هـ، ٦٢٨، ١٣٢٤هـ، ٦٩٢، ١٣٢٥هـ، ٦٨٨، سالنامة دولة علية مطبعة مكة المكرمة، ١٣٢٦هـ، ٦٩٨.

(٤) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٥٢، وثيقة رقم ١٢٩، مؤرخ في ١٧ شعبان سنة ١٢٦٤هـ، ٢٨، وسجل ١٥٣، وثيقة ١١٣، مؤرخة في شهر شعبان سنة ١٢٦٤هـ، ١٦.

السيد، الذي شغل هذا المنصب سنة ١٢٧٧هـ[1].

٢ ـ القاضي العرفي

وكما كان هناك قضاة رسميون من الوافدين من الدولة العثمانية علي المدينة، كانت هناك مجموعة من القضاة العرفيين، الذين ينتمون إلى البادية، أو قضاة العُرف أو الاحتساب الذين يلجأ إليهم كل محتاج في البادية ممن يصعب عليه الذهاب إلى القاضي الرسمي في المدينة ذاتها نظرًا لبُعد المسافة أو صعوبة الطرق ومشقتها، أو ارتفاع تكلفة الانتقال من البادية إلى المدينة محل القاضي الرسمي.

وكان لمجلس القاضي مكانة كبيرة في القضاء العرفي وكان يطلق علي مجلس القاضي «مجلس الحكم العزيز»، وأيضًا ـ يطلق عليه «مجلس الحكم الشرعي»، وكذلك كان مجلس القاضي يُعرف «بمجلس الحكم العزيز» ويطلق على القاضي «الحاكم الشرعي»[2]، وكانت المناطق المتاخمة للمدينة تحتكم إلي قضاة المناطق الواقعة فيها والمختصة بالفصل في النزاعات التي تنشب بين الأطراف المختلفة، وكانوا من القضاة العرفيين، إلا أن البعض من سكان تلك المناطق كان يقوم بتسجيل البيع في محكمة المدينة، وذلك كما حدث من أهالي وادي الصفراء[3]، والحنانية[4]، ووادي ينبع[5]، وكذلك

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٦٢، وثيقة رقم ١٨٤، مؤرخ في غرة المحرم سنة ١٢٧٧هـ، ٢٢.

(٢) البدراني، فائز: قضاة المدينة من واقع سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة، مجلة دارة الملك عبد العزيز، الرياض عدد السنة، ١٢٨.

(٣) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٣٣، وثيقة ١٤ مؤرخة في ١٥ شعبان ١٢٢٣.

(٤) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٣٣، وثيقة ١٤ مؤرخة في ١٥ شعبان ١٢٢٣.

(٥) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٣٥، وثيقة رقم ٢، ص ١، مؤرخ في ١٠ رجب سنة ١٢٢٥هـ.

البريري بجزع العالية[١]، وكذلك وادي الفرع[٢]، وقد كان من بين اختصاصات القاضي العرفي أنه يختار الكتاب كأمناء على حل المشكلات بين طرفين متنازعين، أو تسجيل بيوع، أو غير ذلك، وتورد لنا المصادر والوثائق دليلًا علي هذا الأمر، حيث قام القاضي والكاتب ماجد بن شهيل البغولي توثيق عقد بين طرفين لتسجيل معامرة نخل بوادي الفرع في سنة ١٢٢٨هـ[٣]، وقد سجلت هذه الوثيقة بتدوين الحقوق مناصفة بين الطرفين وهو ما يعرف في الفقه الإسلام بالمزارعة[٤].

وقد كان يسجل البيع بين الطرفين بالتراضي مما يعكس قيمة القاضي العرفي بين الناس حيث لا يختلف عن قاضي المدينة الشرعي ذاته من خلال رضى كافة الأطراف في البيوع والشراء والمعاملات بأحكام القاضي العرفي المختلفة[٥].

وقد كان من اختصاص القاضي العرفي عند نظره في البيع والشراء بين طرفين من صلاحياته أن يحدد مساحة البيع بدقة كبيرة، فتورد لنا إحدى الوثائق دليلًا علي ذلك ـ نقلًا عن السيد الحربي ـ فتذكر ما نصه: «وشمل البيع المذكور على ما حوته الحدود من أرض ونخل وحجر ومدر وماء وطريق وخافي وبين وعزيز وهين وما ينسب إليه شرعًا وعرفًا وعشرين منها: خمس من الإبل فاضت من يد الشاري

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٣٤، وثيقة رقم ١٥١، ١٧، مؤرخ في ٢ شوال سنة ١٢٢٠هـ.

(٢) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٤٢، وثيقة رقم ١١٥، ٢٢، مؤرخ في ١٠ شعبان سنة ١٢٤٧هـ.

(٣) بن موسي البدراني الحربي: وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، وثائق وادي الفرع، الطبعة الأولى، دار البدراني للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، م ١٤٢٤هـ، ٢٦١٣.

(٤) المرجع السابق، نفس المجلد، نفس الصفحة.

(٥) السابق، م ١، ٢٦١٥.

إلى يد البايع وقد أقرَّ البايع باستلام الثمن ....»[١] .

ولم يكتف القاضي العرفي بما سبق من اختصاصات ، بل كان ينظر ـ أيضًا ـ في تقسيم التركات بين الورثة علي حسب ما قرره الشرع الإسلامي[٢] وفق قاعدة «للذكر مثل حظ الانثيين»[٣] . كما سجل القضاة العرفيون ـ كذلك ـ : أن البائع والمشتري من العقلاء الراشدين ، وأن البيع تمَ بثمن معلوم غير مجهول حتى يخرج عن دائرة الغرر[٤] .

كما كان القاضي العرفي يحقق في قضايا السرقات ، ويحكم بين المتنازعين ، وكان حكمه معتبرًا ونافذًا على الجميع ، فقد أوردت لنا المصادر : أن شخصًا يدعى «شيهان بن صقر الحسبلي» ، بأن آل رويثة قد قاموا بسرقة بعض الحقوق في النخل ، فحكم القاضي عقب سماع الشهود بدفع الدية مقابل ما سلب[٥] .

ومن التسجيلات المهمة التي أوردتها الوثائق ، والتي تعكس وتؤكد مكانة القاضي العرفي بين الناس في مجتمعه ، وكذلك الدور المهم الذي كان يقوم به ، وثيقة حماية ، حيث تذكر : أن شخصًا يسمى «حديد بن سعد الشطير» من منطقة وادي الفرع بأنه قد أقصَرَ «حمى» عيال محمد بن أبي بكر الهنيدي ، وأنهم في وجه الله ثم وجهه من قام بالإقرار بحمايتهم ، وأنه سيراعي الحق فيهم فيوفيه ، وأنه يراعى الباطل عنهم فيدفعه[٦] .

---

(١) نفسه ، ق ٣، ٢٦١٨.

(٢) الحربي : وثائق تاريخية ، ق ٣، ٢٦١٩.

(٣) المرجع السابق ، ق ٣، ٢٦٢٠.

(٤) المرجع السابق ، ق ٣، ٢٦٢١.

(٥) المرجع السابق ، ق ٣، ٢٦٢٣.

(٦) الحربي : وثائق تاريخية ، ق ٣، ٢٦٦٢.

وكان من هؤلاء القضاة العرفيين الذين شغلوا هذا المنصب سنة ١٢٢٨هـ في منطقة وادي الفرع عدة قضاة منهم : الشيخ جابر بن جبارة العلاسي ، ومنهم ـ أيضًا ـ الشيخ عبد الله بن سعيد الصعيدي ، في السنة ذاتها ، وكذلك الشيخ محمد بن أحمد العارض الذي كان متوليًا هذا المنصب في السنة السابقة ، وأيضًا ـ الشيخ أحمد محمد الفقيه في السنة نفسها[١] ، ومنهم ـ كذلك ـ القاضي علي بن سبيع الرويثي[٢] ، والقاضي حماد بن أحمد الفقيه[٣] ، والقاضي مبارك بن غنايم وكلهم في سنة ١٢٢٨هـ[٤] .

وكان من هؤلاء القضاة العرفيين الذين شغلوا هذا المنصب : القاضي حسن بن مرزوق بن بلهيش ، وينتمي إلى البلاهشة من مناشي بن عمرو ، وكان قاضيًا في «وادي الفرع» من سنة ١٢٥٣-١٢٩٨هـ ، أي ما يزيد على اثنتين وأربعين سنة ، وكان عمله يختص بالتصالح بين الأطراف المتنازعة ، ـ وأيضًا ـ المبايعات وتسوية المطالبات المالية وإنهاء النزاعات بين الأطراف المتخاصمة ، والنظر في المواريث وشؤونها ، وغيرها من الموضوعات ذات الأهمية بأعراف المجتمع في البادية[٥] . ومنهم ـ أيضًا ـ : القاضي عودة بن حمد الفايزي ، وكان يمارس القضاء العرفي منذ سنة ١٢٣٧ ـ وحتي سنة ١٢٦٣هـ ، في كافة فروع القضاء من وصية ، أو إنهاء دعوى وغيرها[٦] ، كذلك منهم القاضي مهند بن عبد العزيز الحاسر ، وكان قاضيًا للبادية في «وادي الفرع» ـ أيضًا ـ لمدة طويلة من سنة ١٢٦٢ ـ ١٣٠٠هـ ، أي

---

(١) السابق ، م ١ ، ص ص ٢٦١٦ ـ ٢٦١٨.

(٢) نفسه ، ق ٣ ، ٢٦٢١.

(٣) نفسه ، ق ٣ ، ٢٦٢٢.

(٤) نفسه ، ق ٣ ، ٢٦٢٣.

(٥) فائز البدراني : أشهر القضاة وكتبة الوثائق في وادي الفرع بمنطقة المدينة ، ١٠٠٠ ـ ١٣٥٠هـ ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ٩٨-١٠٠.

(٦) المرجع السابق ، ٢٩٤.

امتد شغله لهذا المنصب مدة تقترب من خمس عشرة سنة من فترة الدراسة[1]، ومنهم ـ أيضًا ـ القاضي حمد بن عودة العويد الفايزي، وهو من العوايد، وقد كان أحد أعيان المنطقة، وكان يمارس القضاء العرفي بين الناس، ومن أمثلة نشاطه وجهوده في هذا الصدد: جهده في إثبات وصية شرعية بوادي الفرع سنة ١٢٧١هـ، وله أنشطة متعدد في هذا القضاء غير أن محلها خارج فترة الدراسة التي نحن بصددها[2]، ومنهم ـ أيضًا ـ القاضي عبد الله بن عبد الحسن الحاسر، وقد تولي القضاء في أطراف البادية المحيط بالمدينة، قد شغل هذا المنصب في الفترة من ١٢٢٥ ـ ١٢٦٢هـ، وعمل قي نزاعات وخصومات شتى[3].

مما سبق: يتضح للباحث أن منصب القاضي العرفي اقتصر وجوده فقط علي البادية، حيث لم يكن موجودًا في المدينة لوجود القاضي الرسمي بها، هذا فضلًا عن أن منصب القاضي العرفي اقتضته ظروف البادية من وعورة الطرق وصعوبتها وعدم القدرة علي الكثير من سكانها أن يذهب بشكواه إلى قاضي المدينة، وأخيرًا فإن هذا القاضي لم يكن بحاجة إلى مراسم رسمية عند توليه وشغله هذا المنصب، كما كان ينعم بنفوذ وتقدير كبير بين سكان البادية عمومًا لنفاذ كلمته علي الجميع، لذا كان يشترط فيمن يشغل هذا المنصب ضوابط وشروط خاصة.

ثانيا: الهيئات القضائية المعاونة

وتتمثل فيما يلي:

١ ـ نواب القاضي في المدينة

وفي حالة ما إذا حدث طارئ بوفاة القاضي في المدينة أو سفره منها للدولة أو

---

(١) السابق، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) نفسه: ١١٨.

(٣) فائز البدراني: أشهر القضاة، ٢٣٤.

للحج أو لأي أمر من الأمور فكانت الدولة تكلف رجال الإفتاء في المدينة بالعمل بأحكام القضاء حتى يعود القاضي من غيابه أو حتى تعين الدولة قاضيًا في المنصب وكانت المدة تستغرق عدة أشهر حتى يصدر القرار بتعيين القاضي الجديد وعودته من استانبول للمدينة حينها كان يكلف مفتي الأحناف بالفصل بين أهالي المدينة في الخصومات أو سائر الاختصاصات القضائية، وقبل العصر العثماني كان يوجد فى المدينة أربعة من القضاة على المذاهب الأربعة يتقدمهم القاضي الشافعى وهو قاضى القضاة فى المدينة وله الرئاسة على سائر القضاة الأحناف والمالكية والحنابلة، وفي الدولة العثمانية كان النظام قائمًا في الأساس على المذهب الحنفي، المذهب الرسمي للدولة، ويرأس المفتين شيخ الإسلام[1] في الدولة العثمانية، وهو منصب أنشأه السلطان «محمد الفاتح»، وكان شيخ الإسلام يلى السلطان العثماني في الدرجة والأهمية ويعادل منصبه منصب الصدر الأعظم، وقد كان شيخ الإسلام هو الذي يعين المفتين في الحرمين الشريفين والذين كانوا بمثابة معاونين للقضاة في أعمالهم بالإضافة إلى عملهم الأصلي وهو الإفتاء، ومنذ سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م ـ وهي السنة التي ورد فيها أول قاض للمدينة من الآستانة بعد أن تم تعديل النظام القضائي فيها، حيث أصبح قاضى القضاة على المذهب الحنفي تبعًا لمذهب الدولة العثمانية الرسمي[2] ـ، كان المفتي في دائرته يتولي منصب القاضي بالنيابة عند

---

(١) دار الوثائق القومية: بحرًا برًا، محفظة ١٥، وثيقة ٦، بدون تاريخ. عبد الله محمد جمال الدين: من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٧٩م، ص ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) الكردى، طاهر، التاريخ القويم. عنوان الكتاب: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر ـ بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، ٦: ١١، جارشلي: إسماعيل حقي أوزون، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٥م، ٨٤.

وفاة هذا القاضي أو سفره أو عزله(١) كما تشير إلى ذلك الوثائق، حيث تولى منصب القضاء بالنيابة في المدينة الشيخ عبد الحميد الداغستاني والشيخ جمل الليل الحنفي(٢).

ومنذ التاريخ السابق والزعامة الأدبية للمفتي الحنفي مع وجود مفتين على المذاهب الثلاثة الأخرى فرضت لهم رواتب(٣) الذين لم يكن لهم تأثير من الناحية القضائية إلا ما كان من جهود في دعم القاضي بإمداده بالفتاوى، ومن ناحية أخرى فإن وجود الفقهاء الذين يرجع الناس إليهم دائمًا للاستفادة من آرائهم في المسائل الدينية والشرعية، كان أمرًا ساعد على حل مشاكل كثيرة، وحال دون انتقالها إلى المحاكم، وبالنظر لكل هذه الفوائد كانت السلطة المركزية تقوم إلى جانب تعيين القضاة بتعيين المفتيين في الولايات والسناجق والأقضية المختلفة داخل أراضي الدولة العثمانية، وكانت الفتاوى هي التي تساعد القاضي على تحديد القواعد والأحكام الفقهية اللازمة للقضايا، والتعرف على أصح الأقوال السائدة في الأحوال التي تختلف فيها الآراء في المذهب الحنفي نفسه، ولهذا السبب كانت تطلب الفتاوى أحيانًا من القاضي نفسه(٤).

كما كان يحدث ـ أيضًا أن يظهر أحد الأطراف في دعوى منظورة أمام المحكمة فتوى حصل عليها لتدعيم موقفه، وتصادفنا أحكام عديدة في دفاتر السجلات الشرعية صدرت استنادًا إلى فتوى قدمها أحد الأطراف

---

(١) بيرتون: الرحلة الحجازية، تحقيق عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ٢: ٨٤، بيومي، محمد على فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، القاهرة زهراء الشرق، ٢٠٠١م، ٣٤٢.

(٢) عبد الله بن زاحم: قضاة المدينة المنورة، ٢: ٥٠٦ ـ ٥٠٨.

(٣) رفعت، إبراهيم باشا، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥م، ١: ٣١.

(4) CAVUS2ADE MEHMED AZIZ: Durrus - sukuk, *Istanbul 1288,* C.I, S.72-73.

للمحكمة[١]، وهذا الأمر يدلنا على أن القضاة كانوا يقعون تحت تأثير الفتاوى المقدمة إليهم من الآخرين، أو الفتاوى التي يستصدرونها هم أنفسهم.

وثمة دور آخر كانت تلعبه مؤسسة الفتوى في العمل المنظم للقوانين العثمانية، وهو الدور الذي ضمن به المفتون توافق أحكام القضاة مع الشرع، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن وجود المفتين في المراحل التي لم يكن فيها أصول منظمة للنقض ـ ولا سيما ـ في المناطق البعيدة عن مركز الدولة باستانبول، ووجود الفرصة دائمًا أمام أطراف الدعاوى للرجوع إليهم، كان أمرًا يجبر القضاة إلى حد معين على إصدار الأحكام بما يتفق مع الشريعة. وكانت الأحكام التي يصدرها القضاة مفتوحة دائمًا لرقابة المفتين ونقدهم العلمي[٢]، لذلك يمكن القول إن التزام القضاة بالشريعة كان قمة الاستنارة خاصة أنهم كانوا ـ غالبًا ـ ما يصدرون أحكامهم المرتبطة بالفقه، ولم يتأثروا أبدًا بما كان يحدث في العاصمة العثمانية من تطبيق القوانين الأوربية، وهو ما يدفعنا للقول بأن فكرة التجديد كانت لها ضوابط عند المفتين في المدينة تختلف عما كان عليه الوضع في الآستانة، وإنما كان التجديد يقتضي الحكم بالفقه من خلال التوسع في قبول الآراء الفقهية واحترام وجهة نظر المخالفين[٣]، وكان هذا التوجه مختلفًا كثيرًا عما كان عليه الوضع قبل سيطرة الدولة السعودية الأولى على المدينة حيث شاع التعصب المذهبي بصورة واضحة، ومن الفتاوى التي شاعت بالمدينة على أيدي فقهاء استانبول كان الدعوة إلى توزيع المصاحف بدلًا من إيداعها في المكتبات العامة والخاصة بالمدينة، وقد ظهر هذا واضحًا عندما قام إبراهيم باشا والي الحجاز، وابن محمد علي باشا بإحضار

---

(1) CAVUS2ADE MEHMED AZIZ S.72-73.

(2) ALI HIMMET BERKI: Buyuk Turk Hukumdari, *Istanbul Fethi Sultan mehmed Han ve Adalet Hayati,* Istanbul 1953, rhoS.59.

(3) CAVUS2ADE MEHMED AZIZ: Durrus- sukuk, *Istanbul 1288,* C.I, S.72-73 (در الصكوك).

خمسمائة وواحد وتسعين مجلدًا من الكتب سلبها من بلدة الدرعية بعد القبض على عبدالله بن سعود، فقام المفتي بالإفتاء المذكور فاضطر الوالي إلى تسليم الكتب إلى إسماعيل أغا وزير المباني في المدينة حتى استطاع محمد علي الحصول على موافقة السلطان بإيداعها في مكتبة المدرسة الجديدة وهي مدرسة السلطان ذاته[١].

٢ ـ القسام العسكري

وهو من معاوني القاضي في المدينة، وهذا المنصب من مستحدثات العصر العثماني، حيث لم يكن معروفًا من قبل في العصر المملوكي، ولعل أول إشارة وردت عنه تعود إلى سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م، حيث أورد المؤرخ إبن إياس في كتابه ما نصه: «... أُشيع أن حضر صحبة العسكر شخص من العثامنة، يزعم أنه قاض من قضاة ابن عثمان، وعلي يده مراسيم من السلطان «سليمان» بأن يستقر متحدثًا علي جميع الترك قاطبة، الأهلية، وغير الأهلية ولا يعارضه أحد من الناس في ذلك، وأن يأخذ ما يتحصل عليه من كل تركة العُشر لبيت المال، أهلية كانت أو غير أهلية، وأن في مراسيمه: أن أحدًا من المماليك الجراكسة، وأولاد الأتراك قاطبة وأرباب الدولة والأصبهانية والانكشارية لا يعقدوا عقد نكاح بكر ولا ثيب قاطبة إلا عند ذلك القسّام...»[٢].

وقد تواجد هذا القاضي في مصر نيابة عن قاضي المدينة، ومرسل من قِبل السلطان العثماني نفسه، ومن ثم نستطيع القول: بأن القسام، هو القاضي الذي يختص بقسمة التركات وتعيين الأوصياء علي القُصّر من أبناء الرجل المتوفىَ،

---

(١) رئاسة دائرة الأرشيف العثماني، وثيقة رقم٥٩ غير مؤرخة تقرير بالكتب المقدمة للمكتبة الخاصة بمدرسة السلطان التصنيف HAT-1301-50671.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١م، ٥: ٤٥١.

وكذلك يختص ببيع التركات ومحاسبة الأوصياء علي القُصّر، وهو نوعان: قسام عسكري، وقسام عربي، وكل منهما يختلف في اختصاصه ونظره عن الآخر، وإن كان يجمع بينهما الاختصاص القضائي، وقد كان هذا القسام سواءً كان عسكريًا أم شرعيًا يتبع في نظره لتقسيم التركات القواعد الشرعية التي أقرها الفقهاء من قبل وكانت لهم رسوم مالية لا يتعدونها.

٣ ـ الشهود.

وهم من معاوني القاضي، ولا يكتمل مجلسه إلا بهم ولا تكتمل أركان الدعوى إلا بحضورهم نظرها وفق ما أقره الشرع الإسلامي، ووفق ما أوردته الوثائق المختلفة فتبعًا لخطورة وأهمية القضية فقد يتعدد الشهود علي الوثيقة الواحدة، ففي وثيقة عُرفت «بالتآلف والاتحاد» تم الاتفاق على أن يتلازم آل مبيريك ورجال العففا بأن يجمعوا بعضهم بعضًا في كل شئ حتى الدم والعزم دم كلاهما يسد في دم الآخر، ودية كلاهما واحدة، وكذلك عرضهما واحد»[1].

مما سبق يلاحظ أن الشهود وصلوا إلى أحد عشر شاهدًا، فضلًا عن القاضي والكاتب، بينما في عقود البيع والشراء، وكتاب الحجج كان يكفي شاهد، أو شاهدان، وفي أحيان كثيرة يكتفى بشاهد واحد فقط بجانب الكاتب والقاضي[2].

وقد تعدد ذكر الشهود من معاوني القاضي خلال فترة الدراسة، وكان من أبرزهم: «سالم القايدي، فقد شهد في المحكمة على وثيقة كانت مختصة بتحديد

---

(١) الحربي: وثائق تاريخية، ٢٦٧١.

(٢) سجلات المحكمة الشرعية، س ١٧١، وثيقة ٢٦٦، ورقة ٣٦-٣٧، مؤرخ في ٢٢ المحرم سنة ١٢٢٨هـ، وس١٥٣، وثيقة ٣٧٩، مؤرخ في ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٦٥هـ، ص ٦٠، والحربي: المرجع السابق، ق ٣، ٢٦٧٩ - ٢٦٨٧.

أملاك في منطقة جبل أحد بالمدينة»[١] ، ومنهم أيضًا ـ ممن شهد على دعوى شرعية بالمدينة الشاهد «مبارك بن مرزوق القايدي»[٢] ، ومنه ـ كذلك ـ شاهد يدعى «شيخ بن علي بن الحروب عواد الغريبة العلوي» ، حيث شهد في الصراع الدائر بين حرب وإبراهيم باشا وعساكره في المدينة سنة ١٢٣٠هـ[٣] ، وأيضًا منهم شاهد يدعى «عويد بن عايد الأحمدي» ، وقد كان شاهدًا في حجة دعوى شرعية ببيع نخيل كذلك في المدينة[٤] ، كما كان شاهد آخر ويدعى «سعد بن شويقي التميمي» ، والذي كان شاهدًا في الفترة من سنة ١٢٧٦ ـ ١٢٧٧هـ ، في المدينة ـ أيضًا ـ حيث شهد على البيع لبعض النخيل في الحنانية ، وكان شاهدًا على دعوى وصية ، وكذلك شهد على بعض الأملاك.[٥] وأيضًا «حمد بن حمود الكريكي» فقد كان من أوصافه أنه من أهل النظر والإصلاح في القضايا العرفية ، فقد شهد علي إثبات وقف ووثيقة اقتسام أملاك وغيرها[٦] ، ومنهم ـ أيضًا ـ حمد بن صالح ، وهو ما أخبرتنا به الوثائق الخاصة بالقضاء في المدينة بأنه كان شاهدًا علي وثيقة مبايعة ، ووثيقة مناصفة ، وقد عمل في الفترة من سنة ١٢٧٢هـ وحتى سنة

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، س ١٦١، وثيقة رقم ٦، ص ٢، مؤرخ في ٣٠ المحرم سنة ١٢٧٦هـ.

(٢) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، س ١٦١، وثيقة رقم ١٨٤، ٢٢، مؤرخ في ٤ صفر ١٢٧٧هـ.

(٣) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، س ١٤٠، وثيقة رقم ٣٣، ٤، مؤرخ في ٢٠ شعبان سنة ١٢٣٩هـ.

(٤) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، س ١٥٣، وثيقة رقم ٣٧٩، مؤرخ في ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٦٥هـ، ٦٠.

(٥) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، س١٨٣، وثيقة رقم ١٦٤، ص ٥٩، مؤرخ في غرة جماد الثانية سنة ١٢٧٦هـ ، وأخرى س ١٦٢، وثيقة رقم ١٨٤، ورقة ٢٢، مؤرخ في ٤ صفر سنة ١٢٧٧هـ.

(٦) فائز البدراني : أشهر القضاة ، ١١٤.

١٢٩٩هـ، أي ما يزيد علي سبع وعشرين عامًا، غير أن معظمها خارج إطار الدراسة[١].

وتجدر الإشارة إلى أن الوثائق المختلفة والمهتمة بالقضاء في المدينة أوردت إلينا بعض المعلومات التي أشارت إلي وجود أشخاص جمعوا بين وظيفة الكاتب وكونه شاهد في الدعاوي المختلفة، وكان منهم: عثمان بن النهاري، والذي عمل في الفترة من سنة ١٢٢٣ ـ ١٢٢٤هـ[٢]، ومنهم ـ أيضًا ـ عطية بن مبارك الماتي الفقيه، وقد عمل في سنة ١٢٧٧هـ[٣]، وعطية الله بن مبارك اليوبي، والذي عمل شاهدًا وكاتبًا سنة ١٢٦٥ ـ ١٢٦٩هـ[٤]، وكذلك الشيخ: علي بن عبد الرحمن خيار الخزرجي المدني الأنصاري، والذي سجل وثيقة إصلاح مشاجر طلبة سنة ١٢٦٦هـ[٥]، وغيرهم الكثير.

٤ ـ الكُتّاب

وهم ـ أيضًا ـ من معاوني القاضي، وهم الذين يتولون تسجيل ما يدور أثناء نظر الدعوي من كافة الأطراف: المدعِي، والمدعىَ عليه والشهود وغيرهم، ثم يتولون تسجيل أحكام القاضي في الدعوى المنظورة ممهورة بتوقيع القاضي ومؤرخة بتاريخ نظرها، وقد أوردت لنا المصادر والوثائق المهتمة بالقضاة عموما، وفي المدينة ـ خاصة ـ العديد من الأمثلة من كتاب وثائق القضاء الشرعي والعرفي منهم:

١ ـ بركة بن الحسين أبو يدية البغولي، وقد اشتغل كاتبًا في وادي الفرع،

---

(١) المرجع السابق، ١١٥.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٧.

(٣) السابق، ٢٦١.

(٤) نفسه، ٢٦٤.

(٥) نفسه، ٢٧٥.

وتحديدًا في قرية أبي ضباع في الفترة من سنة ١٢٥٨ ـ ١٢٦٥هـ[١].

٢ ـ بطي بن هجرس الكليشمي، وهو من الكلاثمة، ينتمي لبني جابر بن عمرو، من أهل منطقة وادي الفرع، وقد كان كاتبًا في الفترة من سنة ١٢٦٨ ـ ١٢٨٦هـ، ـ أي حتي بعد فترة الدراسة ـ، ومن كتابته في إحدى الدعاوى، كتابته لوثيقة تثمين أملاك في وادي الفرع، وأخرى عن واقعة مبايعة بين طرفين[٢].

٣ ـ تريكي بن تركي، وكان يلقب نفسه وفق ما ورد في الوثائق بـ«تابع الشيوخ الهواشم»، ومن أمثلة كتابته: حالة إثبات مبايعة لقطعة أرض بوادي الفرع بالمدينة سنة ١٢٤٩هـ، وواقعة أخرى لمبايعة نخيل، وقد ظل يعمل بالكتابة حتى سنة ١٢٦١هـ[٣].

٤ ـ حامد بن أحمد الفقيه العمري: وهو من كتبة الوثائق بالمدينة، وقد وردت كتابته لوثيقة مبايعة نخل بالمدينة في سنة ١٢٢٩هـ[٤]، و١٢٣٦هـ، و١٢٣٤هـ، كما كانت هناك نماذج من تسجيل المبايعات كذلك في سنتي ١٢٢٩هـ، وسنة ١٢٦٧هـ[٥].

٥ ـ حداد بن مرزوق، وقدر ورد اسم هذا الكاتب في وثيقة تعود إلى سنة ١٢٥٩هـ، ١٢٦٠هـ، ١٢٦٦هـ، أي أنه كان موجودًا في تلك الوظيفة في الفترة بين سنتي ١٢٥٩هـ، ١٢٦٦هـ، وكان مما يكتب في المبايعات، واتفاقيات وبيع ثمر النخل[٦].

---

(١) فائز البدراني: أشهر القضاة، ٦٣.
(٢) المرجع السابق، ٦٦.
(٣) المرجع السابق، ٧٠.
(٤) السابق، ٨٢.
(٥) فائز البدراني: أشهر القضاة، ٨٣.
(٦) المرجع السابق، ٨٧.

٦ ـ السيد حسن بن السيد أحمد الموسوي المدني ، وكان كاتبًا في سنة ١٢٢٨هـ ، وقد كتب وثيقة صلح وإنهاء دعوي بين طرفين[١] .

٧ ـ حسين بن حسن أبو مجلي ، وهو من الكتاب ـ أيضًا ـ وينتمي إلي أسرة آل مُجَلِّي ـ وهي أسرة اشتهرت بالعلم والكتابة في المدينة ، وفي قرية أبي ضباع من وادي الفرع ، ومن كتابته وثيقة صلح بين طرفين عقب مشاجرة قد حدثت سنة ١٢٢٣٠هـ[٢] .

٨ ـ حمد بن عبد الله بن عبد المحسن الحاسري ، من الحسرّ من قبيلة مناشي من بني عمرو ، وأهل المضيق في وادي الفرع ، وقد أورد له صاحب كتاب ـ أشهر القضاة ـ من الوثائق الكثير التي تؤكد عمله في الكتابة في الفترة بين سنتي ١٢٦١هـ وحتى سنة ١٢٩٧هـ ، وهي فترة ست وثلاثون سنة كاملة[٣] .

وبالإضافة لما سبق كان هناك من الكتبة من كان ينتمي إلى خارج حدود المدينة ، وذلك مثل : الكاتب حمود بن عبد الرزاق الصابون ، قد كان من الموالي ، وكتب وثائق فترة طويلة من سنة ١٢١٩ ـ وحتي سنة ١٢٦٠هـ ، مثل : بيع نخيل ووثائق إثبات النسب ـ وأيضًا ـ إثبات نخيل وصدقة ، وسيبل وغير ذلك[٤] . كما عمل بوظيفة الكتابة بعض العلماء ، مثل : حمود بن مسند الشيخ ، والذي عمل بها في الفترة بين سنتي ١٢٤٥ ـ ١٢٧١هـ[٥] . كما عمل بها أسرة كاملة مثل : أسرة «الحاسر»[٦] ،

---

(١) نفسه ، ٨٩.

(٢) نفسه ، ١٠٤.

(٣) نفسه ، ١١٧.

(٤) فائز البدراني : أشهر القضاة ، ١٢٦-١٢٧.

(٥) المرجع السابق ، ١٢٨، ٢٠٢.

(٦) نفسه ، ١٣٠، ١٣١، ١٣٨، ١٨٧، ٢٠٠، ٢٢٧، ٢٣٤.

وأسرة «بني خالد»[١]، «ومناش»[٢]، «والبغولي»[٣]، «والصعيدي»[٤].

كذلك اشتغل بها المغاربة مثل: يحيي بن دخيل الله المغربي سنة ١٢٧٨هـ[٥]، وعمل بها الأشراف الحسينيون مثل: الشريف راجح بن فايز الحسيني[٦]، والشريف عبد المطلوب بن سليمان، من الأشراف الحسينيين، فقد كان كاتبًا وشاهدًا في الوقت نفسه[٧].

ومما تجدر الإشارة إليه أن وظيفتي الكاتب والشاهد قد توارثتها بعض الأسر والبيوتات، فقد عمل بها: عبد الحميد بن عبد المعطي، الفقيه، وكذلك كان والده يعمل في الوظيفة ذاتها من قبله[٨]، كما عمل بها ـ أيضًا ـ عبد العزيز بن بركة، حيث كان كاتبًا، وكان والده من قبله يعمل في الوظيفة ذاتها، ويدعي «بركة أبويديه»، حيث كان كاتبًا وشاهدا أيضًا[٩].

٥ ـ الترجمان

وهو من معاوني القاضي ـ أيضًا ـ وكان يتولي عملية ترجمة الدعاوى من اللغة الأصلية الخاصة بها والمقدمة من أصحابها إلي اللغة العربية، وكذلك منوط به ترجمة ونقل الأحكام التي تصدر من القاضي من اللغة العربية إلي اللغة التي

---

(١) نفسه، ١٣٢.
(٢) نفسه، ١٤٤، ١٦٣.
(٣) نفسه، ١٤٨.
(٤) نفسه، ٢٣٣، ٢٩٦.
(٥) نفسه، ٤٨٨.
(٦) نفسه، ١٥٣.
(٧) نفسه، ٢٤٥.
(٨) نفسه، ٢١٧، ٢٤٦.
(٩) فائز البدراني: أشهر القضاة، ٢٢٢.

يتحدث بها أصحاب الدعوي ، ومن ثمّ فدوره مهم للغاية في معاونة ومساعدة القاضي.

٦ ـ المحتسب[١] .

وهو ـ أيضًا ـ من معاوني القاضي ، وكان منوطًا بضبط وقائع الجلسة التي تنظر فيها الدعاوى ، حيث كان مانعًا لأي من أطراف الدعوى أن يخرج على حدود الدعوى ، أو يقوم بتوجيه ما يسئ للقاضي ، أو لخصمه في الدعوى .

المبحث الثاني

الاختصاصات القضائية الأساسية للقضاة في المدينة

١ ـ الاختصاصات الشرعية

من المعروف والمألوف أن المهمة الرئيسية للقضاة كانت ـ عبر التاريخ ـ تكاد تقتصر على الفصل فى الخصومات وتنفيذ الأحكام الشرعية والحقوقية وفق أحكام الشريعة الإسلامية ، ولكن الوثائق الخاصة بالقضاء فى المدينة ـ فترة البحث ـ ، كشفت ، ـ بل وأماطت اللثام ـ عن واقع جديد فيما يتعلق بمهام القضاة ، حيث كثرت تلك المهام وتشعبت ، وأصبحت تتصل بكثير من أمور الحياة المعيشية والدينية بالنسبة للمقيمين فى المدينة بل والحجاج والأماكن المقدسة .

---

(١) وهو من الحسبة ، والحسبة قد عَرفها ابن الفراء بقوله : «.... والحسبة ، هي أمر بالمعروف ، إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله» ، ابن الفراء (محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ٤٥٨ت هـ) : الأحكام السلطانية ، صححه : محمد حامد الفقي ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ، ٢٨٤.

فبجانب المهام المألوفة والرئيسة والتي تتمثل في الفصل في الخصومات وتنفيذ الأحكام الشرعية والحقوقية وفق المذهب الحنفي في المنطقة الخاضعة لحكم أمير المدينة ، وإخبار الدولة بما يجري فيها[1] ، وهو الأمر الذى أكدته الوثائق حيث تذكر أن قضاة المدينة خلال هذا القرن كانوا منفذين لأحكام الشرع ، فقد كانت ترفع إليهم القضايا الشائكة فيقومون بعلاجها بعد الرجوع للشريعة ومصادرها لاستخراج الأحكام الشرعية .

ويمكن إعطاء بعض النماذج لجهود القضاة في تنفيذ أحكام الشرع الشريف فيما يلي :

أولًا : الأحكام الشرعية

قام القاضي برعاية مهام وظيفته في الفصل في الاحكام الشرعية بين أهالي المدينة وقاطنيها ومن أبرز ما وجده الباحث عند مطالعة المصادر وعلى رأسها وثائق سجلات المحكمة الشرعية أمكن تسجيل المهام التالية :

١ ـ إبطال العقود الشرعية

وهي من الاختصاصات الأساسية للقضاة ـ في فترة الدراسة ـ إبطال العقود مثل عقود الزواج ، حيث حضر أحد أبناء المدينة للقاضي كي يعقد قران ابنته على أحد الشباب وصدق القاضي ووثق العقد في سجلات المحكمة الرسمية ، إلا أنه بعد فترة تقدم الوكيل الشرعي الذي اختارته الفتاه إلى القاضي أحمد أفندي الشهير بالمصنف سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م وأقر أن ابنته لم توكله في عقد زواجها فقام القاضي بإحضار الشهود الذين شهدوا على العقد فأجابوا بأن البنت حين سألها أبوها عن الموافقة على الزواج سكتت ولم تتكلم، وعندها زعمنا أن

---

[1] جارشلي : أمراء المدينة في العهد العثماني ، ٨٤.

السكوت إقرار ولم نسمع منها الرضا بالوكالة. عندها قام القاضي بإصدار القرار بإبطال العقد وقرر حق الزوج في استرداد حقوقه التي دفعها للزوجة بل قام القاضي بدفع المبلغ في مجلس القضاء فورًا على أن تكون في ذمة الوكيل(١).

٢ ـ الإنفاق على الفقراء

يؤكد هذا ما أوردته بعض الوثائق: من أن زوجة أحد المجاورين فى المدينة يدعى«إبراهيم الكاشاني» تقدمت بطلب تخصيص مرتب زوجها الذى لها وقد رفع طلبها سر عسكر الحجاز بتاريخ ٢٩ شعبان ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م لدولة حسين باشا باشمعاون(٢) جناب الخديو، وعندما عرض الأمر على القاضي المدني تم تخصيص المرتب لها فى ٢٦ رمضان ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م(٣).

٣ ـ تسجيل البيوع

كما كان من اختصاصات القاضي في المدينة تسجيل البيوع حيث يحضر البائع والمشتري والشهود إلى مجلس القاضي ويقر البائع بأنه باع بيعًا صحيحًا شرعيًا في غير إجبار ولا إكراه ما هو في حوزته وملكه وتحت تصرفه إلى صدور البيع منه الآيل إليه بالشراء الشرعي من صاحبه الأول الذي إليه أيضًا بطريقة شرعية كإرث أو شراء شرعي صحيح(٤)، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به قاضي المدينة من التصديق على بيع أرض في جزع خارج سور المدينة، وقد كان البائع قد أقرّ بأنه قد حصل علي ثمن الأرض كاملًا غير منقوص، وقد صدق علي ذلك الشهود

---

(١) زاحم: قضاة المدينة، ٢: ٤٣٣.

(٢) باشمعاون: سبق أن ذكرنا أن الباشوات أو الباشا أو الرأس أو الرئيس وهنا رئيس المعاونين لجناب الخديو M.Z. PAKALIN: *Osmanlitarih. 1,* c, s.527 .

(٣) دار الوثائق: محفظة ٢٦٦ عابدين نمرة ٩٣ حمراء مؤرخة فى ٢٦ رمضان ١٢٥٥هـ.

(٤) الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس ـ المكتبة العتيقة ١٩٩٧م، ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

فأثبت القاضي ذلك كاملًا في وثيقته[(١)]، ومنها ـ أيضًا ـ ما قام به أحد أهالي المدينة عندما أراد بيع منزله فقدم للقاضي ما يدل على أن البيت المزمع بيعه قد دخل في ملكه بطريقة شرعية وهي الإرث الشرعي بموجب القسمة التي بينه وبين أخيه، ثم قدم للقاضي الحجة الشرعية للبيت ووضح في الوثيقة مكان البيت في زقاق جعفر بخط المنا وحدوده الأربعة ثم بين أنه حكر يدفع عنه ٨٧ قرشًا لجملة وقف الدلال وحدد قيمة البيت بعشرة آلاف قرش فقام القاضي بتسجيل ذلك كله في السجلات الخاصة بالمحكمة ثم قرر تسجيل البيع وإعطاء المتبايعين حجة شرعية لكل منهما تثبت ذلك البيع[(٢)]، وبجانب ما سبق، كان القاضي الشرعي في المدينة يختص بتسجيل المبايعات في ظاهر المدينة في منطقة الحسا، حيث صدر قرار يؤكد ذلك لصالح ناصري السفرس[(٣)]، وذلك بالتصديق وتسجيل البيع لصالحه، وفي قبا ـ كذلك ـ في منطقة القويم، كما كان القاضي يذكر في كل وثيقة قيمة المبلغ المقابل للبيع، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به مهند بن مفلح السراني، حيث باع اثنتي عشرة نخلة في ذوي سالم بحوضها، وأرضها، ومائها بالكامل، وذلك مقابل ٤٢٥ ريالًا في سنة ١٢٢٤هـ[(٤)].

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٣٤، وثيقة رقم ٤٩٤، مؤرخ في ٢٧ جماد الأولى سنة ١٢٢٣هـ، ٦١.

(٢) زاحم: قضاة المدينة ٢: ٥٥٩.

(٣) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٣٥، وثيقة رقم ٤٩، ورقة ٤، مؤرخ في ٢٠ شوال سنة ١٢٢٤هـ، وس ١٦١، وثيقة رقم ١٨١، ورقة ٢٤، مؤرخة في ٢٥ جماد الثانية سنة ١٢٧٦هـ.

(٤) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٣٥، وثيقة رقم ٣٢ ورقة ٣، مؤرخ في ١٦ شعبان سنة ١٢٧٤هـ.

٤ ـ الوصية

كما كان من الاختصاصات التي كان يقوم بها القضاة هي تنفيذ الوصية، حيث عرض على القضاة في المدينة قضايا الوصية الشرعية، ومن الأمثلة على ذلك ـ في فترة الدراسة ـ ما تقدم به أحد الأشخاص مدعيًا بأنه وكيل عن والدته والتي لها مبلغ ٥٠ قرشًا لدى أحد المدينين من تجار المدينة وطلب المدعي المبلغ المذكور بناء على ادعائه بان الوصية بان يجمع أموال والدته؛ إلا أن المدين اقر بصحة الدين ورفض الإقرار بصحة الوصية وأقر بأن ليس من حق المدعي ان تسلم المبلغ المذكور فقام القاضي بسؤال الشهود، وعندها قرر القاضي إبراهيم بري زاده إثبات الحق في الوصية وإلزام المدين بسداد الدين له خاصة وأن شقيقه الموصي إليه وبنت الأم الدائنة قد أنابت الدائن الموصي إليه في قبض حقها من المبلغ عن المدين[1].

٥ ـ تسليم الأمانات

ومن القضايا التي عرضت على قاضي المدينة الموضوعات المتعلقة بحفظ الأمانات وأدائها حيث قام أحد الأمناء في المدينة بحفظ بعض الأمانات لديه وبعد فترة وفي سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م حضر للمدينة صاحب الأمانة الأصلي فأراد الأمين إبراء ذمته فلجأ للقاضي عبدالرحمن الأنصاري ومعه الوثائق الدالة على تسليم الأمانة لصاحبها حال عودته للمدينة فقام القاضي بإثبات ذلك في سجلات المحكمة وأعطى للأمين حجة بإبراء ذمته بعد أن أقرّ صاحب المال أمام القاضي بتسلم جميع الحوائج التي بيد الأمين وأقر الوكيل باستلامها بالتمام ولم يبق بيد الأمين منها شيئًا وبرئت ذمته[2].

---

(١) المرجع السابق، ٢: ٣٠٦.

(٢) زاحم، قضاة المدينة ٢: ٤٢٤.

٦ ـ الاستبدال[١]

وهو من الموضوعات التي كثرت فيها الأحكام الشرعية في المدينة كان موضوع الاستبدال، والذي انتشر في المدينة حيث كان موضوعًا مركبًا يتم بموجبه الاتفاق بين طرفين الأول منهما صاحب الوظيفة، والثاني المتنازل له، والذي كان يتنازل كان يفعل هذا مقابل عوض مالي يسجل في سجلات المحكمة ويطلق عليه «الحلوان»[٢] ومن الأمثلة على ذلك: كان التنازل عن الوظيفة أو جزء منها، ففي سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م حضر للقاضي حسن بروسوي أحد المؤذنين وأقر بأنه فرغ عن طيب خاطر وانشراح صدر لأحد أهالي المدينة عن راتب شهر في رئاسة المؤذنين من وظيفة يوم الأربعاء من أصل أربعة أشهر وخمسة أيام بموجب كشف شيخ الرؤساء المؤذنين بعوض قدره ثمانين قرشا مسلمة مقبوضة بيد الفارغ المذكور بإقراره واعترافه وأبرز منه المستفرغ المذكور براءة قبض واستيفاء فأقر القاضي بصحة الإفراج ولزومه في خصوصه وعمومه[٣].

٧ ـ تسجيل الأوقاف

تأتي عملية الوقف على الحرمين الشريفين كقضية من القضايا المهمة للمجتمع المسلم في العالم الإسلامي، إذ شاعت قضية الوقف على الحرمين الشريفين في

---

(١) الاستبدال: هو استبدال الوقف بوقف آخر أو الوظيفة بمقابل مالي إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ولا بد أن يكون بحضور القاضي وموافقته، إذ لا يجوز أن يقوم بذلك صاحب المصلحة، وعلى الرغم من ذلك فقد كان معظم القضاة يتحرجون من الموافقة على الاستبدال، حتى لا يكون مدعاة للتلاعب، ابن نجيم الحنفي: تحرير المقالة فى مسألة الاستبدال، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت ٥٤م فقه حنفى تحت عنوان «الورقات» ٢٥، ٣٠، الفتاوى الزينية تحت رقم ٧٩٢ فقه حنفى، محمد عفيفي: الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثماني، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م، ٧-١١.

(٢) الحلوان: هو المقابل المالى الذى يدفع المسقط له الوقف. مصطفى رمضان: مناهج البحث التاريخية، وتحقيق المخطوطات، ٣٠١.

(٣) زاحم، قضاة المدينة، ٢: ٣٦١.

العالم الإسلامي من كل مسلم قادر وكان منها: الأوقاف في المدينة ذاتها إذ كثرت الأوقاف فيها بصورة كبيرة، لذا كان على القاضي في المدينة القيام بتسجيل الأوقاف وتسليم إدارتها لنظارها بدقة شديدة وحزم شديدين حتى لا تتعرض للخسارة، فكان يتم تسجيل الوقف بحدوده، وشروطه، وغلته، وعمارته، وترميمه، وبقائه، وشروط الوقف في كيفية توزيعه أو الحفاظ عليه من الفساد[١]، وكذلك نوع الوقف، هل كان وقفًا أهليًا، أم كان خيريًا[٢]، وكيفية ثبوت ذلك، وسلوك القائمين على الوقف، والشهود على ذلك من المتنفذين الإداريين من الاغوات أو العلماء[٣]، وكيفية اختيار الناظر بدقة[٤]، ولأن هذا الموضوع كان أمرًا شرعيًا تسرب إليه الفساد، لذا سأقوم بالتعرض له في القضايا الجنائية.

ولم يكن القاضي الشرعي مختصًا بالوقف على الحرمين الشريفين فقط، حيث تعدى اختصاصه ـ أيضًا ـ النظر في الأوقاف الأهلية، من ذلك ما قام به القاضي من تسجيل وقف لرجل يدعى السيد عطية الله القليطي العمري، الذي أوقف أرض نخيل وبئر ماء بمنطقة خيف الحزامي، المعروف بخيف بن عمرو بالمدينة، وقد شهد عليه أولاده، وشهادة شهود، وقد صدق قاضي المدينة علي وثيقة التسجيل[٥]، وفي أحيان أخرى كان أحد الأهالي يطلب إثبات وقف له، فكان يتقدم إلى القاضي بذلك، فيقوم القاضي بالتحري علي الأمر، وبناءً عليه يصدر

---

(١) المرجع السابق، ٢: ٣٢٨.

(٢) السابق، ٢: ٥٠٦.

(٣) زاحم: قضاة المدينة ٢: ٤١٦.

(٤) المرجع السابق، ٢: ٥٠٧.

(٥) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، س ١٥١، وثيقة رقم ٤٠٩، مؤرخ في ٢٥ جماد الثانية سنة ١٢٦٢هـ، ٧٧.

قراره وحكمه بالموافقة على الأمر أو رفضه ، من خلال الدعوة المتقدم بها صاحب الوقف المدعي ، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به قاضي المدينة من الموافقة على ادعاء رجلٍ يدعى «رشيد الغرابي» بإثبات الوقف الخاص به عقب شهادة الشهود الشرعيين[١] .

٨ ـ الوكالة

وهي من الأمور الشرعية التي كانت تدخل في اختصاص القاضي الشرعي في المدينة ، وقد أثبتت وثائق المحكمة الشرعية في المدينة ، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في إحدى الوثائق بهذا الشأن من إثبات وكالة السيد «خلف الأحمدي» للسيد «حسين بن علي نملة» ، في قبض حقوقه المالية في مصر وقدرها ١٧٠٠ قرشًا ، وكذلك قبض مائة وخمسة وأربعين ريالًا من السيد «سليمان عودة» ، وقد قبل السيد حسين المذكور ـ سابقًا ـ الوكالة ، وصدق القاضي على ذلك[٢] .

ثانيًا ـ الاختصاصات الجنائية

وبجانب هذه المهمة الأساسية كشفت الوثائق عن مهام أخرى على جانب كبير من الأهمية ألقيت على عاتق القضاة ، وقاموا بها على أكمل وجه ، وتتمثل فيما يلي :

أ ـ النظر والتحقيق في قضايا القتل

كان من بين ما ينظر فيه القاضي بالتحقيق ويدخل ضمن الاختصاصات الجنائية ، تحقيقه في حوادث القتل المختلفة ، فقد أثبتت الوثائق هذا الأمر في أكثر

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، س ١٣٨، وثيقة رقم ٦٨، مؤرخ في ١٨ رجب سنة ١٢٣٣هـ، ص ٧.

(٢) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، س ١٧١، وثيقة رقم ٢٦٦، ورقة ٣٦-٣٧، مؤرخ في المحرم الحرام سنة ١٢٢٨هـ.

من مناسبة ، منها : ما ورد في حادثة قتل لشخص يدعى «نجيب الأحمدي» ، فقد وقعت هذه الحادثة سنة ١٢٢٨هـ ، وقد حقق القاضي فيها ، ثم أصدر حكمه بتوقيع الدية عقب حضور القاتل ، والقبض عليه من معاوني القاضي ، إضافة إلى حضور شقيق المقتول ، وبعد أن أعترف القاتل طلب دفع الدية الشرعية ، وتم الاتفاق علي دفع مبلغ سبعمائة ريالًا ، بعد أن تمَ تجميع البلغ المذكور بالفعل[1] ، حيث قام القاضي بتسليم المبلغ المحكوم به لشقيق المقتول وذوي الدم ، وتمَ الاتفاق على حفظ القضية عقب قبول دية القتيل ، وصدق القاضي علي هذا الحكم[2] ، ومن القضايا المهمة المتعلقة بالقتل ـ أيضًا ـ والتي تظهر الدور المهم الذي لعبه القاضي في مجتمع المدينة ، ما أوردته إحدى الوثائق المهمة في هذا الشأن ، حيث أرَّخت لواقعة قتل حدثت في شهر رجب لسنة ١٢٧١هـ ، والتي قُتل فيه شيخ الحرم النبوي بالمدينة المدعو «الحاج عثمان باشا» بالتسمم ، وهي عبارة عن تقرير مفصل من المجلس العدلي المشكَل للتحقيق في هذه الواقعة في المدينة ، وقد جاء فيها ما نصه : «... الحمد لله ، الموجب لرقم هذه المضبطة والباعث لها هو أن المحترم مصطفى بك شقيق المرحوم شيخ الحرم النبوي الحاج عثمان باشا طلب من بعض أهل الديانة الحاضرين في غُسل المرحوم المشار إليه الكشف والبيان عن حالته بعد موته بالتحقيق ، فحضر المحترم نائب الحرم الشريف النبوي وقائمقام شيخ الحرم الحاج «دلاور» أغا ، وحضر المحترم مأمور أبنية الحرم الشريف النبوي الحاج محمد باشا ومأمور حضرة والي جدة حمدي أفندي المحترم ، وحضر بعض ذوات كرام لأجل استنطاق بعض من رأي حضرة المرحوم شيخ الحرم عثمان باشا بعد موته

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، س١٣٦، وثيقة رقم ٢٧، ورقة ٧، مؤرخ في ٢٠ جماد الأولى سنة ١٢٢٨هـ.

(٢) سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، س١٣٦، وثيقة رقم ٢٧، ورقة ٧، مؤرخ في ٢٠ جماد الأولى سنة ١٢٢٨هـ.

والكشف عن حقيقة ذلك، ثم عقب حضورهم، حضر بالمجلس المذكور المكرم رجب أفندي بن المرحوم محمد رجب، وعقب حضوره سأله أهل المجلس عنما شاهده من حالة المرحوم عثمان باشا بعد موته، فأجاب بأني رأيت زرقة في ظهره وزرقة جزئية عند صرته «ظهره»، وزرقة في أظافر يديه، هذا ما رأيته وعاينته بلا زيادة ولا نقصان، فسأله أهل المجلس عن زرقة أظافر الرجلين، فأجاب بأني ما نظرت إليها بوجه الدقة وما انتبهت لها هل فيها زرقة أم لا، ووضع إمضائه وختمه علي ذلك. الفقير إليه رجب بن المرحوم محمد رجب عفى عنه، حرر في ٨ رجب ١٢٧١هـ، والمذكور شيخ «الشرشورة» بالمدينة الفقير إليه «عربان ....»[1]، ثم تمضي الوثيق في سردها لواقعة قتل شيخ الحرم النبوي لتعكس الدقة في مسألة استجواب الشهود، حيث يقرر أهل المجلس استحضار المغسلين لاستجوابهم ومعرفة شهادتهم في الوقعة فتذكر ما نصه: «... ثم استحسن أهل المجلس المذكور إحضار الغسّالين الذين غسلوا المرحوم المشار إليه واستنطاقهم، حيث إنهم أدري بكيفية ذلك لمباشرتهم إياه بالغسل ولتكرار مرور الموتى عليهم، ومعرفتهم بعلامات الموتى بسبب ذلك، فحصل استجلاب الغسالين إلى المجلس، فحضرر المكرم الشيخ أبو بكر بن المرحوم الشيخ عبد الله الفلات والشيخ سالم بن عبد الله، والشيخ بلال بن عبد الله الرحمان الغسالون للموتى في المدينة، وعقب حضور المذكورين سألهم أهل المجلس عن كيفية حال المرحوم شيخ الحرم عثمان باشا وما شاهدوه منه بعد موته في حالة الغسل، هل رأوا من ذلك شيئًا، وهل رأوا فيه من العلامات رأوه سابقًا في بعض الموتى أم لا، وطلبوا منم الجواب بما شاهدوه بالمعاينة بلا زيادة ولا نقصان، فأجاب المغسلون كل واحد بمفرده متفقين على تقدير واحد بأن الي رأيناه في المرحوم المذكور زرقة

---

(1) سنان معروف أغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني، بيروت ـ دار الساقي ٢٠٠٢م، ١٠٧.

آخذة من أعلى الرقبة إلى حد (الأليتين) فاشتبه في جميع الرقبة والظهر وزرقة في جميع أظفار اليدين والرجلين وزرقة في البطن عوالي السرة، ورأينا السرة مرتفعة وخارجة إلى الظاهر خروجًا بينًا، وهذه الأشياء ما رأيناها في ميت قبل ذلك، وإنما رأينا في بعض الأموات بعض زرقة في الظهر ولكن ليست مثل هذه، وأما زرقة أظافر اليدين فرأيناها في بعض الأموات في الوباء العام، وأما زرقة أظفار الرجلين وزرقة البطن وارتفاع السرة وخروجها، فما رأيناه من ذلك شيئًا في ميت غير شيخ الحرم المذكور، هذا الذي رأيناه وعايناه بلا زيادة ولا نقصان ونشهد به هنا وبين يدي الله تعالى شهادة حسبية لله ولرسوله لا لغرض ولا لعرض، ووضعوا أمهارهم على تقريريهم هذا، حرر في رجب سنة ١٢٧١هـ، بلال بن عبد الرحمان عفى إليه «عربان» عنهما، سالم بن عبد الله الغسال، عفى الفقير إليه «عربان» عنهما، الفقير إليه أبو بكر بن عبد الله الغسال عفى عنهما ..»[٢]، ثم تمضي الوثيقة لتؤرخ استنطاق واستجواب جيران المتوفى، فتذكر ما ورد فيها نصًا: «.... ثم قرر الشيخ أبو بكر بن عبد الله (الفلات) الساكن بجوار شيخ الحرم المذكور قائلًا بأني سمعت من بيتي ضحكًا فاحشًا من الزقاق في ليلة موت شيخ الحرم المذكور قبل ظهور موته لأحد، فتعجبت من هذا الضحك حيث إن شيخ الحرم في حالة التلف وأُناس يضحكون ضحكًا فاحشًا بقهقهة عند بيته، فنظرت من طاق البيت إلى الزقاق لأنظر من الذي يسئ الأدب في هذا المكان فرأيت المدير وجماعته آتين من بيت شيخ الحرم على تلك الحالة المذكورة، ثم عقب ذلك ظهر موت شيخ الحرم المذكور، فتعجبت من ذلك، ووضع مهره على ذلك. الفقير إليه «عربان» أبو بكر بن عبد الله الغسال، عفى عنهما، حضر بالمجلس المذكور الواضعون أسمائهم وأمهارهم أدناه وصادقوا على تقرير الغسالين الثلاثة المذكورين أعلاه في العلامات

---

(١) سنان معروف أغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، بيروت ـ دار الساقي للطباعة والنشر ٢٠٠٢م، ١٠٨.

المذكورة، وقرروا مثل تقريرهم لكونهم حاضرين على غسل المرحوم المذكور، مشاهدين له وشهدوا به حسبة لله ورسوله، حرر في ٩ رجب سنة ١٢٧١هـ، ....»[١]. ثم وقع أعضاء المجلس العدلي على شهادة الشهود. ثم تستطرد الوثيقة في سرد شهادة محافظ المدينة على هذه الواقعة، فتذكر ما نصه: «... ثم بعد جواب المتقدمين من الغسالين وغيرهم سأل حضرة مصطفى بك المومئ إليه أعلاه جناب المحترم محافظ المدينة السابق الحاج مصطفى باشا عنما شاهده من حالة المرحوم المشار إليه، حيث إنه كان محافظًا في ذلك الوقت وتحقيق ذلك مطلوب منه بالإيجاب، فأجاب حضرة مصطفى باشا المذكور بأني قد رأيت زرقة من أعلى رقبته إلى حد (الأليتين) وزرقة حوالي السرة وسواد من أعلى السرة وزرقة في أظافر اليدين والرجلين، هذا ما رأيته وأشهد به.. محافظ المدينة سابقًا...»[٢]، ثم أوردت الوثيقة ـ أيضًا ـ شهادة آخر يدعى عباس قازطاغلي فيما ورد نصه: «..... ثم شهد بما قرر من الغسالين بعد معاينتهم مما رأوا إشارات في المرحوم ورأى المذكور الواضع اسمه الحقير عباس قازطاغلي، أنها علامات المسموم وأيضًا رأى بعد وفاته تابع عثمان آغا المتوجه إلى مصر ثلاثة أيام أيضًا لسانه منصف أخضر ومنصف أزرق وعلامات المسموم والله أعلم...... الفقير إليه عربان عباس قازطاغلي...... حضر بالمجلس الواضعون أسمائهم وأختامهم أدناه وقرروا جميعًا بأن الحاج سليم بن بكري الحكيم بعدما رأي جنازة المرحوم شيخ الحرم حصل بيني وبين أجزجي النظام «صيدلي النظام»، كلام كثير، وقطع وجزم الحكيم المذكور بأن المرحوم شيخ الحرم مسموم وعلامات موجودة فيه وأنا أشهد بذلك، ونحن نشهد على شهادته، حرر في ١٨ رجب لسنة ١٢٧١هـ،

---

(١) سنان أغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، ١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ١١٠.

هكذا أخبرنا ....»[١] ثم تشير الوثيقة لشهادة بعض الحكماء ويدعى الحكيم سليم بن بكري فتقول: «... لما وصلت إلى المدينة وأخبرت العلامات البائنة في المرحوم بعد موته، فأقول هذه العلامات قد يكون من علامات السمية، والله أعلم بالصواب .. الفقير إليه (عربان) الحكيم من أهالي الهند قطب بارجك .. لما توفى حضرة الباشا حضرنا لتشييع جنازته عند سبيل باب الشامي، فأخبرنا الحاضرون أن الباشا المشار إليه توفى مسمومًا، فيلزم أن تنظروا إليه، فدخلنا فوجدناه على دكة الغسل فميلوه على جنبه الأيسر فوجدنا في ظهره زرقة مور «أزرق غامق»، وفي أظفار يده اليمنى كذلك، فحزنا غاية الحزن وما رأينا غير ذلك والله أعلم..... الداعي شيخ الخطباء بالمدينة الداعي حقي معيني ....، حضر بالمجلس المذكور حضرة سليمان آغا كتخداي المرحوم شيخ الحرم عثمان باشا وقرر في المجلس بأن مولانا المحترم الشيخ عبد الله صاحب أرسل لي قبل وفات المرحوم بثلاثة أيام، وقال يا سليمان آغا، الباشا لا «تعده»، إلا أنه مات لأني نظرت إلى بوله بعد امتحاني له بالزيت فما وجدت فيه رجاء، فالتفتوا إلى أحوالكم وتتدبروا في حال بناته وعياله، فبعد سماع أهل المجلس تقرير سليمان آغا المذكور، أرسلوا من طرفهم مصطفى أفندي كاتب التحريرات وأحمدگ أفندي ترجمان وقول أغاسي «رئيس العبيد» محمود آغا لحضرة المحترم الشيخ عبد الله صاحب ليتحققوا من لسانه ما أخبر به سليمان آغا، فسئل المذكور عن ذلك فأخبرهم بأن حضرة الباشا صار له عباءفي رمضان، وكان يجيني من طرفه من يصف لي مرضه، فأصف له علاجات يستعملها إلى أن شفاه الله تعالى، فجاء في يوم عيد الأضحى فنصحته أنك إذا كانت «رحت»، «ذهبت» عند أحد لا تأكل ولا تشرب، فقال مرحبًا وراح من عندي، فبعد كام يوم «عدة

---

(١) سنان أغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، ١١٠.

أيام» أخبرت بأن الباشا صار مريض، وبعد مرضه بيومين جاءت عندي كريمة الباشا ومعها حرمتين سلموا علىَ فبكت كريمة الباشا، فقالت: يا سيدي...»[١]. والدي مريض مرض شديد ما نعلم هل هو من السحر أو من السم، لأنه أخبرنا أنه راح «ذهب» في بيت المدير وسقاه شربيت «مشروب» ومن حين شربت الشربيت الذي مسكه من المرض ما فكّه، فقلت لهما: أما السحر فلا يصح في المدينة، وأما السم فلا أدري، فإن كان به السم فخذوه «البازهر»، واسقوه له لعل الله يشفيه، وأرسلوا لي بوله في قارورة لأنظر إليه هل به سم أم لا، فأرسلوا إليّ بوله في القارورة ونظرت إليه وامتحنته بالزيت، فظهر لي أن الباشا ما فيه رجاء، وأرسلت إلى كتخداي سليمان آغا ووكيل خرج «مسئول الأنفاق» أحمد آغا وقلت لهم الباشا ما فيه رجاء، فأنتم التفتوا إلى أحوالكم وتدبروا في حال بناته وعياله، هذا ما وقع مني وصار والله أعلم، الفقير إله «عربان» مولوي الشيخ عبد الله صاحب، طبق أصل المختوم، الفقير إليه/ شيخ حقي أفندي بن أحمد توحيد القاضي بالمدينة غفر لهما ....»[٢]، من خلال ما سبق يتضح للباحث ما يلي:

اتساع نفوذ القاضي في المدينة في فترة الدراسة بحيث لم يقتصر دوره في الاختصاص الشرعي ـ فحسب ـ بل تعدى الأمر للنظر والتحقيق في حوادث القتل مما يندرج تحت الاختصاص الجنائي للقاضي، الأمر الثاني الدقة التي كان يتعامل بها القاضي في استنطاق الشهود والتحقيق الدقيق في هذه الوقائع ـ وقد ظهر ذلك جليًا ـ مما يعكس أهميته في إظهار الحق وإقرار العدل بين عموم الناس دون تفرقة بين غني أو فقير.

---

(١) سنان أغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، ١١١.

(٢) سنان أغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، ١١١ ـ ١١٢.

ب ـ التحقيق في قضايا السرقة

هذا وقد تعرضت كسوة الكعبة للسرقة أكثر من مرة منها ما كان في سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م، حيث سرقت الكسوة في منطقة «درك عربان عنيزة»، ولم تستطع الإدارة المصرية الوصول اليها إلا بعد أن قام أحد الجنود الشوام بالإبلاغ عن رؤيته كسوة الكعبة، وكسوة المحمل الشريف المسروقة عند عربان عنيزة، وقبيلة رويلة[1]، وبعد أن عادت الكسوة وحبس بعض أفراد من قبيلة جهينة، وعنيزة، ورويلة، ثم طلبوا الأمان على ألا تتكرر هذه الحادثة مرة أخرى، لكن نجد أن الإدارة رفضت إعطاء الأمان رفضًا قاطعًا، وأرسلت من مصر رسالة تؤكد على استعمال القسوة من القضاء على المخربين حتى لا تتكرر حسبما يجرى به أصول الحكم[2].

وفى سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م قام عربان قبيلتي بني على وبني سيف بالسطو على المدينة أثناء وجود القافلة فيها، واستولوا على جزء من المخصصات بل قاموا بالسطو على بساتين المدينة والغيطان، وكانت النتيجة أن قام أمير الحج بتأديبهم بإشارة من محمد على باشا والي مصر[3]. كما أبرزت وثائق سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م حادثة مهمة لها دلالة على تردي الأوضاع الأمنية ـ حينذاك ـ، وهي حادثة وقوف العربان ضد المحمل المصري ومحاولاتهم المتعددة السطو على المخصصات في أكثر من مكان على طريق الحج وصولًا إلى المدينة حيث واجهوا

---

(١) دار الوثائق القومية: بحر برًا محفظة (٨) وثيقة (١٩) مؤرخ في ١٣ ربيع أول ١٢٣٧هـ من إسماعيل بك وكيل خزينة المدينة المنورة إلى الجناب العالي.

(٢) دار الوثائق القومية: بحر برًا محفظة (٨) وثيقة (١٣٥) مؤرخة في ١٧ جمادى الأولى ١٢٣٧هـ.

(٣) دار الوثائق القومية: عابدين دفتر٢) وثيقة (١٥٢) مؤرخ في ٢ شوال ١٢٤٤هـ من الجناب العالي إلى علي أغا محافظ المدينة.

المحمل في موضع الجديدة، ثم بدر وحنين، ثم رابغ، وقد اتفقت عربان حرب، والأحامدة بقيادة واصل بن عامر الذي استطاع أن يسبق المحمل في كل محلة يذهب إليها ويقاوم ويشعل النار، ويقتل عددًا من الحجاج، وعلى الرغم من تدخل شيخ عربان حرب الشيخ سعيد بن ضرة؛ وكذا شيخ مشايخ حرب وابنه بخيت بن سعيد، وسليمان أغا محافظ المدينة، وجهود محمد بن عون، إلا أنهم جميعًا لم يتمكنوا من التخلص من هذا الرجل الخارج على القانون، مما جعل شيخ مشايخ حرب يطلب الإمداد بالعساكر، والأموال للقضاء على «أهل الطغيان قطَاعين الطرق»[1]، ولم تجب الوثيقة عما قامت به الإدارة تجاههم بالإضافة إلى ما حدث للقافلة والمخصصات سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، حينما وقف العربان في طريق الحج قريب المدينة، وسلبوا الكثير من أمتعة القافلة والحجاج[2].

من الجدير بالذكر أن العربان على الرغم من قيامهم بالعديد من عمليات السطو على الحجاج في محيط المدينة والهجوم على القوافل والمخصصات، والاستيلاء على بعض هذه المخصصات ومحاربة القافلة إلى غير ذلك من أعمال السلب والنهب التي لا يقرها الإسلام، فإن الذي لاشك فيه أن الإدارة المصرية والدولة العثمانية كان لهما دور في قيامهم بهذه الأعمال حينما كانت تقرر تأخير صرف عوائد هذه القبائل تنقص منها، ممن أمثله ذلك ما أورده «إبراهيم رفعت»: أن المخصصات - من حقوق العربان - في سنة (١٢٧٩هـ/١٨٦٢م) قد تناقصت في كل عام أكثر من ٦٠٠٠ قرشًا[3].

---

(١) دار الوثائق القومية محفظة بحر برا: ترجمة وثيقة رقم ٧١ مؤرخة في ٢٧ محرم سنة ١٢٤٩هـ عن سعيد بن ضرة شيخ مشايخ حرب إلى الجناب العالي.

(٢) دار الوثائق القومية: معية تركي دفتر ٢٨٢ وثيقة ١٢٦٢ مؤرخ في ٢٦ شوال ١٢٥٦هـ من مجلس شورى المعاونة إلى عباس باشا.

(٣) مرآة الحرمين، ٢: ٢١٠.

وأحيانا كانت المخصصات تصل فعلًا إلى مواني الحرمين الشريفين في ينبع وجدة ؛ غير أن عدم وجود أموال أو دواب للنقل كان يتسبب في التأخير أو المنع حتى تفسد الغلال وبالتالي يخسر أهالي الحجاز مخصصاتهم لدرجة أن الغلال وصلت في إحدى السنوات في شهر المحرم وظلت في ينبع عدة أشهر قبل أن يتمكن اللصوص من أخذها ، حيث استطاع شيخ قبيلة حرب سرقة حوالي ٢٧٢ أردبًا وكسورًا من قمح المدينة ، فضلًا عما جرى خصمه من المنبع في مصر في الأساس مما جعل القاضي يحكم بحبسه إلا أنه استطاع الفرار لمدة حتى تمكن معاونو القاضي من القبض عليه لتنفيذ الحكم الشرعي القاضي بحبسه وتغريمه مقدارًا ماليًا يكافئ ما قام بسرقته[1] . كما حدث أن سُرق جزء كبير من مرتب التكية من الغلال المستحق عن سنة ١٢٦٨هـ/١٣٥١م ، وقد قام بهذه السرقة شيخ مشايخ قبيلة حرب وأفراد قبيلته ، وقد بلغ ما سرقه شيخ هذه القبيلة مائتان واثنان وسبعون أردبًا من القمح ، وثمانية عشر أردبًا من الشعير من أصل ستمائة واثنين وستين أردبًا من القمح ، و ثمانية وثلاثين أردبًا من الشعير كانت في طريقها إلى تكية المدينة[2] .

ج ـ مواجهة الفساد المالي

بالإضافة إلى مهمة التقاضي وتنفيذ الأحكام الشرعية فقد كلف بحكم منصبه بمحاربة الفساد ، ففى رسالة من الجناب العالي فى مصر إلى الميرلوا عابدين بك محافظ المدينة يطلب فيه أن يلفت نظر القاضي إلى ما تجرى به الأقلام فى تلك الأيام من الاختلاس فى الحسابات يوميًا بتطهير أداة الإدارة فى المدينة»[3].

---

(١) دار الوثائق القومية : حساب تكية المدينة سنة ١٢٨٦هـ، م٥٩ عمومي ٢٦ عين ١٠٧ مخزن ٤٠ .

(٢) دار الوثائق القومية : حساب تكية المدينة المنورة من محرم ١٢٦٨هـ لغاية ربيع ثان سنة تاريخه ، س ٥٩.

(٣) دار الوثائق : محفظة ٤٢ معية سنية تركى ملخصات أوامر الدفاتر دفتر ٤٠ رقم ٢٤٢ مؤرخة فى جمادى الأولى ١٢٤٥هـ.

وقد كان من أساليب التلاعب في صرف الغلال تكرار الأسماء في كشوف الصرف التي كانت ترسل إلى مصر ففي سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م، حيث أرسل كشف توزيع الغلال وكان يشمل مائة وتسعة عشر شخصًا وجاء به تكرار لتسعة عشر اسمًا[١]، كذلك فإن الفساد دفع بعض الأفراد في الحرمين الشريفين لاختلاس أموال الحرمين لدرجة أن أحد الكتاب يسطو على مبلغ مالي كبير قدرته الوثيقة بعشرة آلاف وستمائة وواحد وأربعين قرشًا وثلاثين فضة من النقدية، وقد حقق القاضي ورجاله وأودع الفاسدين في سجن جدة[٢]، كذلك أرسل الديوان الخديوي إلى محافظ المدينة وقاضي المدينة علي إثر ظهور فساد واختلاسات في تكية المدينة بأن يبقي صالح أفندي ناظر تكية المدينة، وعلى أغا وكيل خرجها في وظيفتهما على أن يحضرا ويصرفا التعيينات لأصحاب الاستحقاق ثم يختمها الكيلار، وأنهما إن لم يراعيا هذه الأصول فيفهمهما بأن عملهما مخالف وموجب للمسئولية، فإن لم يذعنا للأوامر فيعرض الكيفية على المجلس لتداول الآراء بالذي يجب إجراؤه في حقهما[٣]، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت الإدارة القائمة في مصر تطلب من القاضي التحقيق والتحري وكتابة تقرير كامل عن العبث الكائن في الأموال ثم إرسال التقرير مع دفاتر الحسابات لعمل مراجعة عليها لاكتشاف المخالفات والاختلاسات، يتضح ذلك في رسالة من المجلس العالي بتكليف ناظر الجهادية باستعجال فحص الدفاتر الخاصة بأشوان المدينة وتأديب الشيخ بدوى كاتب الشونة، والمعلم واصف إذا ثبت عليهما جُرم والقيام بفتح الصناديق المحتوية على دفاتر الحسابات المذكورة والمبلغ عن سرقة بعضها، كما

---

(١) دار الوثائق القومية: معية تركي دفتر ٧ وثيقة ١٥٨ بتاريخ ٢٦ جماد الآخر ١٢٣٦هـ.

(٢) دار الوثائق القومية: أصول وخصوم حساب الصرة عن سنة ١٢٤٠هـ، م ٢٤٦٥.

(٣) دار الوثائق القومية: خديو تركى دفتر ٧٤ وثيقة رقم ٢٢٦ مؤرخة في ٧ ربيع الثاني ١٢٤٣هـ من الديوان الخديو إلى محافظ المدينة.

كانت الهيئة القضائية في المدينة تقوم بجرد المخازن عن طريق المحتسب ليظهر الفساد، فاتضح اختلاس مائة قنطارًا من الأرز، ومائتين قنطارًا من الدقيق، وتم تعويض ذلك بعد وفاة المخزنجى، وكاتب الشونة لأن صرف الصدقات إلى مستحقيها بالتمام أمر مطلوب[1].

جهود القضاء في مقاومة التعدي على أوقاف الحرمين

على الرغم مما نسب إلى إدارة أوقاف الحرمين الشريفين من الإهمال والفساد الذي تسبب في ضياع الكثير من الحقوق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين إلى أن الأمر لم يخل من جهد واضح من قبل هذه الإدارة للحفاظ على أوقاف الحرمين الشريفين، حيث أخذت هذه الجهود عدة طرق منها: متابعة أوقاف الحرمين الشريفين، وتشديد الرقابة على نظارها ومتابعة عقود الإيجار والانتفاعات الخاصة بهذه الأوقاف، بل ومراقبة الأوقاف التي اشترط أصحابها تبعيتها إلى الحرمين الشريفين في حال انقراض الذرية، أو تعذر صرف إيراد الوقف للجهة الموقوف عليها، وكان اللجوء للقضاء من أهم الوسائل لدى إدارة الحرمين الشريفين لاسترداد حقوق الحرمين الشريفين من الأوقاف.

وثمة الكثير من الأمثلة التي توضح الجهد المبذول من جهة هذه الإدارة لاسترداد حقوق ضائعة أو تصحيح أوضاع خاطئة أدت إلى ضياع حقوق تتعلق بأوقاف الحرمين الشريفين ـ خلال فترة الدراسة ـ، ففي ١٣ شوال سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م، قُدمت دعوى أمام محكمة الباب العالي من طرف عثمان أغا الوكيل الشرعي عن محمد أغا كتخدا مصر، وناظر وقف الحرمين الشريفين ضد السيدة بنت المرحوم أحمد بن المرحوم قاسم جورباجي بالاستيلاء على قطعة أرض

---

(١) دار الوثائق القومية: خديو تركى دفتر ٧٧٠ وثيقة رقم ٢٢٧ مؤرخ في غاية ربيع الأول ١٢٤٦هـ من المجلس العالي إلى الديوان الخديوي، ١٥٢.

مساحتها ثمانية أفدنة ببولاق القاهرة وأن السيدة المذكورة واضعة يدها على الأرض المذكورة بغير وجه شرعي، رغم دفع المدعى عليها التهمة عن نفسها بتقديم سند يفيد حصولها على هذه الأرض عن طريق وضع يدها هي وأخواتها الثلاثة عن طريق المؤاجرة الشرعية ـ من قبل المرحوم على أغا أغات ـ مستحفظان بمصر ـ عن طريق نظره على أوقاف الحرمين الشريفين في مصر المدة الطويلة التي قدرها تسعون سنة كاملة متوالية أولهم غرة المحرم سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٣م بأجرة مؤجلة، وقدرها في كل سنة ٧٨٠ نصف بموجب حجة تأجر شرعية مسطرة من محكمة الباب العالي بتاريخ ٥ من ذي القعدة سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٢م، كما أبرزت المدعىَ عليها المذكورة من يدها الحجة المذكورة، وقرأت بين يدي القاضي في وجه الوكيل المدعِي المذكور فدل مضمونها على ذلك، فعارض في ذلك الوكيل المدعى قائلا: إن على أغا أغات مستحفظان المذكور لم يكن ناظرًا على أوقاف الحرمين الشريفين وتأجيره العين الموقوفة وتصرفه فيها، وهو غير ناظر لم يصادف محلا، وأن أجرة نصف الطين في كل سنة نحو ٤٠٠٠ نصفًا، وأن الأجرة المعينة بالحجة لم تكن أجرة المثل، فلم تبد المدعى عليها دافعا شّرعيًا، فعند ذلك طلب وكيل المدعى إجراء ما يقتضيه الشرع لجهة أوقاف الحرمين الشريفين، فأجابه إلى ذلك بأن: الحق في الطين المذكور في جهة أوقاف الحرمين الشريفين، وطلب من المدعية رفع يدها عن ذلك وتسليمه للوكيل[1].

وفى ٢٠ صفر سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م أقيمت دعوى من وكيل ناظر أوقاف الحرمين الشريفين في مصر ضد السيد عمر الطباطبى بفسخ عقد التأجر الصادر قبل تاريخه من قبل الجناب العالي عثمان أغا وكيل دار السعادة العظمى بمصر سابقًا ـ حين كان ناظرًا على الأوقاف المذكورة ـ الخاصة بأراضي زراعية، وطاحون بثغر

(١) أرشيف وزارة الأوقاف: حجة ٥٤١، صادرة من محكمة الباب العالي بتاريخ ١٣ شوال سنة ١٢٢٧هـ.

رشيد، وحانوتين، ووكالة، وما بها من حواصل، وأربعة حوانيت والصهريج، وأرض مقدراها إثنا عشر فدانًا بثغر الإسكندرية، حيث قام السيد عمر الطباطبى باستئجار ما سبق لمدة ٩٠ سنة تبدأ من سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م بأجرة جميعها مؤجلة قدرها عن ذلك في كل سنة ١٠٠٠ نصف فضة، وطالب وكيل أوقاف الحرمين الشريفين، ببطلان عقد المؤاجرة لسببين، أولهما: أن الأجرة المذكورة ليست أجرة المثل وأن أجرتها كل سنة ١٠٠ ريالًا معاملة مصرية، والسبب الثاني: هو عدم سداد قيمة المؤاجرة من حين صدور عقد المؤاجرة المذكور، وإلى يوم تاريخه فصدر حكم محكمة الباب العالي في ٢٤ صفر سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م بصحة فسخ عقد الإيجارة المذكورة، وبطلانها، وفسادها، وعودتها إلى جهة أوقاف الحرمين الشريفين[١].

كما أنه فى سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م تتداول محكمة الإسكندرية إحدى قضايا الوقف ويدل طول تداول هذه القضية على مقدار الفساد باستباحة البعض لأوقاف الحرمين الشريفين من جهة، ومن جهة أخرى مدى الجهد الذي بذله رجال إدارة أوقاف الحرمين الشريفين للحفاظ على مصالح هذا الوقف.

ومفاد هذه القضية: أن إحدى السيدات، وتدعى الحاجة زينب بنت عبد الرازق ظاظا أوقفت في رجب سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م ١٢ قيراطًا على الشيوع في كامل خمس حوانيت بثغر الإسكندرية على نفسها مدة حياتها، ثم على ابن عم أبيها السيد محمد بن المرحوم السيد غنيم ظاظا، ثم من بعده يكون وقفًا شرعيًا يصرف ريعه لصالح الحرمين الشريفين ولم تشترط لنفسها الإبدال والتغيير، وفى غرة ربيع أول سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م قامت بإبدال وتغيير الموقوف

---

(١) أرشيف وزارة الأوقاف: حجة ٨١، صادرة من محكمة الباب العالي بتاريخ ٢٤ صفر سنة ١٢٢٨هـ.

عليهم بناء على فتوى من الشيخ محمد الجزايرلى مفتى الحنفية بالإسكندرية حيث جعلت وقفها من بعدها على المكرم عبد الله ابن الشيخ على البرى ثم على أولاده وذريته ، ومن بعد انقراضهم يكون وقفا عَلى مسجد سيدي العريشي ، وبناء على شكوى من إدارة الحرمين الشريفين ، وفى ١٦ صفر سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م صدر حكم من مجلس الأُحكام بالتأشير على هذه الوقفية ، وعلى قيدها بالسجل بأن المعول عليه هو الوقف الأول ، لأنها لم تشترط لنفسها الإبدال والتغيير ، والإدخال ، والإخراج ، وأن يصرف ريع هذا الوقف للحرمين الشريفين بموتها ، وموت ابن عمها ، وأن ما أفتى به الشيخ محمد الجزايرلى وقع منه سهوًا أو خطًا ، كما أفتى بذلك السيد على محمود البقلى مفتى مجلس الأُحكام المصرية الصادر لمجلس الإسكندرية ، وإفادة الشيخ محمد صالح البنا مفتى الإسكندرية حالًا[1] أن استناد القاضي وقضاءه بالوقف الثاني غير صحيح لأنه لا ينفذ القضاء بالقول الضعيف[2] .

هذا ولم تقتصر جهود إدارة الحرمين الشريفين على استخلاص حقوق أوقاف الحرمين الشريفين من الأُفراد بل تعداه إلى مقاضاة الإدارة في مصر لاسترداد حقوق أوقاف الحرمين الشريفين؛ ففي الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م قُدمت دعوى أما محكمة دمياط من عبد الله المسلوت جابي وقف الحرمين الشريفين بالثغر المذكور ضد بيت المال بأحقية وقف الحرمين الشريفين في نصف الدار التي كانت تسكنها المرحومة محبوبة الحبشية معتوقة المرحوم عبد الله أفندي ناظر المبيوعات بالثغر المذكور؛ نظرًا لأن المرحومة محبوبة الحبشية حال حياتها وصحتها ، أوصت بأن تكون الحصة التي قدرها النصف ـ اثنى عشر سهمًا

---

(١) سنة ١٢٧٦هـ كما تشير الوثيقة .

(٢) أرشيف وزارة الأوقاف : حجة ٤٤٨، صادرة من مجلس أحكام مصرية بتاريخ ١٦ صفر سنة ١٢٧٦هـ .

ـ من الدار التي تسكنها بعد وفاتها وقفا عَلى الحرمين الشريفين ، وأن المدعىَ عليهم وضعوا أيديهم على الحصة المذكورة من الدار بطريق غير شرعي.

ثانيًا ـ الطعن على الأحكام

كما كان إذا حكم القاضي حكمًا يستحق أن يراجع فيه وأن يعاد النظر فيه ، كان صاحب الحكم يتضرر من ذلك فيرفع عريضته إلى الجناب العالي في مصر ، الذى كان يقوم بدوره بمخاطبة قضاة المدينة بهذا الشأن ، ومن الأمثلة التي تؤكد دور الدولة الإيجابي وعدم ركونها إلى الظلم الذى يقع على الأهالي نتيجة إهمال قضاة المدينة في بعض الأحوال حيث تبادر الدولة بمطالبة القضاة بالتأكد مما تظلم منه بعض الأهالي إلى الدولة سواءً الإدارة العثمانية فى مصر أو الدولة ذاتها ، فتذكر الوثيقة التي بين أيدينا : «..... من الديوان الخديوي إشعار بأنه أرسل إليه المكاتبة الواردة من ظاظا قاسم أغا زوج السيدة المسماة فاطمة المصرية التي أرسل إليها ورق طلاق بدون إمضاء فتطالب بمرتبها ونفقتها ومهرها فإذا كان مضمون هذا صحيحًا فيقوم القاضي بإخبارنا بذلك وأخبار رئيس أولاد الجيش والعسكر بمرافقتها والذهاب معها إلى المحكمة الشرعية للنظر في قضيتها شرعيًا وتخصيص نفقة لها وإحقاق الحق حسب الأمر العالي الصادر في ذلك....»[1] .

ومن الجدير بالذكر أن الإدارة في مصر كانت مفوضة من قبل العاصمة العثمانية اسطانبول بضرورة اتخاذ موقف صارم من قضاة المدينة المهملين أو المقصرين فى واجباتهم مما دفع البعض إلى التعلل بظروفه ـ صادقًا كان أم غير ذلك ـ ومن الأمثلة على التعلل بالمرض ما جاء في الوثيقة التالية : «.... من الجناب العالي إلى محمد صادق أفندي قاضى المدينة ، يعتذر في تأخيره عن تقديم العرائض

---

(١) دار الوثائق : دفتر خديوى تركى رقم ٧٨٠ وثيقة ٦٩ مؤرخة فى ٦ رمضان ١٢٤٧هـ.

بسبب المرض الذى أصابه كما أصاب الحجاج وابتلائه مرة أخرى بالملاريا واضطراره إلى التنحي إلى الطائف ويشكر الله ـ تعالى ـ على شفائه ومباشرته تنفيذ أحكام الشرع واستعداده لتنفيذ أوامره السامية وأنه يرجو الشرف بالمثول بين يدى دولته عما قريب....»(١).

وإذا قام القاضي بالخروج عن إرادة الدولة فقد كانت الدولة تأخذ منه موقفًا فى غاية الشدة أهمه ما أوردته الوثائق المصرية من الشدة والتعنيف والتهديد بالقول، خاصة فى قضية الشريف محمد بن عون الذى اختلف مع الأهالي فانضم القاضي إلى الأهالي متضامنًا معهم فجاء الأمر العالي بالتهديد للجميع للشريف الذى يريد الخروج على رأى الإدارة، وللقاضي والأهالي المسببين للفتنة جاء فيه: «..... وبأنه إذا كان مازال يميل لهذا الفكر ومصِر على تلك الأفعال يكون سببًا لانقلاب الالتفات الحاصل له بتغير الخاطر عليه، وإتلاف نفسه وفقدان النعم التي نالها...»(٢). كذلك فقد تم التشديد على الشريف ـ أيضًا ـ مع القاضي «وأن عدم انضمام الشريف للمحافظ يكون سببًا لضياع النعم العظيمة التي نالها في ظل محمد على باشا ولا يشك فى عزله وتنصيب بدله، وبأنه إذا كان حصل بينه وبين المحافظ برودة نشأ عنها أفعاله هذه يبديها التحقيق وأنه لا يتردد في تأديب من يظهر عليه الحق...»(٣). ويتضح من هذه الوثيقة المهمة أن الشريف والقاضي قد أحيلا للتحقيق وإن كانت الوثائق المصرية لم تفصح أو تشر إلى ماهية التحقيق ومكانه وما وصل إليه من نتيجة.

---

(١) دار الوثائق: محفظة ١٧ بحربرًا وثيقة رقم ٥ مؤرخة فى ٣ صفر ١٢٤٧هـ.

(٢) دار الوثائق: محفظة معية سنية تركى محفظة ٢ وثيقة فى دفتر ١١ مؤرخة فى ١٠ ذو الحجة سنة ١٢٤٥هـ.

(٣) دار الوثائق: محفظة معية سنية تركى رقم ٢ دفتر ١١ مؤرخة فى ٢٣ صفر ١٢٤٦هـ.

من خلال العرض يتضح أهمية الهيئة القضائية واستقرارها في المدينة في عهد السلطانين محمود الثاني والسلطان عبد المجيد الأول فوجود هيئة كاملة من القاضي ونوابه وشهوده وعدوله والقسام العسكري وغير ذلك أدى بصورة كبيرة لتحقيق القضاء لأهدافه في ظل استقرار لم يتأثر بالتنظيمات التي فرضت على الدولة في منشور كلخانة والخط الهمايوني في الفترة ١٢٥٦ ـ ١٢٦١هـ.

ومن خلال وثائق المحكمة الشرعية والمصادر المعاصرة لم نجد أثرا لشكاوى وجهت ضد الدولة العثمانية وقضاتها في المدينة مما يؤكد على استقرار الهيئات القضائية في أماكنها وتحقيق العدالة بين الاهالي وهو ما يعد من أهم مإنجازات الدولة حينذاك. بل وجد الباحث الكثير في الأرشيف المصري و من الوثائق التي تؤكد على نجاح الدولة في علاج الكثير من الموضوعات التي تتعلق باختصاصات القضاة الشرعية والجنائية في المدينة إبان فترة البحث فضلا عن الدور الكبير في المجال السياسية والاقتصادي والاجتماعي والعلمي وهو ما سوف يظهر إن شاء في دراستنا المقبلة بإذن الله.

قائمة المصادر والمراجع

الوثـــائق

الوثائق غير المنشورة :

سجلات المحكمة الشرعية في المدينة المنورة :

السجلات التالية بموادها المذكورة في البحث س ١٣٣، س ١٤٠، س ١٥٣، س ١٦١، س ١٨٣، س ١٣٣، س ١٣٤، س ١٣٥، س ١٣٦، س ١٣٦، س ١٣٨، س ١٤٢، س ١٥١، س ١٥٢، وسجل ١٥٣، س ١٦٢، س ١٧١،

الأرشيف العثماني :

تصنيف DH.MKT221.4

تصنيف DH.MKT2493.32

تصنيف DH1067/84426

تصنيف 31.DH.MKT1442

تصنيف M.V21.53

تصنيف DH.MKT1560.26

التصنيف HAT-1301-50671

أرشيف دار الوثائق بالقاهرة :

سأذكر أرقام السجلات والمحافظ والمحافظ علما بأن بيانات الوراقية كاملة في حواشي البحث .

دفتر خديوي تركي رقم ٧٨٠.

بحر برا :

محفظة ١٥، ٨، ١٧.

محافظ عابدين محفظة ٢٦٦.

محافظ معية سنية : محفظة ٤٢ معيه سنية تركي ملخصات أوامر .

سجلات المالية :

حساب تكية المدينة سنة ١٢٨٦هـ، م٥٩ عمومي ٢٦ عين ١٠٧ مخزن ٤٠.

أصول وخصوم حساب الصرة عن سنة ١٢٤٠هـ م ٢٤٦٥.

معية تركي:

دفتر ٧، دفتر ٢٨٢.

خديو تركي:

دفتر ٧٤ ودفتر ٧٧٠

أرشيف دفتر خانة وزارة الأوقاف:

حجة ٥٤١، صادرة من محكمة الباب العالي بتاريخ ١٣ شوال سنة ١٢٢٧هـ.

حجة ٨١، صادرة من محكمة الباب العالي بتاريخ ٢٤صفر سنة ١٢٢٨هـ.

حجة ٤٤٨، صادرة من مجلس أحكام مصرية بتاريخ ١٦ صفر سنة ١٢٧٦هـ.

الوثائق المنشورة:

الوثائق الموجودة في كتاب سنان معروف أغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني، دار الساقي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

* سالنامة دولة علية:

وهي التقارير عن الأوضاع في الحجاز في الفترة من ١٣١٠هـ ١٣٢٣هـ.

* الوثائق الموجودة في كتاب زاحم، قضاة المدينة، ط أولى مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٩٩٧م.

المراجع العربية:

ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١م.

الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الانساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس المكتبة العتيقة، ١٩٩٧م.

البدراني، فائز: قضاة المدينة من واقع سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة، مجلة دارة الملك عبدالعزيز، الرياض عدد السنة.

البدراني، فائز، وثائق تاريخية من منطقة المدينة، وثائق وادي الفرع، الطبعة الأولى، دار البدراني للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، م ١.

البدراني، فائز أشهر القضاة وكتبة الوثائق في وادي الفرع بمنطقة المدينة، ١٠٠٠ ـ ١٣٥٠هـ، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م الرياض، المملكة العربية السعودية.

بيرتون : الرحلة الحجازية ، تحقيق عبدالله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
بيومي ، محمد على فهيم ، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني ، القاهرة زهراء الشرق ، ٢٠٠١م .
جارشلي : إسماعيل حقي أوزون ، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني ، ترجمة خليل علي مراد ، البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٥م .
جمال الدين ، عبد الله محمد ، من تاريخ الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٧٩م .
الدميري : قضاة مصرفي القرن العاشر والربع الأول من القرن الحادي عشر الهجري تحقيق ـ عبد الرازق عبد الرازق عيسى ، القاهرة ٢٠١٠م .
رفعت ، إبراهيم باشا ، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥م ، ج ٢.
عفيفى ، محمد ، الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢م .
ابن الفراء (محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ٤٥٨ت هـ) : الأحكام السلطانية ، صححه : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، مصر (د.ت) .
الكردي ، طاهر ، التاريخ القويم . عنوان الكتاب : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، دار خضر للطباعة والنشر ـ بيروت ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

المراجع التركية :

- Ali Himmet Berki: Buyuk Turk Hukumdari, *Istanbul Fethi Sultan mehmed Han ve Adalet Hayati,* Istanbul 1953, S.59.
- Cavusade Mehmed Aziz: Durru's - Sukuk, *Istanbul 1288,* C.I, S.Û72-73.
- M.Z. Pakalin: *Osmanlitarih.1,* c, s.527.

المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨) ، ٢٧١ - ٣١٠

على هامش مؤتمر لندن يناير - فبراير ١٩٤٧م بشأن المشكلة الفلسطينية

د. حسام حسين حنودة*

بعد مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية لبريطانيا للتوصل إلى تسوية ما للمشكلة الفلسطينية من خلال ما عرف باسم «اللجنة الأنجلو - أمريكية» ، أصبحت أمريكا شريكًا كاملًا في تقرير مصير الانتداب البريطاني في فلسطين ، وداعم للاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وإنهاء الانتداب ، وتهيئة الأوضاع هناك من أجل تسليم فلسطين للمستوطنين اليهود ، وتمسكت الولايات المتحدة بتوصية واحدة من توصيات اللجنة ، وهي إدخال مائة ألف يهودي لفلسطين ، والعمل على إحباط أية محاولة لحل المشكلة الفلسطينية يكون غير التقسيم . وقد ظهر بشكل واضح الضغط الأمريكي الصهيوني خلال فترة انعقاد مؤتمر لندن بدورتيه الأولى (سبتمبر - أكتوبر ١٩٤٦) والثانية (٢٧ يناير - ١٣ فبراير ١٩٤٧م) ، حيث تصاعدت الأعمال الإرهابية من جانب العصابات الصهيونية بشكل كبير ضد الجيش البريطاني . وعلى هذا سوف تتناول هذه الدراسة المشاورات البريطانية ، خلال انعقاد مؤتمر لندن في دورته الثانية ، مع الجانب الأمريكي ، فضلا عن المحادثات مع وفد الوكالة اليهودية التي جرت بشكل غير رسمي خارج إطار المؤتمر ، والمحادثات التي جرت مع الوفد العربي في إطار مؤتمر لندن ، وتقديم الوفد

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - جامعة الأقصى - غزة - فلسطين .

البريطاني مشروع جديد للحل وهو ما عرف بـ«خطة بيفن» ومواقف الأطراف المختلفة منها، وذلك من خلال تحليل لوثائق الخارجية الأمريكية التي كانت على اطلاع كامل على ما جرى من مشاورات في تلك المرحلة.

مشاورات ما قبل انعقاد المؤتمر

كان مؤتمر لندن في دورته الأولى (سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٤٦م) قد توصل إلى مشروعين للحل: الأول طرحه الجانب البريطاني بعد التشاور مع الإدارة الأمريكية، وهو مشروع موريسون الذي تضمن تقسيم فلسطين إلى أربعة مناطق إدارية: منطقة يهودية، ومنطقة عربية، ومنطقة القدس وتشمل مدينة القدس، وبيت لحم وضواحيها المباشرة[١]. ولما رفض العرب مشروع موريسون[٢]، طلب الجانب البريطاني من الوفد العربي تقديم مشروع بديل، وبالفعل تقدم العرب بـ«المشروع العربي» الذي تضمن استقلال فلسطين كدولة موحدة تحت حكم ديمقراطي، وجمعية تأسيسية تضع دستور، وحكومة انتقالية برئاسة المندوب السامي، وإيقاف الهجرة اليهودية، وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا، وضمان حماية الأماكن المقدسة وحرية زيارتها للجميع[٣]. ولما لم تتمخض المفاوضات عن أية نتائج قام الجانب البريطاني بتأجيل المفاوضات لمدة شهرين.

---

(١) إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين (منذ فجر التاريخ حتى عام ١٩٤٩م)، ط ١، بيروت ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٩٦م، ٥٠٤.

(٢) يطلق عليه أيضا موريسون ـ جريدي، حيث كان هنري جريدي ممثلًا للحكومة الأمريكية لمناقشة تقرير اللجنة الأنجلو ـ أمريكية وأسفرت المناقشات عن مشروع موريسون جريدي، حيث رفضته الولايات المتحدة. انظر: جميل مصطفى حسن خلف: دور الولايات المتحدة في قيام دولة إسرائيل (١٨٩٧-١٩٤٨م)، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك/ الأردن ٢٠٠٥م، ١٣٥.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى: بريطانيا وفلسطين (١٩٤٥-١٩٤٩م) دراسة وثائقية، ط ١، القاهرة ـ دار الشروق ١٩٨٦م، ٣٩-٤٠.

كانت بداية الاتصالات بين الوكالة اليهودية والجانب الأمريكي في لقاء جمع بين وزير الخارجية الأمريكي (بيرنز) ورابي سيلفر (رئيس المنظمة الصهيونية في الولايات المتحدة وعضو الوكالة اليهودية لفلسطين)، حيث ذكر سيلفر أن المؤتمر الصهيوني في دورته الـ٢٢ (٩-٢٤ ديسمبر ١٩٤٦م)[1] قرر عدم حضور الوكالة اليهودية المؤتمر الخاص بفلسطين في لندن ما لم يكن هناك تغييرات في الموقف البريطاني[2]. وذكر أن هذه التغييرات تتمثل في تحركين من جانب الحكومة البريطانية: الأول إعلان الحكومة البريطانية تبنيها لفكرة تقسيم فلسطين، وهنا رأى وزير الخارجية الأمريكي أن بيفن لن يتبنى هذا الموقف. والتغيير الثاني، فهو تحرك من جانب الحكومة البريطانية بزيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين لعدد من النازحين اليهود في أوروبا الذين تم نقلهم إلى قبرص. وطلب سيلفر من وزير الخارجية الأمريكي ضرورة مناقشة الأمر مع الحكومة البريطانية[3].

وحول الموقف الأمريكي من المؤتمر المزمع عقده آنذاك، أكد وزير الخارجية الأمريكي، أن إدارته سترسل مراقب فقط، في حالة مشاركة كافة الأطراف، وأن المراقب الأمريكي لن يكون وسيطًا، لأن دور الوسيط يخص الحكومة البريطانية، ولأن وجود وسيطين بدون شك سيؤدي إلى صدام[4].

---

(١) للمزيد عن المؤتمر الصهيوني الـ٢٢. انظر: أحمد طربين: فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار: أمريكا في خدمة الدولة اليهودية (١٩٣٩-١٩٤٧م)، القاهرة - مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢م، ٤٠١-٤٠٢.

(2) *Memorandum by the Under Secretary of State (Acheson) to the Director of the Office of Near Eastern and African Affairs (Henderson),* Washington, January 9 1947, *Foreign Relations of the United States 1947, The Near East and Africa, Volume V,* Editors: JOHN G. REID, HERBERT A. FINE, General Editor: S. Everett Gleason, *United States Government Printing Office,* Washington 1971.

(3) *Ibid.*

(4) *Ibid.*

وعلى الجانب الآخر وفي ٢ يناير ١٩٤٧م قام بن جوريون (رئيس الوكالة اليهودية) بإبلاغ وزير المستعمرات البريطاني (كريتش جونز) بأن الوكالة اليهودية لن تحضر مؤتمر لندن بدون تراجع الحكومة البريطانية عن سياستها تجاه الهجرة اليودية إلى فلسطين، وهو ما رفضه الجانب البريطاني، وذكر بن جوريون أن اللجنة التنفيذية الصهيونية مستعدة للاجتماع مع الحكومة البريطانية، سواء قبل أو أثناء انعقاد مؤتمر لندن، شريطة أن تكون المحادثات خارج إطار المؤتمر(١). ولقد قبل بن جوريون اقتراح وزير المستعمرات البريطاني بإجراء محادثات شاملة وواضحة بشكل غير رسمي، على أن تبدأ في لندن بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٤٧م. ومن جهة أخرى طالب الوزير البريطاني بضرورة تهدئة الأوضاع في فلسطين خلال هذه الفترة، ووقف الأعمال الإرهابية من جانب العصابات الصهيونية هناك(٢)(٣).

وبناء عل الاقتراح البريطاني شكل بن جوريون وفد الوكالة اليهودية من كل من بيرل لوكر (عضو المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية في لندن)، وموشي شيرتوك (مدير قسم الإدارة السياسية في الوكالة اليهودية، وعضو لجنتها التنفيذية في القسم الأمريكي)، وإيمانويل نيومان (العضو التنفيذي للوكالة اليهودية/ القسم الأمريكي)، بالإضافة إلى مستشارين في مجال الزراعة والهجرة. ووضعت الوكالة اليهودية في حسبانها مناقشة التقسيم في هذه المحادثات، وتم الاتفاق على وضع خريطة توضح موقف الوكالة من فكرة التقسيم(٤). يضاف إلى ذلك، ادعاء

---

(1) *Ibid.*

(٢) شهد شهر نوفمبر ١٩٤٦م العديد من العمليات الإرهابية من جانب العصابات الصهيونية في فلسطين، وانحسرت هذه العمليات مع انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين في مدينة بال بسويسرا (ديسمبر ١٩٤٦م). انظر: أحمد طربين: مرجع سابق، ٤٠١-٤٠٥.

(3) *Telegram from The Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, January 7-9, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(4) *Ibid.*

بن جوريون وإلياهو ايستين (مدير مكتب الوكالة اليهودية في واشنطن) بأنهما قد طالبا بأن تكون المحادثات سرية، على حين أن الذي أصر على ذلك هو وزير المستعمرات البريطاني كريتش جونز[1].

أما الإدارة الأمريكية فقد بدأت من جهتها في دراسة مواقفها تجاه القضية الفلسطينية، ففي مذكرة أعدها فريزر ويكنز (قسم شئون الشرق الأدنى)، ذكر أن المشكلة الفلسطينية هي واحدة من أكثر المشكلات صعوبة التي واجهت الإدارة الأمريكية، وأن السياسة الأمريكية تجاهها سارت على عدة أسس، وهي أن المسئولية الحالية لبريطانيا لإدارة فلسطين جاءت بناء على الانتداب المكلفة به من جانب عصبة الأمم، والذي قبلته الإدارة الأمريكية في ٣ ديسمبر ١٩٢٢م، ومن جهة أخرى فهناك عامل يتعلق بالرغبة الملحة للنازحين في أوروبا من أجل الهجرة إلى فلسطين. أما العامل الثالث فهو تأييد فكرة الوطن القومي لليهود. وأما العامل الرابع فإنه يتمثل في أن العرب يتفوقون عدديًا على اليهود بنسبة الضعف، والدول العربية المجاورة لفلسطين تعارض فكرة تقسيم فلسطين، وتعارض سيطرة اليهود في أية صيغة. وأما العامل الخامس فهو الأهمية الدينية لفلسطين بالنسبة للمسلمين والمسيحيين واليهود. والعامل الأخير فإنه يتمثل في الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية للبترول الأمريكي، وتسهيلات الطيران والاتصالات في فلسطين والدول العربية المجاورة[2].

وقد جاء بالمذكرة أن عدم تسوية المشكلة الفلسطينية، أدى إلى زيادة تعقيدها، وكذلك الضغط الناجم عن مشكلة النازحين اليهود في أوروبا ما بعد الحرب العالمية

---

(1) *Ibid.*

(2) *Memorandum by Mr. Fraser Wilkins of the Division of Near Eastern Affairs,* Washington, January 14 1947, Foreign Relations of the United States 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

الثانية، ومسألة هجرتهم إلى فلسطين مما أدى إلى مشكلات في العلاقات الأمريكية البريطانية، فضلا عن الإضرار بعلاقات أمريكا بالدول العربية في المجالات المختلفة كالتعليم والتجارة والبترول، وكذلك خطر المد السوفيتي، وخشية العالم المسيحي المهتم بفلسطين من تحول القضية إلى مجرد خلاف عربي يهودي[1].

وبالنسبة لتطورات القضية الفلسطينية، وجدت الإدارة الأمريكية أن لديها خمسة جوانب رئيسية، فمن جانب فلسطين الآن بها مليون ومائتين وخمسين ألف عربي مقابل ستمائة ألف يهودي، ولا يجب أن يسيطر أحد من الطرفين على الآخر، ففلسطين لا يجب أن تكون دولة عربية أو يهودية، ولكن يجب أن تنال استقلالها الكامل في أقرب وقت ممكن في دولة أو أكثر، وضرورة أن تكون صيغة الحكومة مرضية لكل من العرب واليهود. وأن انجاز حل كهذا يكون من خلال تقسيم عملي لفلسطين مع استثناء الأماكن المقدسة، وقيام دولة عربية تكون مرتبطة بدولة عربية مجاورة، ودولة يهودية تتحكم في مسألة الهجرة، وتتحكم في سياساتها الاقتصادية تستطيع الولايات المتحدة تأييدها ودعمها[2].

أما عن المبدأ الثاني للسياسة الأمريكية، فهو ضرورة نقل مائة ألف يهودي من معسكرات النازحين اليهود في أوروبا إلى فلسطين، بالإضافة إلى تعديل قوانين الهجرة في الدول الأخرى، ومنها الولايات المتحدة وبريطانيا، وذلك برفع القيود التي لا تسمح بدخول أعداد إضافية من اليهود. وبالنسبة للمبدأ الثالث فهو الاستمرار في تأييد فكرة الوطن القومي لليهود. ويتعلق المبدأ الرابع بتطوير الوعي السياسي والاقتصادي والثقافي للسكان العرب في فلسطين. وبالنسبة للمبدأ

---

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

الأخير فهو الحصول على موافقة الدول العربية بضرورة تسوية المشكلة الفلسطينية[1].

ومن جهة أخرى، وفي إطار المشاورات البريطانية مع الجانب الأمريكي، اجتمع السفير البريطاني في واشنطن (اللورد أنفير كابل) مع نائب وزير الخارجية الأمريكي (أتشيسون) في ٢١ يناير ١٩٤٧م، حيث ذكر السفير البريطاني أن حكومته لا تتوقع أن تكون هناك نتائج ايجابية من المحادثات القادمة في لندن، حيث أنه من الصعب التوصل إلى حل يلقى قبول كل من القادة العرب واليهود، ولكنه رأى أن من المحتمل التوصل إلى صيغة تلقى الحد الأدنى من الاعتراض من جانب الطرفين. وواصل كابل حديثه قائلا إن الحكومة البريطانية ستسير في ثلاث مسارات محتملة: الأول اقتراح على أساس التقسيم، والثاني اقتراح يقوم على أساس صيغة لكانتونات على أساس الخطوط التي جاءت في مشروع موريسون، والمسار الثالث أن تقوم الحكومة البريطانية بتسليم الانتداب إلى الأمم المتحدة، وترك الحل في يد الجمعية العامة، وهذا الخيار سيطرح في حالة فشل حكومته في التوصل إلى حل[2].

كما ذكر كابل أن تعليمات وصلته من لندن باستطلاع موقف الخارجية الأمريكية في حالة الخيار الأول، وهل يمكن أن يحصل على مصادقة الجمعية العامة، وحول إمكانية أن تقبل الولايات المتحدة بفرض التقسيم بالقوة، بالإضافة إلى الاستعلام عن مشروعات الحل التي تفضلها الولايات المتحدة[3].

وفي ذلك اللقاء (٢١ يناير ١٩٤٧م)، تحدث أتشيسون بأنه غير مفوض لتقديم

---

(1) *Ibid.*

(2) *Memorandum of conversation, by the Under Secretary of state (Acheson),* Washington, January 21 1947, Foreign Relations of the United States 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

إجابات، أو الحديث نيابة عن الإدارة الأمريكية، وذكر أنه سوف يتشاور مع وزير الخارجية والذي بدوره سيتشاور مع الرئيس، على أن يتم تسليم الرد الأمريكي خلال بضعة أيام. ولكن في نفس الوقت طرح وجهات نظره على التساؤلات البريطانية فذكر أن الحل الذي سيكون من السهل على الإدارة الأمريكية تأييده هو التقسيم، وأن الاعتراضات التي قد تنشأ عن هذا الحل ستكون لفظية أكثر منها عملية، وأكد على ضرورة أن تقوم الحكومة البريطانية بطرح هذا الاقتراح بقوة أثناء مفاوضاتها القريبة في لندن. وأكد أتشيسون أن مفاوضات لندن ستكون الفرصة الأخيرة لإيجاد حل سلمي، وفي حالة ضياعها فالأمل ضعيف في تجنب النتائج الأكثر خطورة التي قد تنشأ في الشرق الأوسط(١).

ورأى أتشيسون أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين عامل أساسي في أي حل يتم طرحه، وضرورة دخول مائة ألف يهودي في وقت قصير، وأن اعتراض العرب على الهجرة قائم على خشية تأثيرها على الأغلبية العربية، مع أن هذه الأغلبية لن تتأثر بالهجرة اليهودية(٢).

وفي ٢٧ يناير ١٩٤٧م تم تسليم الرد الرسمي الأمريكي على التساؤلات البريطانية، وجاء فيه بشأن فكرة التقسيم، بأنه بسبب اعتبارات الرأي العام الداخلي، فسيكون من الأسهل على الحكومة الأمريكية تأييد التقسيم وإنشاء دولة يهودية كحل، سواء كان ذلك في إطار الأمم المتحدة أو خارجها، وأن الإدارة الأمريكية مستعدة لقبول أي حل آخر يتم التوافق عليه(٣).

---

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

(3) *867N.01/2-1247. Telegram from the Department of State to the British Embassy,* Washington, (n), Foreign Relations of the United States 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

وأكد الجانب الأمريكي في رده على صعوبة تأييد خطة الكانتونات كما جاءت في خطة موريسون، وأنه سيكون أكثر صعوبة إذا لم يسمح بدخول مائة ألف يهودي إلى فلسطين وأن يكون هناك معدل معقول للهجرة فيما بعد، وأن الرئيس الأمريكي يعمل من أجل مشكلة النازحين اليهود في أوروبا، من خلال إعداد توصية للكونجرس الأمريكي تسمح لحصة مناسبة بالهجرة لعدد من اليهود إلى الولايات المتحدة. كما أكدت الإدارة الأمريكية في ردها عدم استعدادها للمشاركة في فرض أية حلول بالقوة(١).

أما عن مسألة تسليم الانتداب البريطاني للأمم المتحدة، فقد أكد الجانب الأمريكي في رده، أنه سيأسف على أي قرار من جانب الحكومة البريطانية بتسليم الانتداب بدون تقديم توصيات للحل، خاصة وأن تحرك كهذا سيؤدي إلى ازدياد أعمال العنف في فلسطين، وفي الشرق الأدنى كافة(٢).

أما عن مشاركة الجانب العربي في مؤتمر لندن، فقد اجتمع مجلس جامعة الدول العربية في ٥ يناير ١٩٤٧م بالقاهرة بحضور رؤساء وزراء كل من لبنان ومصر والسعودية، وكذلك مندوبين عن العراق والأردن، وقرر أن تقوم كل دولة بإرسال وفد إلى مؤتمر فلسطين في لندن، واعتذر الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام عن حضور المؤتمر لأسباب صحية(٣).

كما طالبت الدول العربية الحكومة البريطانية بضرورة دعوة الهيئة العربية العليا لتمثيل عرب فلسطين في المؤتمر، وبالفعل تمت دعوتها، وتم تشكيل وفد برئاسة جمال الحسيني(٢٢).

---

(1) *Ibid.* (2) *Ibid.*

(2) *867n.01/1-647: Telegram from the Ambassador in Egypt (Turk) to the Secretary of State,* Cairo, January 2-6 1947, p.m., Foreign Relations of the United States 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

وفي تصريح لرئيس وزراء سوريا (جميل مردم بك)، حدد ثلاثة مبادئ تحكم مشاركة العرب في مؤتمر لندن، تمثلت في رفض التقسيم، ورفض إقامة دولة يهودية، ورفض الجلوس مع اليهود على نفس الطاولة[١].

وفي إطار التشاور بين الولايات المتحدة والدول العربية، عقد الأمير سعود اجتماعًا مع وزير الخارجية الأمريكي بيرنز بتاريخ ١٧ يناير ١٩٤٧م، وذكر الأمير أن الصهيونية تهديد للعالم العربي، وتتعارض مع أهداف الولايات المتحدة في الشرق الأدنى، وأشار إلى خطورة استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وأنها لا تقوم على دوافع إنسانية، وإنما هذا ادعاء من أجل تحويل الأقلية اليهودية في فلسطين إلى أغلبية، وأن ذلك يعد ضد طموحات سكان فلسطين، ويتعارض مع مبادئ الأمم المتحدة[٢].

وفي مقابل ذلك وصف بيرنز محادثته الأخيرة مع بيفن حول فلسطين، وذكر أنه شدد على بيفن ضرورة أن يحضر جميع الأطراف المؤتمر القادم في لندن، وأنه من خبرته الشخصية فإن كل طرف لم يتناقش مع الآخر بصراحة، وفي حالة عدم المناقشة بصراحة تامة فسيكون الأمل ضعيفا في التوصل إلى حل للمشكلة[٣]. وهنا أكد سعود أن العرب غير مستعدين للجلوس على طاولة واحدة مع الصهاينة،

---

(1) *867N.01/1-947 Memorandum by the Under Secretary of State (Acheson) to the Director of the Office of Near Eastern and African Affairs (Henderson),* Washington, January 9, 1947, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *711.90F/1-11747. Memorandum of Conversation, by the Director of Office of Near Eastern and African Affairs (Henderson),* Washington, January 17, 1947, *Participants: Secretary Byrnes,* Mr. ACHESON, Under Secretary, Mr. HENDERSON, Director, NEA, Crown Prince Saud, Saudi Arabia, Ambassador Sheikh FuadHamza, Sheikh Asad al-Faqih, Saudi Arabian Minister to United States, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

فلا يوجد شيء يمكن مناقشته معهم، وشدد مرة أخرى على رفض المزيد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وهنا رد بيرنز قائلا إن الصهاينة والعرب متفقان على نفس الموقف المتصلب، فالعرب اتخذوا موقف عدم المشاركة في أية محادثات إلا على أساس وقف الهجرة، والصهاينة يصرون على عدم المشاركة في المؤتمر إذا لم تكن هناك موافقة مسبقة على قيام دولة يهودية في فلسطين[1].

بداية أعمال المؤتمر وبداية المشاورات غير الرسمية

على كل حال، في ٢٧ يناير ١٩٤٧م افتتح بيفن مؤتمر لندن ببيان قصير، ذكر فيه أن الحكومة البريطانية ما تزال تعلق قرارها حول فلسطين حتى تتمكن من سماع وجهات نظر عرب فلسطين واليهود، وقال أن وزير المستعمرات سوف يتباحث بشكل غير رسمي مع القادة اليهود في المستقبل القريب[2]. وفي المقابل تحدث فارس خوري (رئيس الوفد السوري) قائلا إن الوفد العربي قدم للحكومة البريطانية وجهات نظره في أكتوبر ١٩٤٦م (المشروع العربي)، وأنه لا توجد رغبة في مزيد من المناقشات قبل أن تقدم الحكومة البريطانية ردها على المقترحات العربية[3].

وأكد بيفنمرة أخرى خلال الجلسة الافتتاحية، أن وزير المستعمرات (كريتش جونز) سوف يتباحث مع اليهود، وأن الوفد البريطاني سوف يقدم بيانا مطول يتضمن الموقف البريطاني خلال الاجتماع القادم مع الوفد العربي، وطالب العرب أن يكون الاجتماع التالي في ٢٩ يناير ١٩٤٧م. ولكن الجانب البريطاني ذكر أنه

---

(1) *Ibid.*

(2) *867N.01/1-2847. 577: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, January 1-28, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

في حاجة إلى وقت أكثر انتظارالمحادثات وزارة المستعمرات مع وفد الوكالة اليهودية والتي من المتوقع أن تبدأ في ٢٨ يناير ١٩٤٧م[١].

ولقد وصف بيلي (مدير مكتب فلسطين بوزارة الخارجية البريطانية) في حوار له مع جالمان (الوزير المفوض الأمريكي في السفارة الأمريكية في لندن) الحالة المزاجية للوفد العربي، بأنها بشكل عام كانت تتصف بالكآبة، حيث عبر العرب عن استيائهم من الأخبار المنشورة في الصحف البريطانية حول المستوى المنخفض للوفد العربي، وعدم حضور عبد الرحمن عزام وقادة آخرين، بسبب توقعهم فشل المؤتمر. كما ذكر بيلي أن الوفد العربي رفض بشدة تأجيل جلسات المؤتمر انتظار الاجتماع وزارة المستعمرات مع وفد الوكالة اليهودية[٢].

وفي محادثات سرية جرت بين العرب والجانب البريطاني، ذكر بيلي أن الجانب العربي تحدث عن رفض بريطانيا فكرة التقسيم في عام ١٩٣٨م كحل للقضية الفلسطينية، ولكنها عادت وتبنتها مرة أخرى في عام ١٩٣٩م كخيار سياسي، وهذا من وجهة نظر العرب يمكن أن يفسر بأن العنف وخرق القانون من جانب العصابات الصهيونية في فلسطينقد أجبر بريطانيا على الرضوخ لمطالب اليهود، وأنه طالما أن الإرهاب الصهيوني قد حصل على هذه المكاسب، فالعرب سوف يقومون باستخدام نفس الأسلوب، وأن القوة التي ظهرت لدى العرب خلال الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩م) لم تضعف وقابلة للعمل مرة أخرى[٣]. وللتأكيد على هذه الرؤية وخضوع بريطانيا لمطالب الصهاينة، تساءل الجانب العربي عن «قضية جرينر» وهي هجوم مسلح قامت به العصابات الصهيونية ضد مركز شرطة رامارجان في ٢٣ أبريل ١٩٤٦م، وقتل فيه أحد

(1) *Ibid.*
(2) *Ibid..*
(3) *Ibid.*

رجال الشرطة البريطانية ، وألح الجانب العربي في الحصول على إجابة ، ولكن الوفد البريطاني رفض الإجابة أو التعليق على ذلك[١] .

وفي إطار المحادثات غير الرسمية بين الوفد البريطاني ووفد الوكالة اليهودية ، عقدت عدة اجتماعات ، وكان أولها في ٢٩ يناير ١٩٤٧م ، ولابد من الإشارة هنا إلى أن الجانب البريطاني عمل على نقل ما دار في هذه الاجتماعات إلى الجانب الأمريكي ، وفي نفس الوقت قام وفد الوكالة اليهودية بنقل تقارير أكثر تفصيلًا عن هذه الاجتماعات ، وذلك من خلال الوزير المفوض الأمريكي في السفارة الأمريكية في لندن[٢] .

تكون وفد الوكالة اليهودية من بن جوريون وشيرتوك ونيومان ورويتز وإيبان ولينتون ، وعلى الجانب البريطاني ، بيفن وكريتش جونز وسير نورمان بروك ، بالإضافة إلى مجموعة من مستشاري وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات[٣] .

وفي الاجتماع الأول لتلك المحادثات (٢٩ يناير ١٩٤٧م) طلب الجانب البريطاني من وفد الوكالة اليهودية تقديم رؤيته ، أو تقديم خريطة حول التقسيم . ولكن قوبل هذا الطلب بالرفض ، وذكر وفد الوكالة اليهودية ، أنه إذا طرحت خطة للتقسيم فالوفد سيكون مستعدًا لتقديم وجهة نظره حولها . وذكر بيفن أن هذه المحادثات استكشافية ، وأكد أنه لن يكون هناك نقاش حول فكرة تقسيم فلسطين ، وطالب وفد الوكالة اليهودية بتقديم وجهة نظره حول المشروع العربي (أكتوبر ١٩٤٦م) ، وأن يقدم اليهود خريطة تظهر رؤيتهم . وفي المقابل أكد بن جوريون أن وفد الوكالة اليهودية سيقدم وجهة نظره ، وأن المؤتمر الصهيوني الثالث

---

(1) *Ibid.*

(2) *867N.01-13047.658: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, January 304, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

والعشرين خول الوكالة اليهودية في ذلك[1].

وبالتالي فقد عارض الجانب البريطاني فكرة التقسيم لعدة مبررات تتلخص في أنه ليس من المحتمل تقسيم فلسطين إلى دولتين قابلتين للحياة ، وأن التقسيم لن يحصل على مصادقة الأمم المتحدة ، وأن الدول العربية ستعتبر أن الدولة اليهودية رأس جسر لتوسع الصهيونية في المنطقة العربية ، وأن مخططات الصهيونية لزيادة القدرة الاستيعابية لفلسطين غير عملية . وكذلك رفض الجانب البريطاني إشارة بن جوريون إلى زيادة عدد اليهود في فلسطين إلى مليون ومائتي ألف ، واعتبره أمر غير مبرر[2].

ورد كريتش جونز على تساؤل بنجوريون ، بقيام الحكومة البريطانية بعودة حكمها في فلسطين إلى ما قبل صدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩م ، بأن شدد على أن حكومته لم تعد مستعدة للاحتفاظ بإدارتها في فلسطين ، لأن استمرارها يتعارض مع مبادئ الديمقراطية ، ويتعارض مع الرأي العام العالمي ، إذ ستكون في هذه الحالة حكومة استبدادية أجنبية . وعليه فقد طالب كريتش جونز وفد الوكالة اليهودية استبعاد فكرة أن تقوم الحكومة البريطانية بإعلان تأسيس حكم ذاتي في فلسطين ، أو إعلان استقلالها[3]. وأكد أن العرب اعتبروا الكتاب الأبيض عام

---

(1) *867N.01-13047.677: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, January 307, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V. and: *867N.01-13047.658: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, January 304, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *Ibid.*

(3) *867N.01-13047.658: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, January 304, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

١٩٣٩ تعهد لهم، ومن هنا فالحكومة البريطانية لا يمكنها العودة إلى الوضع القائم قبله[1].

وأشار إلى فكرة الدولة ثنائية القومية، وبدا واضحًا أنه يفكر في بديل لخطة موريسون (١٩٤٦م)، بإدخال العرب واليهود في حكومة «كانتونات» معًا في حكومة مركزية تضم العرب واليهود، إلى جانب فرض انتداب جديد أو وصاية بصلاحيات محددة، وذكر أن اليهود من المحتمل أن يكون لهم مقدار معين من التحكم في الهجرة اليهودية إلى القسم اليهودي. وتساءل بيفين عن معارضة اليهود لخطة موريسون وطالب برد مكتوب، وكذلك اعتراضات اليهود على الخطة العربية وتقديم خطة واضحة للتقسيم حسب تصورهم. وفي المقابل ذكر شيرتوك أنه من الصعب أن تضع الوكالة اليهودية خطة للتقسيم، ورأى بيفن أن ذلك ممكن أن يتم بدون أي ضرر لموقف الوكالة اليهودية[2].

وعن انطباعات وفد الوكالة اليهودية عن الاجتماع الأول مع الجانب البريطاني، فقد عبر كل من شيرتوكونيومان في تقريرهما لجالمان، عن شكوك لديهم وشعور بالتشاؤم، حيث ذكر نيومان أنه بالرغم من تحدث بيفن عن رغبة حكومته ترك الانتداب، إلا أنه من الواضح سعي بريطانيا لوضع صيغة احتلالية جديدة تسمح لبريطانيا بالاستمرار في إدارة فلسطين، من خلال إعادة مناقشة خطة موريسون[3]. ورأى نيومان أن أي تعديل لخطة موريسون سوف يعني قيود على الهجرة اليهودية في منطقة اليهود وأن وضع قيود على الهجرة أمر غير مقبول، ففي حالة تقديم وفد الوكالة اليهودية تنازلات حول الهجرة، فلابد وأن يتم

---

(1) *867N.01-13047.677: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, January 307, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *Ibid.*

(3) *Ibid.*

تعويضها من جانب بريطانيا حول السيادة ، واعتقد نيومان وشيرتوك أن المحادثات في النهاية ستنتهي بشكل غير مشرف ، وأن رفض بريطانيا لكل من الاستمرار في الانتداب ورفض التقسيم كحل ، يتطلب تدخل الولايات المتحدة(١) .

وفي ٣٠ يناير ١٩٤٧م عقد الاجتماع الثاني في إطار مؤتمر لندن بين الوفدين البريطاني والعربي ، حيث افتتح بيفن الاجتماع ببيان طويل ، تحدث فيه عن المشروع العربي في أكتوبر ١٩٤٧م ، وفكرة التقسيم ، والالتزامات البريطانية تجاه الأمم المتحدة ، وقال لن يتم طرح المشروع العربي للنقاش ، لأنه لاقى اعتراض شديد من جانب اليهود ، وسوف يؤدي إلى مقاومة يهودية مسلحة . وواصل بيفن قائلا إنه طبقا لبيان جمال الحسيني الافتتاحي فالعرب سيقاومون أي نوع من أنواع التقسيم ، وبالتالي فاقتراح التقسيم مرفوض من الجانب العربي(٢) .

وذكر بيفن أن الحكومة البريطانية لا ترحب بفكرة فرض حل ما بالقوة ، وأن رؤية حكومته في حالة انتهاء المحادثات الحالية بالتوصل إلى اتفاق فإنها ستقدمه للأمم المتحدة للمصادقة عليه ، وفي حالة الفشل فالحل هو الرجوع للأمم المتحدة ، سواء بتقديم أو بدون تقديم مقترحات من جانب الحكومة البريطانية(٣) . وكما طالب وفد الوكالة اليهودية ، طالب بيفن الوفد العربي بالتفكير في حل يقوم على أساس حكومة مركزية ثنائية القومية متدرجة إلى حد كبير مع حكم ذاتي محلي لاثنين من المجتمعات(٤) .

---

(1) *Ibid.*

(2) *867N.01-13047.690: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, January 315, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

(4) *Ibid.*

ورد جمال الحسيني بأن أي حل سيكون صعبا طالما ترك اليهود مسلحين. وتساءل ما إذا كانت الحكومة البريطانية ستعمل بصدق من أجل نزع سلاح اليهود. فأجاب وزير المستعمرات البريطاني بأن هناك صعوبة في التوصل لحل، ولكن من المستحيل نزع سلاح اليهود. وهنا رأى الحسيني أن بريطانيا تعمل من أجل ترضية اليهود تحت تهديد السلاح، وتم فض الاجتماع على أن ينعقد مرة أخرى إذا كان للوفد العربي تعليقات على بيان بيفن[١].

وفي لقاء خاص جمع بين جالمان وبيلي بتاريخ ٣١ يناير ١٩٤٧م ذكر بيلي أن بيفن رفض التقسيم، وألح على اليهود التفكير في حل مختلف عن خطة موريسون، وأن هذا التوجه جاء بناء على توجيهات مجلس الوزراء بتقديم خطة جديدة شريطة أن تحتوي العديد من المميزات للطرفين العربي واليهودي، لكن في نفس الوقت تشترك مع خطة موريسون في العديد من النقاط. وكمثال على الاختلافات أن الخطة الجديدة تدعو إلى دولة ثنائية القومية تأخذ بعين الاعتبار تداخل مجتمعين مرتبطان بنشاط مع حكومة مركزية، وأن يكون الهدف النهائي الاستقلال، وأن الغرض الأساسي من الخطة دفع اليهود والعرب في فلسطين نحو تحمل المسئولية[٢].

وأكد بيلي أن جهود الحكومة البريطانية للحصول على دولة ثنائية القومية أدى إلى رد فعل مثير للاهتمام من جانب العرب واليهود، فالوفد العربي شعر أنها خطوة في طريق التقسيم ولكن على خطوات، على حين أن وفد الوكالة اليهودية اعتبر أن ذلك رفض لفكرة التقسيم. وعليه فكلا الطرفين رافض للفكرة مع اختلاف التفسير، وكان هناك تساؤل من الطرفين بشأن التحرك الذي ستتبناه الحكومة البريطانية في حالة رفض الطرفين لفكرة دولة ثنائية القومية[٣]. فذكر بيلي

---

(1) *Ibid.* (2) *Ibid.* (3) *Ibid.*

أن الوفد البريطاني مجبر على التفكير في التقدم إلى مجلس الوزراء بتقرير يظهر فيه الغياب التام لأي حل في الأفق، وتقديم أربع خيارات: التقسيم أو المشروع العربي، أو فرض حل من جانب الحكومة البريطانية، أو ترك الانتداب ووضع القضية أمام الأمم المتحدة بدون تقديم أي مقترح للحل[1].

واجتمع الوفد البريطاني في ٣ فبراير ١٩٤٧م مع وفد الوكالة اليهودية وبدأ الاجتماع ببيان مطول من بن جوريون حول تطور الأوضاع في فلسطين منذ بداية الانتداب البريطاني في عام ١٩٢٢م، وذكر أن أول تقسيم لفلسطين جاء في عام ١٩٣٧م بناءً على توصية لجنة بيل، وفي عام ١٩٣٩م جاء الكتاب الأبيض الذي قسم فلسطين إلى مناطق، وكان تقسيمًا على أرض الواقع، وقيد اليهود في منطقة ضيقة. وذكر أن فكرة «دولة موحدة» هي صيغة للتقسيم التي لا يمكن لوفد الوكالة اليهودية قبولها[2].

وسأل بيفن وفد الوكالة اليهودية عن رؤيته للتقسيم، وطالب بإعداد خريطة تظهر موقف الوكالة اليهودية، حيث أظهر بن جوريونأنه سيفضل دولة يهودية تضم غربي فلسطين، ولم يعتبر ذلك اقتراحًا ولم يقدم تفاصيل[3].

وأكد بيفن مرة أخرى في نفس الاجتماع (٣ فبراير ١٩٤٧م) أنه في حالة عدم التوصل إلى حل، فسيتم تحويل القضية إلى الأمم المتحدة وبدون توصيات، وهنا كان سؤال وفد الوكالة اليهودية، حول ما إذا كانت هناك فرصة للتوصل إلى حل

---

(1) *Ibid.*

(2) *867N.01-/2-547. 775: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 52, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *867N.01/2-447.752: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 44, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

مقبول . وأجاب بيفن وشرح فكرة «حل مقبول» ، بأنه لابد وأن يتناسق مع مواقف الطرفين العربي واليهودي ، وأن يرضي الحد الأقصى من مطالب الطرفين وهو المطلب الأساسي ، وفي حالة قبوله من الطرفين ، سيكون ذلك مكسب كبير ، والوفد البريطاني يقوم بإعداد ورقة استكشافية لحل يقوم على أساس «دولة موحدة»[١] .

وتساءل شيرتوك حول إمكانية قيام وفده بعرض اقتراح للتقسيم ، فهاجم بيفن فكرة التقسيم ، وذكر أن بريطانيا ليس لديها نية بفرض حل كهذا ، والذي من الممكن أن يؤدي إلى مواجهة عسكرية بين بريطانيا العرب . ومن جهة أخرى رأى بيفن أن فكرة دولة موحدة بالرغم من عدم دراستها من الناحية القانونية ، فإنها ستكون في إطار الانتداب ، ولم يحدد بيفن في حديثه منطقة اليهود في مشروعه[٢] .

وذكر بيفن أن الوفد البريطاني سيكون مستعدًا أن يضع أفكاره فيما يتعلق بـ«دولة موحدة» كتابة ، وأعرب عن أمله أن يكون هناك رد مبكر من جانب وفد الوكالة اليهودية ، فأكد الجانب اليهودي أنه سيقوم بذلك[٣] .

على أن نيومان في تقييمه لهذا الاجتماع (٣ فبراير ١٩٤٧م) ، رأى أنه لم يقدم جديدًا ، وقال إن وفد الوكالة اليهودية سوف يوصي بإنهاء المفاوضات فورًا ، وذلك لأن فكرة دولة موحدة ما هي إلا خطة موريسون ولكن بشكل مقنع . كما رأى أن قيام الحكومة البريطانية بإخلاء فلسطين من رعاياها من النساء والأطفال ، وإتخاذ إجراءات عسكرية أخرى ، دليل على خطة بريطانية قمعية في فلسطين ضد

---

(1) *Ibid..*

(2) *867N.01-/2-547. 775: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 52, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

اليهود ، وبالتالي رأى ضرورة إنهاء المفاوضات(١) .

وفي ٤ فبراير ١٩٤٧م عقد الوفدان العربي والبريطاني اجتماعًا في إطار مؤتمر لندن افتتحه فارس خوري ببيان رسمي أكد في نهايته أن المشروع العربي هو المشروع الوحيد الذي يمكن أن تقوم عليه تسوية عادلة . وتحدث جمال الحسيني موجهًا حديثه إلى وزير المستعمرات البريطاني ويفن ، وناشدهما كاشتراكيين بالنظر إلى مشكلة فلسطين بعيدًا عن الصراع بين العرب واليهود والنظر إليها على أنها مشكلة اجتماعية خطيرة ، نتيجة للاكتظاظ على الأراضي العربية ، حيث أن متوسط ما تمتلكه الأسر العربية لا يكفي ، وخلال العشرين عامًا التالية فإن الزيادة الطبيعية للعرب ستؤدي إلى زيادة الازدحام حتى في حالة عدم وجود هجرات يهودية ، وبالتالي طالب الحسيني بريطانيا بتحمل مسئولياتها لمواجهة المشكلة الاجتماعية في فلسطين(٢) .

وفي المقابل قدم الجانب البريطاني مبررات اليهود لرفض المشروع العربي . وتساءل فارس خوري عما إذا كانت بريطانيا تنوي وضع اقتراح تقسيم فلسطين كحل ، أو حل يؤدي إلى التقسيم ، وعما إذا كان في نيتها السماح باستمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين . لكن بيفن رفض الإجابة على التساؤل الأول ، على أن يقوم بتقديم اعتراضات العرب إلى مجلس الوزراء . وبالنسبة للهجرة ذكر أن على الوفد العربي انتظار الاقتراح البريطاني ، وان كان الرأي العام البريطاني يطالب الحكومة بزيادة معدل الهجرة ، وأنه سوف يطرح الأمر أمام مجلس الوزراء . وناشد بيفن الوفد العربي بمراجعة مواقفهم ، وأنه خلال وقت قصير وبعد التشاور مع مجلس الوزراء سيضع أمام الوفد العربي المقترحات البريطانية(٣) .

---

(1) *Ibid.*

(2) *890B.00/2-547. 789: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 56, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

وقد ذكر بيلي للوزير المفوض الأمريكي أنه وفريقه يعملون من أجل إخراج المقترح الجديد، وهو تصور لدولة اتحادية ثنائية القومية والذي تتم مراجعته من الناحية القانونية من جانب مجموعة من القانونيين، على أن يقوم مجلس الوزراء بالمصادقة عليه(١).

وفي ٦ فبراير ١٩٤٧م، كان هناك اجتماع آخر بين الوفد البريطاني ووفد الوكالة اليهودية، وقد نقل بيلي للوزير المفوض الأمريكي جالمان أن وفد الوكالة اليهودية رفض تقديم خريطة تظهر رؤيته بشأن التقسيم، وأرجع بيلي ذلك إلى أن وفد الوكالة اليهودية في حالة تقديمه لخريطة محددة للتقسيم فسوف يضحي بجزء من فلسطين. كذلك هناك انقسام في المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية، ما بين مؤيد ومعارض للتقسيم، وفي نفس الوقت ذكر بيلي أن وفد الوكالة أظهر استعداده لمناقشة أية خريطة يقدمها الوفد البريطاني فيما يخص القسم اليهودي(٢).

وفي نفس الاجتماع (٦ فبراير ١٩٤٧م) تساءل كريتش جونز عن رؤية وفد الوكالة اليهودية لمسألة الهجرة والسيادة، ورد بن جوريون بالمطالبة بإعادة النظر في معدل الهجرة، ورأى ضرورة أن تترك الهجرة مفتوحة حسب القدرة الاستيعابية لفلسطين من الناحية الاقتصادية. وفي حالة تقسيم فلسطين، فاليهود لابد وأن يكون لهم الحق في تحديد معدل الهجرة إلى المنطقة اليهودية، بدون تحكم أو تدخل من أي طرف. أما عن السيادة في حالة إنهاء الانتداب، فاليهود لابد وأن يكون لهم استقلال كامل كأي دولة(٣).

---

(1) *Ibid.*

(2) *867N.01/2-747. 850: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 75, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

أما عن قوانين الأراضي التي فرضتها بريطانيا في أعقاب الكتاب الأبيض ١٩٣٩م ، فقد اعتبرها وفد الوكالة اليهودية متشددة وظالمة لليهود . وقد رد بيلي بأنه بناءً على معلومات من وزارة المستعمرات ، فهذه القوانين قد تم صياغتها قبل صدور الكتاب الأبيض ، وأنها مجرد إجراءات اقتصادية واجتماعية وضعت لحماية أراضي الفلسطينيين ، ولم يكن هناك تشدد ضد اليهود حيث تم منع بيع الأراضي لكل من السوريين والأردنيين أيضا[١] .

ومن وجهة نظر بيلي فإن وفد الوكالة اليهودية لم يغلق الباب أمام حل في شكل كانتونات ، وأنه سوف يقوم بدراسة المقترحات البريطانية الجديدة في ضوء المنطقة المحددة لليهود ، وفي ضوء التحكم في الهجرة والسيادة[٢] .

ومع كل هذه التطورات خرج وزير الخارجية الأمريكي مارشال بتصريح صحفي بتاريخ ٧ فبراير ١٩٤٧م حول المشكلة الفلسطينية مؤكدا أن الإدارة الأمريكية على علم كامل بتطور المحادثات في لندن ، وعبر عن أمله أن يتم التوصل إلى تسوية محددة للمشكلات المختلفة . كما عبرعن قلقه إزاء الوضع الراهن في فلسطين ، وذكر أن هناك ارتباك في تحركات الحكومة البريطانية هناك .واختتم حديثه بالقول أنه كان عليه أن يكون حذرًا في حديثه بشأن فلسطين بسبب المفاوضات الجارية في لندن[٣] .

مع وضع الجانب البريطاني الخطوط الرئيسية لخطته الجديدة ، أرسل بيفن رسالة إلى وزير الخارجية الأمريكي بتاريخ ٧ فبراير١٩٤٧م ، من أجل الحصول على التعليقات الأمريكية على المقترحات قبل تقديمها للوفد العربي ووفد الوكالة

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

(3) *Memorandum of the Press and Radio News Conference, of the Secretary of State,* February 7, 1947, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

اليهودية(١). وقد بدأ بيفن رسالته بالحديث عن الالتزامات البريطانية تجاه فلسطين بناءً على الانتداب، وأن بريطانيا ولمدة ٢٥ عامًا بذلت جهدها إلى أبعد حد، تجاه تطلعات اليهود بدون الإضرار بمصالح العرب. وذكر أن حكومته تواجه عدة خيارات، إذ يمكنها تقديم مقترحات ترضي طرف واحد، وعندها تكون الحكومة البريطانية مضطرة لفرض الحل على الطرف الآخر، وذلك الخيار ينطبق على الخطة العربية في أكتوبر ١٩٤٦م. ونفس الشيء ينطبق على فكرة التقسيم، وأن الصعوبات التي واجهت فكرة التقسيم، أن الوكالة اليهودية لم تقدم وجهات نظرها حول هذا المقترح. أما عن الخيار الثاني، هو أن تقوم الحكومة البريطانية بنقل المشكلة إلى الأمم المتحدة، بدون تقديم مقترحات للحل، مشيرا إلىأن حكومته تميل إلى هذا الخيار. أما عن الخيار الأخير، والذي اعتبره أنه الخيار الصحيح، فهو القيام بمحاولة أخيرة للتوصل إلى تسوية، والتي ستبدو عادلة لكل العقلاء، مؤكدًا أن الحكومة البريطانية لا تنوي استخدام جيشها في فرض سياسة أو حل ما في فلسطين(٢). وأن بريطانيا لم تعد قادرة على تأمين مؤسسات حكم ذاتي في فلسطين طبقًا لصك الانتداب، لأنه لا يوجد احتمال لإيجاد أساس للتعاون بين العرب واليهود(٣).

وأوضح بيفن أنه بناءً على المقترح الجديد، فسكان فلسطين من العرب واليهود سيرتبطان بحكومة مركزية من البداية، وسيمنح الطرفان قدر كبير من المسئولية في

---

(1) *867N.01/2-747: The British Embassy to the Department of State,* Subject: Text of Message From Mr. Bevin Dated February 7th 1947, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *867N.01/2-947: The British Secretary of State for Foreign Affairs (Bevin) to the Secretary of State,* Undated, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *867N.01/2-747: The British Embassy to the Department of State,* Subject: Text of Message From Mr. Bevin Dated February 7th 1947, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

الشئون المحلية . وأن مشاركة بريطانيا في حكم فلسطين لن تكون مستمرة لفترة طويلة ، وإنما لفترة محددة لإحداث التحول نحو استقلال كامل ، وهذه الفترة الانتقالية سوف تحدد بخمس سنوات بمقتضى اتفاقية وصايةتتطابق مع التزامات بريطانيا للانتداب ، ومع أحكام المادة ٧٦ من ميثاق الأمم المتحدة(١) .

أما عن البنود الأساسية في المقترح البريطاني ، فجاءت حول تحديد مناطق الإدارة المحلية والتي ستحدد بناءً على أغلبية السكان سواء من العرب أو اليهود . وليس من الضروري أن تكون هذه المناطق متجاورة ، فهناك مجموعة واسعة من المناطق التي يوجد بها أقليات عربية أو يهودية ، وعليه فستكون هناك ضمانات من أجل حقوق الأقلية اليهودية في المناطق العربية ، وضمانات للأقلية العربية في المناطق اليهودية(٢) .

وأما فيما يتعلق بالهجرة ، رأى الجانب البريطاني أنه لا يمكن قبول رأي العرب بوقفها الكامل والفوري ، وأن معدل الهجرة يجب تحديده من جانب اليهود فقط ، وأن أية أحكام للهجرة لابد وأن تعتمد على اعتبارات رفاهية وتطور فلسطين بشكل كامل ، وأن اتفاقية الوصاية سوف تسمح بهجرة يهودية بمعدل أربعة آلاف مهاجر شهريًا ولمدة عامين ، حيث سيضمن ذلك دخول مائة ألف يهودي ، وأثناء باقي فترة الوصاية فإن معدل الهجرة واستمرارها ، سوف يحدد لمراعاة القدرة الاقتصادية والاستيعابية لفلسطين ، على أن يتم ذلك من خلال لجنة عليا ، وبالتشاور مع مجلس استشاري . وفي حالة عدم التوصل إلى قرار نهائي ، يتم نقل الأمر إلى لجنة تحكيمية يتم تعيينها من جانب الأمم المتحدة(٣) . وأكد بيفن أنه تم اتخاذ هذا الموقف من الهجرة مراعاة لرغبة

---

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

(3) *Ibid.*

الرئيس الأمريكي ترومان في رؤية مائة ألف يهودي يدخلون إلى فلسطين[١] .

أما عن مسألة الأراضي ، والتحكم في انتقال ملكيتها ، بما في ذلك تنفيذ القوانين الخاصة بها ، فسوف تمنح للسلطات المحلية[٢] .

وأشار بيفن إلى أنه ستكون هناك لجنة عليا خلال الفترة الانتقالية ، تتولى السلطة التشريعية والتنفيذية في فلسطين ، وتسعى اللجنة العليا إلى تشكيل مجلس استشاري يتألف من مندوبين عن الإدارات المحلية للعرب واليهود ، بالإضافة إلى التنظيمات العمالية والثقافية في فلسطين ، وأن تركيب المجلس الاستشاري يقوم على أساس طائفي ، وقراراته ستكون استشارية وليست تشريعية ، وكذلك يجب على اللجنة العليا أن تراعي في قراراتها الأقليات في الإدارات المحلية المختلفة[٣] . وفي نهاية فترة اتفاقية الوصاية ، ستحل المجموعة اليهودية في المجلس الاستشاري محل الوكالة اليهودية في فلسطين ، كقناة رسمية للاتصال بين التجمعات اليهودية واللجنة العليا[٤] .

كما جاء في المقترحات ، أنه في نهاية السنوات الأربع الأولى من الفترة الانتقالية يتم انتخاب لجنة تأسيسية من العرب واليهود ، وفي حالة فشلهم في التوصل إلى اتفاق لوضع دستور ، سيُطلب من مجلس الوصاية تقديم المشورة بشأنما يجب اتخاذه[٥] .

---

(1) *867N.01/2-947: The British Secretary of State for Foreign Affairs (Bevin) to the Secretary of State,* Undated, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *867N.01/2-747: The British Embassy to the Department of State,* Subject: Text of Message From Mr. Bevin Dated February 7th 1947, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

(4) *867N.01/2-747: The British Embassy to the Department of State,* Subject: Text of Message From Mr. Bevin Dated February 7th 1947, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(5) *Ibid.*

وأكد بيفن أن بريطانيا غير مستعدة للاستمرار في حكم فلسطين لأجل غير مسمى، لمجرد أن اليهود والعرب لا يمكنهم الاتفاق على وسائل تقاسم حكم فلسطين. وأن هدف الخطة البريطانية الجديدة إعطاء فرصة لإظهار قدرتهم على العمل معًا لمصلحة فلسطين، وتزويدهم بأساس إقامة دولة مستقلة(١).

وفي ١٠ فبراير ١٩٤٧م، قدم مدير مكتب الشرق الأدنى وأفريقيا (هندرسون) مذكرة إلى نائب وزير الخارجية الأمريكي (أتشيسون)، وضع فيها العديد من الملاحظات على المقترحات البريطانية الجديدة جاء بها، أن الحكومة البريطانية تسعى إلى اختزال مشكلة فلسطين من قضية عالمية إلى قضية محلية حيث أن المقترح البريطاني يشير إلى أن يهود فلسطين سوف يمثلون عبر مجلس استشاري بدلًا من الوكالة اليهودية التي تمثل يهود العالم كما هو في الوقت الحاضر ومنهم يهود الولايات المتحدة، وكذلك الأمر بالنسبة للعرب في فلسطين، بدلًا من مندوبي الدول العربية. ومن بين الملاحظات الأمريكية، أن المقترحات جاء بها تأييد لفكرة دولة ثنائية القومية وبشكل مباشر خلافًا لما جاء في خطة موريسون(٢).

وعلاوة على ذلك فقد جاء بالمقترح البريطاني أنه في حالة فشل العرب واليهود في التوصل إلى اتفاق في نهاية الخمس سنوات الانتقالية سواء التقسيم، أو الكانتونات، أو دولة ثنائية القومية، أو أية صيغة أخرى لدولة، أو دول يمكن أن يوصى بها مجلس الوصاية، كما أن المقترح لا يشير إلى الأماكن المقدسة، أو حقوق كل من العرب واليهود هناك(٣).

---

(1) *Ibid.*

(2) *867N.01/2-747: Memorandum by the Director of the Office of Near Eastern and African Affairs (Henderson) to Under Secretary of State (Acheson),* Washington, February 10, 1947, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

ومن ناحية أخرى فقد رأت الإدارة الأمريكية أن هذه المقترحات ستلقى معارضة الأمريكان والصهاينة، لأنها تقدم إدارات محلية ستكون في الغالب عربية نظرا للغالبية العربية في فلسطين. كما أن المقترح لا يعطي اليهود الحق في تحديد معدلات الهجرة، وأن معدل الهجرة المقترح منخفض، والفترة قصيرة جدًا، والصهاينة الأمريكان سوف يصرون بشدة على عدة مئات من الآلاف من المهاجرين أثناء أية فترة من الوصاية(١). وكذلك فإن المقترحات لا تمنح الاستقلال المالي لليهود في مناطقهم، وبذلك سيفقدون قدرا من التحكم، بل إن الوكالة اليهودية بناءً على الخطة الجديدة ستكون في حكم الملغاة(٢). والعرب سيرفضون الخطة الجديدة لأنها تسمح بمزيد من الهجرة، ولأنه لم ترد فيها إشارة إلى إقامة دولة فلسطينية على أساس حكم الأغلبية(٣).

ومن وجهة نظر الإدارة الأمريكية فإن من أهم عيوب الخطة المعدل البطيء للهجرة، وأنه سيكون من الأفضل دخول مائة ألف يهودي إلى فلسطين خلال عام ١٩٤٧م، على أن يتم البدء في هذا الإجراء فورًا وبدون تأجيل، بدلًا من أن تكون على مدار عامين. وعليه فقد طالب الجانب الأمريكي بهذا التعديل، ولكن في نفس الوقت، في حالة تأييد الولايات المتحدة للخطة البريطانية فمن المحتمل انتقاده من جانب الصهاينة الأمريكان. وفي نهاية تقييم الجانب الأمريكي لخطة بيفن، رأى أنها أقرب إلى توصيات اللجنة الأنجلو أمريكية منها إلى مقترحات موريسون، ومن ثم رأت عدم التعليق على مزاياها حتى تهدأ عاصفة الانتقادات التي سيثيرها إعلانها(٤).

---

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

(3) *Ibid.*

(4) *Ibid.*

وفي هذا الإطار طلبت الخارجية الأمريكية من سفارتها في لندن ، أن تتقدم وبشكل غير رسمي بمجموعة من الأسئلة للحكومة البريطانية حول الخطة الجديدة ، كان أولها حول مدى صحة فهم الولايات المتحدة من أن مناطق الإدارة المحلية تم تحديدها على أساس عرقي أو ديني للسكان بدون اعتبار للعوامل الاقتصادية أو البشرية ، والتنمية المحلية ، وهل الأغلبية العربية سيكون لها حق مارسة سلطة تشريعية بشأن مسألة انتقال الأراضي لمنع الاستيطان اليهودي في تلك المناطق أثناء فترة الوصاية ، بالرغم من أن أراضي معينة في تلك المناطق مناسبة للاستيطان(١) .

أما التساؤل الثاني ، فتحدث عن قدرة الاستيعاب للاقتصاد الفلسطيني أثناء السنوات الثلاثة الأخيرة للوصاية ، حيث النظر إلى المناطق العربية واليهودية كل على حده ، وإذا كانت الإجابة لا ، كيف يمكن الرد على اتهامات يهودية محتملة ، بأنه سيكون تمشيًا مع روح الانتداب لاعتبار القدرة الاستيعابية لفلسطين ككل وليس مجرد أقسام حيث توجد بالفعل مستوطنات يهودية أساسية . وهل من دواعي الدراسة ، أن بعض المناطق يجب مع الوقت تكون تحت حكومة الوصاية ، لفتح الاستيطان طبقًا لقدرتها الاستيعابية . والتساؤل الأخير حول الأماكن المقدسة وهل أعطى المقترح حقوق للمجموعات غير العربية ، وغير اليهودية(٢) .

وبعد اجتماع عقده جالمان مع كل من وزارة المستعمرات ووزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١١ فبراير ١٩٤٧م ، قدم الجانب البريطاني إجابات على الأسئلة

---

(1) *867N.01/2-1047. 680: Telegram from The Secretary of State to the Embassy in the United Kingdom,* Washington, February 9-10, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *Ibid.*

الأمريكية ، وجاءت الإجابة على التساؤل الأول ، بأن هناك صعوبة كبيرة ، فلا توجد منطقة ذات حجم كبير في فلسطين ذات أغلبية يهودية بعيدًا عن تل أبيب ، وما يجاورها ، ومن جهة أخرى فإن بريطانيا ترغب في إعطاء اليهود أقصى حد ممكن من التنمية . وبالنسبة للتساؤل الثاني والذي يترتب على الإجابة السابقة ، وجود منطقة كبيرة حيث الأغلبية اليهودية حيث سيكون لهم الحرية في شراء الأراضي هناك ، وهذا يتضمن الجزء الشمالي من النقب[1] .

أما عن التساؤل الثالث فالمقترح البريطاني يقدم حكومة مركزية ، ستكون مسئولة عن التنمية الاقتصادية لكل فلسطين . وبالنسبة للهجرة فيمكن الأخذ في الاعتبار القدرة الاستيعابية لكل فلسطين وليس المناطق ذات الأغلبية اليهودية فقط ، كما أن الهجرة اليهودية إلى المناطق العربية ممكنة ، ولكن شراء الأراضي هناك سيكون ممنوعًا[2] . وأن بريطانيا لا تفكر في ترك منطقة تحت التحكم المباشر للحكومة المركزية ، وأن النقب تقسم إلى قسمين ، القسم الشمالي أو الزراعي ويوجد به عدد كبير من السكان العرب ، وبريطانيا تأمل في مزيد من التنمية لصالح العرب ، واليهود أنفسهم ذكروا أن القسم الجنوبي غير مأهول بالسكان وعديم الفائدة ، وبالتالي فالنقب تترك في المنطقة العربية[3] .

أما عن التساؤل الخاص بالأماكن المقدسة ، فذكر الجانب البريطاني ، أنه في أثناء فترة الوصاية ، تقوم لجنة محلية بالاستمرار كمسئولة عن تلك الأماكن يكون في نهايتها من حق الأمم المتحدة أن تؤكد على ضمانات لحمايتها ، تحت إشراف

---

(1) *867N.01/2-1147. 939: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 117, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *Ibid.*

(3) *Ibid.*

الدولة المستقلة . وحكومة فلسطين تقوم بالنظر في مقترحات من أجل إدارة مدينة القدس ، التي سيديرها مجلس عربي يهودي[١] .

ولقد بدأت الحكومة البريطانية في تقديم الخطة الجديدة لوفد الوكالة اليهودية ، في اجتماع عقد بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٤٧م افتتحه بن جوريون بمعارضة خطة موريسون ذاكرا أن المقترح الجديد ابتعد عن خطة موريسون واقترب من الكتاب الأبيض[٢] . وأن هذه الخطة تسمح بإدخال مائة ألف يهودي خلال عامين ، مقابل خطة موريسون التي ذكرت نفس العدد خلال عام واحد . وعلق بيلي على ذلك بقوله إن خطة موريسون كانت مشروطة بتأييد الولايات المتحدة للخطة ككل ، على حين أن الأخيرة قبلت فقط البند الخاص بالهجرة . وفي نفس الإطار ذكر بن جوريون أن الخطة الجديدة وضعت شرطًا لزيادة الهجرة بعد مرور عامين ، وهو الحصول على قرار من الأمم المتحدة . وتحدث الجانب البريطاني بأن ذلك ليس دقيقًا حيث أن موضوع الهجرة بعد عامين سوف يعرض على محكمة تؤسس تحت إشراف الأمم المتحدة[٣] .

وأبدى بن جوريون قلقه من أن المناطق اليهودية لن تكون متجاورة ومترابطة ، وأنها ستكون في شكل مجموعة من الجيوب اليهودية . وهنا قال بيلي إن مناقشة هذه النقطة في غياب خريطة بريطانية سيكون أمر معقد ، وأنه لا يوجد رد محدد من جانب الوفد البريطاني . وأنه تم الأخذ في الاعتبار أن ثلاثة أو أربعة مناطق يهودية موحدة إداريًا تحت سلطة يهودية هو نفسه مجموع المناطق اليهودية التي جاءت في خطة موريسون[٤] .

---

(1) *Ibid.*

(2) *867N.01/2-1147. 926: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 112, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(3) *Ibid.*

(4) *Ibid.*

وتحدث بيفن عن الهجرة مرة أخرى وذكر أنه بناءً على المقترحات فبريطانيا سوف تواصل تحكمها في الهجرة، وفي نفس الوقت سيكون هناك تقييد للاستيطان في مناطق اليهود، وقال بيلي بأن هناك سوء فهم حول هذا الأمر، فالهجرة اليهودية يمكن أن تكون في أي مكان في فلسطين، باستثناء شراء الأراضي في المناطق العربية، فيمكن أن يتم الاستيطان في أرض مملوكة لليهود في المناطق العربية[1].

وناقش بن جوريون مطولًا، بأن موقف الأقلية العربية في المناطق اليهودية سيكون أفضل من وضع الأقلية اليهودية في المناطق العربية، لأنه في الحالة الأولى اليهود محاطون بالريفيين العرب. وهنا قال كريتش جونز إن وفد الوكالة اليهودية ذهب إلى أسوأ تفسير محتمل لكل عبارة في المقترحات البريطانية[2].

ونبه نيومان إلى وجود خطر واضح عندما يشار إلى إقامة دولة ذات أغلبية عربية، واقترح الوفد البريطاني ضرورة طرح مقترح للتقسيم على الأمم المتحدة، ورد بيفن بأنه في حالة عدم الحصول على موافقة كل من العرب واليهود على المقترحات البريطانية، فالحكومة البريطانية ستمضي في اتجاه تحويل القضية إلى الأمم المتحدة وبدون توصيات. وأكد بيفن لوفد الوكالة اليهودية أنه سيتم تقديم خريطة للمقترحات البريطانية، وطلب من وفد الوكالة اليهودية تقديم خريطة توضح رؤيته للتقسيم .وفي حديثه مع جالمان اعتقد بيلي أن أجواء الاجتماع كانت ودية نسبيًا، ولم يستبعد احتمال موافقة وفد الوكالة اليهودية[3].

وفي ١١ فبراير ١٩٤٧م عقد الطرفان البريطاني واليهودي اجتماعًا، أظهر فيه الجانب البريطاني مسودة خريطة للمقترحات الجديدة ولم يقدم وفد الوكالة

(1) *Ibid.*
(2) *Ibid.*
(3) *Ibid.*

اليهودية خريطة توضح موقفه ، ولكنه اطلع على الخريطة البريطانية . وذكر الجانب البريطاني في تحليله للاجتماع ، أنه حتى لو قبل الطرفان العربي واليهودي من حيث المبدأ بالتقسيم ، فلا يوجد أمل في التوصل إلى اتفاق حول الحدود . وفي نفس الوقت بدأ وفد الوكالة اليهودية في إعداد رد مكتوب يشمل الاعتراضات على الاقتراح البريطاني[١] .

بنفس التاريخ قدم الوفد العربي اعتراضاته على المقترحات البريطانية ورفضه لها ، ولم يغلق الباب أمام مزيد من المفاوضات . وكذلك تقدم الوفد اليهودي باعتراضاته على المقترحات البريطانية رافضا إياها . ورأى بيفن أنه من الأفضل للوفد البريطاني التنحي جانبًا ، وترك الوفد العربي ووفد الوكالة اليهودية للتوصل إلى الحل الذي يرونه مناسبًا[٢] .

ومن جهة أخرى ففي الاجتماع الذي جمع الوفدين العربي والبريطاني في ١١ فبراير ١٩٤٧م ، قال جمال الحسيني باسم الوفد العربيفي خطاب مطول شديد اللهجة إن الحكومات العربية إلى هذا الحد كانت قادرة على تقييد العرب في فلسطين ، ورأى أن ذلك ليس ممكنًا لفترة طويلة ، وأن أي سلام في الشرق الأوسط مهدد بسبب التوتر في فلسطين . وفي نفس الإطار ألقى نديم دمشقية (لبنان) خطابًا تحدث فيه عن مزاعم اليهود[٣] . وطرح الجانب البريطاني تساؤلًا في نهاية الاجتماع على الوفد العربي حول ما يريده العرب من بريطانيا أن تفعله في فلسطين . ورد الجانب العربي بأن المطلوب أن تنهي بريطانيا مهامها وتنسحب من فلسطين ، حتى يتمكن العرب من الإمساك بزمام الأمور . وتساءل الوفد البريطاني

---

(1) *867N.01/2-1347. 926: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 137, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *Ibid.*

(3) *Ibid.*

أيضًا عن مدى إدراك العرب لقوة اليهود في فلسطين، واحتمال أن تكون هناك أحداث دامية، فرد الجانب العربي، أن عرب فلسطين واثقون من قدرتهم على الإمساك بزمام الموقف، وأن الجامعة العربية تؤيد ذلك، إذا كان ضروريًا[١]. وتحدث بيفن بأنه سوف يقدم تقريرا إلى مجلس الوزراء فيما يتعلق بفلسطين، خلال اجتماعه في ١٤ فبراير ١٩٤٧م، وطلب من الوفد العربي أن يظل في لندن إلى ما بعد الاجتماع، وأكد بيلي أن وفده ليس لديه ما يقدمه للجانب العربي ما بعد اجتماع مجلس الوزراء[٢].

وفي ١٣ فبراير ١٩٤٧م اجتمع الوفد البريطاني مع وفد الوكالة اليهودية، وكان المتحدث في الاجتماع عن الجانب البريطاني كريتش جونز، حيث ذكر أنه تمت دراسة رد كل من العرب واليهود على المقترحات البريطانية، وبدا واضحًا أن كلا الطرفين متصلب في مواقفه، وعليه فالوفد البريطاني سيقوم بتقديم هذه المواقف إلى مجلس الوزراء، من أجل انتظار تعليمات جديدة[٣]. أما عن وفد الوكالة اليهودية، فقد تقدم بمطالبه حول فلسطين حسب الأفضلية، فطالب الحكومة البريطانية بضرورة تحويل غربي فلسطين إلى دولة يهودية فورًا، وإذا لم يكن ذلك ممكنًا، فيجب على الحكومة البريطانية أن تقوم بالعودة في إدارتها للانتداب في فلسطين إلى ما قبل عام ١٩٣٨م، حتى تؤمن أغلبية يهودية في فلسطين، وفي ذلك الوقت سيكون اليهود مستعدون للتفكير في دولة فلسطينية مستقلة، وكملاذ أخير، فاليهود سيكون لديهم استعداد للتفكير في دولة يهودية قابلة للتطبيق في منطقة كافية. ورد الوفد البريطاني بأن هذه مطالب لا يمكن

---

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

(3) *867N.01/2-1447. 1033: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 145, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

قبولها لأن القناعة البريطانية بأن فلسطين لا يمكن أن تقسم إلى دولتين قابلتين للحياة[١] .

وقد أبلغ بيلي جالمان بأن هذا الاجتماع (١٣ فبراير ١٩٤٧م) هو آخر اجتماع مع وفد الوكالة اليهودية ، وأن الاجتماع الأخير مع الوفد العربي سيكون في ١٤ فبراير ١٩٤٧م ، وتوقع بيلي أن التحرك التالي سيكون بيان عام يصدره حول فلسطين[٢] .

وفي الاجتماع الذي جمع الوفدين البريطاني والعربي (١٤ فبراير ١٩٤٧م) ، أبلغ بيفن الوفد العربي ، أن زملاءه في مجلس الوزراء اتفقوا معه وكريتش جونز ، أنه نظرًا لرفض كل من العرب واليهود للخطة البريطانية ، فالقضية لابد وأن تعرض على الأمم المتحدة ، وبدون توصيات ، وقال بيفن أن القضية ستكون أمام الأمم المتحدة وستقدم الحكومة البريطانية كل المقترحات المقدمة لحل القضية بما في ذلك المقترحات العربية (١٩٤٦)[٣] . في مقابل ذلك طالب الوفد العربي بوقف الهجرة اليهودية بشكل كامل مؤقتًا ، وكان رد الجانب البريطاني بأن الأفضل الحفاظ على الوضع القائم ، وأكد بيفن أنه سيقدم المطلب العربي لمجلس الوزراء[٤] .

ومن جهة أخرى أبلغ الجانب البريطاني الوزير المفوض في السفارة الأمريكية بأن الوفد البريطاني سوف يقدم بيانا في البرلمان بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٤٧م ، حيث سيعلن بيفن إنهاء أعمال مؤتمر لندن ، وتقديم المشكلة الفلسطينية للأمم المتحدة[٥] .

---

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

(3) *867N.01/2-1447. 1048: Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 147, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(4) *Ibid.*

(5) *Ibid.*

وعلى الجانب الآخر بدأت الإدارة الأمريكية في دراسة تداعيات فشل مؤتمر لندن ، ففي مذكرة من نائب وزير الخارجية (أتشيسون) إلى مدير مكتب الشرق الأدنى وشئون أفريقيا (هندرسون) بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٤٧م ، رأى أن انهيار وفشل مؤتمر لندن هو نهاية مرحلة لمحاولة التوصل إلى حل للمشكلة الفلسطينية بدأت منذ عام ١٩٤٥م ، وأن الموقف البريطاني الآن هو الاتجاه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة وبدون توصيات للحل ، ومن جهة أخرى فالحكومة البريطانية مستعدة لسياسة مؤقتة فيما يتعلق بالهجرة ، وهي إدخال ١٥٠٠ مهاجر يهودي شهريًا . ورأى أتشيسون أن هناك أمل ضعيف في أن تتوصل الجمعية العامة إلى حل ، في حالة تنفيذ الحكومة البريطانية لطرحها بتقديم القضية للأمم المتحدة بدون توصيات ، وعليه فعام ١٩٤٧م سيكون عام سيء في فلسطين والشرق الأوسط خاصة مع ازدياد العنف ، وهو ما يهدد مصالح الولايات المتحدة هناك[1] .

ورأى أتشيسون وبشكل عاجل ضرورة مناقشة مشكلتين مع الحكومة البريطانية ، الأولى حول طبيعة النظام المؤقت الذي ستدار به فلسطين وخاصة مصير الهجرة اليهودية ، أما المشكلة الأخرى ، فهي الموقف الذي يجب أن تتخذه الإدارة الأمريكية في الأمم المتحدة[2] . وبالنسبة للمشكلة الأولى وهي وجهة نظر الحكومة البريطانية أنه في حالة إحداث تغيير في معدل الهجرة اليهودية الحالي إلى فلسطين سوف يؤدي إلى مقاومة عربية ، ورأى أتشيسون أن المقاومة العربية سوف تستمر سواء زاد المعدل أو استقر كما هو بهدف الحفاظ على الوضع القائم ، وبالتالي يجب التفكير في رفع معدل الهجرة اليهودية ليصل إلى ٣٠٠٠ شهريًا ،

(1) *867N.01/2-1547. Memorandum from the Under Secretary of State (Acheson) to the Director of Office of Near Eastern and African Affairs (Hinderson),* Washington, February 15, 1947, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *Ibid.*

وأنه في حالة تزايد العنف ، وتهديد السلام في المنطقة ، فهذا من اختصاص مجلس الأمن ، فيطلب منه مناقشة الأمر وإصدار قرار حوله(١) .

أما عن المشكلة الثانية فقد رأى أتشيسون أن قيام بريطانيا برفع المشكلة إلى الأمم المتحدة بدون توصيات ، سيشكل مدخلًا للروس للحصول على رصيد في الشرق الأوسط من خلال استغلال الأمر كمادة دعائية ، وعليه يجب استمرار التأييد الاقتصادي الأمريكي لأية خطة للحل يتم التوصل إليها ، وضرورة أن يكون للولايات المتحدة دور في الصيغة الأفضل للحل حتى إذا كان الحل غير التقسيم الذي تفضله الولايات المتحدة(٢) .

وفي نفس السياق ، قام بيفن بإرسال رسالة إلى نظيره الأمريكي (مارشال) بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٤٧م ، سرد فيها تطور المشاورات التي جرت في إطار مؤتمر لندن مع الوفد العربي ، والمفاوضات غير الرسمية مع وفد الوكالة اليهودية . وتحدث عن الخطة الجديدة التي تقدم بها ورفض الطرفين لها . وعليه فقد قررت الحكومة البريطانية إرجاع الانتداب إلى الأمم المتحدة باعتباره المسار الوحيد المناسب في ظل هذه الظروف ، وفي الوقت نفسه ستقوم الحكومة البريطانية بتزويد الجمعية العامة للأمم المتحدة بكافة المعلومات التي تتعلق بالمقترحات التي تم تقديمها لحل المشكلة مع عدم تقديم توصيات . وذكر بيفن أنه أبلغ الطرفين العربي ووفد الوكالة اليهودية بنية الحكومة البريطانية عرض القضية على الجمعية العامة في دورتها العادية في سبتمبر ١٩٤٧ ، وأكد أن ذلك سيتم إعلانه خلال إلقاء بيان أمام البرلمان في ١٨ فبراير ١٩٤٧م(٣) .

---

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

(3) *867N.01/2-1747. Memorandum from the Director of Office of Near Eastern and African Affairs (Hinderson) to the Under Secretary of State (Acheson),* Washington, February 17, 1947, Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

وبناءً على اقتراح هندرسون ، تم إعداد رد على رسالة وزير الخارجية بيفن مؤكدًا على عدم الخوض في أمور أساسية . وأظهر الجانب الأمريكي تفهمه لصعوبة موقف الحكومة البريطانية ، وفي الوقت نفسه عبر مارشال عن الأمل في زيادة عدد المهاجرين اليهود إلى ٣٠٠٠ مهاجر أثناء الفترة المؤقتة بحيث يزيد على ألف وخمسمائة مهاجر شهريًا ، وبذلك يكون معدل الهجرة معقولًا . ومن جهة أخرى رأى الجانب الأمريكي أنه من المستحسن عرض القضية الفلسطينية أولًا أمام مجلس الوصاية ، بدلًا من أن تقدم للجمعية العامة في خريف ١٩٤٧م ، من أجل معرفة ردود الأفعال المحتملة على قرار الحكومة البريطانية[1] .

أما عن تحديد الموقف الأمريكي ، فقد رأى هندرسون ضرورة عدم التسرع في اتخاذ موقف محدد لأن هذا سيشكل خطرًا ، حيث لن تكون الولايات المتحدة قادرة على إقناع الجمعية العامة بخطة التقسيم التي تتمسك بها ، خاصة وأن الحكومة البريطانية لن تقدم توصيات عند عرض القضية على الجمعية العامة ، وسيؤدي ذلك إلى إضعاف مكانة الولايات المتحدة ، وكذلك سيؤدي إلى رد فعل سلبي من اليهود[2] .

وبناءً على اجتماع بين جالمان وبيفن بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٤٧م ، رد فيه بيفن على المطالب الأمريكية حيث تجنب التعهد بوضع القضية الفلسطينية أمام مجلس الوصاية قبل الجمعية العامة ، ورأى أن الرجوع إلى مجلس الوصاية ربما يؤثر بالسلب على أي قرار للجمعية العامة للأمم المتحدة . وذكر بيفن أنه بعد اجتماع وزارتي الخارجية والمستعمرات ، تم الاتفاق على أن اتخاذ أي عمل تجاه القضية الفلسطينية قبل اجتماع الجمعية العامة في سبتمبر ١٩٤٧م سيكون أفضل . وبناءً

(1) *Ibid.*

(2) *Ibid.*

عليه تم إرسال تعليمات إلى كادوجان (مندوب بريطانيا الدائم في الأمم المتحدة) تطلب منه العمل لاتخاذ الإجراءات من أجل البدء في بحث القضية الفلسطينية من جانب الجمعية العامة قبل سبتمبر ١٩٤٧م(١).

أما عن مسألة زيادة معدل الهجرة، فقد ذكر بيلي أن هناك تعاطف كبير من جانب المسئولين البريطانيين تجاه النازحين اليهود في معسكرات أوروبا، ولكن في نفس الوقت هناك توجه قوي في لندن بعدم اتخاذ إجراءات تظهر الانحياز لطرف دون الآخر من الآن وحتى صدور قرار من الأمم المتحدة. وبالتالي فقد رأى بيلي أن معدل الهجرة مناسب، وزيادته ستؤدي إلى زيادة التوتر(٢).

وعليه فقد أرسل وزير الخارجية مارشال رسالة إلى وزير الخارجية البريطاني عبر فيها عن أسفه لرفض كل من العرب واليهود لخطة بيفن، وأبدى خشيته من زيادة تعقيد المشكلة في حالة إرجاع الانتداب البريطاني للأمم المتحدة، وكرر المطالب الأمريكية بزيادة أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين لأن ذلك سيكون له أثر إيجابي على النازحين اليهود في أوروبا، وسيلقى استحسان الرأي العام في الدول الأوروبية الموجود بها هؤلاء النازحين، وربما يؤدي إلى استعداد أكثر من جانب العرب واليهود للبحث عن حل توافقي. كما اقترح عدم الإشارة إلى الجمعية العامة في بيان الحكومة البريطانية (٢٥ فبراير ١٩٤٧م) لمزيد من التفكير فتوضع المشكلة أمام مجلس الوصاية(٣).

---

(1) *867N.01/2-1947. 1143. Telegram from the Charge' in the United Kingdom (Gallman) to the Secretary of State,* London, February 196, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

(2) *Ibid.*

(3) *867N.01/2-2147.857. Telegram: Message from the Secretary of State to the British Secretary of State for Foreign Affairs,* Washington, February 213, 1947, p.m., Foreign Relations of the United States, 1947, *The Near East and Africa,* Volume V.

وبالتالي فقد انتهى مؤتمر لندن بفشل بريطانيا في التوصل إلى حل للقضية الفلسطينية ، وجاء إعلان بيفن في ١٨ فبراير ١٩٤٧م ، بقرار حكومته إحالة القضية إلى الأمم المتحدة ، وألقى باللوم لما آلت إليه الأمور على تصريح الرئيس ترومان[١] في أكتوبر ١٩٤٦م ، واعتبر أن الولايات المتحدة لها دور في عدم التوصل إلى حل[٢] . وهو ما حدا بالرئيس ترومان للخروج بتصريح صحفي في ٢٦ فبراير ١٩٤٧م رفض فيه تصريحات بيفن ، وبالتالي فقد توجهت الحكومة البريطانية إلى الأمم المتحدة للتوصل لحل القضية الفلسطينية بدون أن يكون هناك توافق مع الإدارة الأمريكية[٣] .

* * *

بدا التباين واضحًا في وجهات النظر خلال المفاوضات التي جرت على هامش مؤتمر لندن في مرحلته الثانية مابين بريطانيا من جانب والوكالة اليهودية والجانب العربي والولايات المتحدة الأمريكية من جانب آخر ، فقد حاولت بريطانيا إظهار الحياد من خلال رفضها لطرح فكرة تقسيم فلسطين بعد أن فشلت في الحصول على موافقة الطرفين العربي واليهودي على خطة موريسون ، حيث تقدم الجانب البريطاني بـ«خطة بيفن» والتي تنتهي بالتقسيم ولكن دون أن يكون ذلك بشكل صريح ، حيث دعت إلى قيام حكومة اتحادية في فلسطين ، وهو ما رفضه الجانب العربي وكذلك وفد الوكالة اليهودية ، تسانده الولايات المتحدة والتي كانت مع فكرة تقسيم فلسطين بشكل صريح . وقد ظهر الخلاف البريطاني بشكل كبير مع

(١) هو البيان الذي رفض فيه ترومان مشروع موريسون والذي جاء بناء على التشاور بين بريطانيا والولايات المتحدة . انظر : جميل مصطفى حسن خلف : مرجع سابق ، ١٤١.

(٢) نفسه ، ١٤١.

(٣) نفسه ، ١٤١.

الإدارة الأمريكية في مسألة زيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، حيث اعتبرته الولايات المتحدة حجر الأساس في التغلب على الأغلبية العربية ومن ثم إقامة الدولة اليهودية. وهو ما اضطر بريطانيا في نهاية الأمر إلى وضع القضية الفلسطينية أمام الأمم المتحدة، وبدون تقديم أية توصيات لحل المشكلة حيث رفض الجانب البريطاني فرض أية حلول بدعوى أن فرض الحلول سيؤدي في نهاية الأمر إلى المواجهة العسكرية سواء مع العرب أو اليهود.

المصادر والمراجع

أولاً: وثائق الخارجية الأمريكية

- Foreign Relations of the United States 1947, *The Near East and Africa, Volume V,* Editors: JOHN G. REID, HERBERT A. FINE, General Editor: S. EVERETT GLEASON, *United States Government Printing Office,* Washington 1971.

ثانيًا: المراجع

- أحمد عبد الرحيم مصطفى، بريطانيا وفلسطين ١٩٤٥-١٩٤٩م دراسة وثائقية، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م.
- أحمد طربين، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار: أمريكا في خدمة الدولة اليهودية (١٩٣٩-١٩٤٧م)، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢م.
- إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين (منذ فجر التاريخ حتى عام ١٩٤٩م)، ط ١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، كانون أول/ ديسمبر ١٩٩٦م.
- جميل مصطفى حسن خلف، دور الولايات المتحدة في قيام دولة إسرائيل (١٨٩٧-١٩٤٨م)، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك/ الأردن، ٢٠٠٥م.

المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨)، ٣١١ - ٣٥٠

مِيثَاقُ البانْشِيشْلا وقَضِيَّةُ ارْتِباطِه بمَفْهُومِ التَّعَايُش السِّلمِي (١٩٥٤-١٩٦٢م)

أمِيرَة السَّعِيد الطَّنْطاوي محمد*

مُقَـــدِّمَة

حرصت الهند والصين خلال الخمسينيات من القرن العشرين على نبذ عوامل الفرقة والخلاف، والبحث عن قواسم مشتركة تساعدهما على تجنب كوارث الحرب والعيش معا في سلام، فكان ميثاق البانشيشلا Panchsheel الذي وقِّع بين البلدين في التاسع والعشرين من إبريل ١٩٥٤م وظل ساريا لمدة ثمانية أعوام خطوة في سبيل تحقيق تلك الغاية؛ فقد أكد الميثاق من خلال مبادئه الخمسة على فكرة التعايش السلمي Peaceful Co-Existence بين البلدين، كما ترك الباب مفتوحا لانضمام الدول الأخرى الراغبة في السلم؛ ولهذا فقد ترك الميثاق بصمات واضحة على المشهد السياسي الأسيوي والدولي خلال الأعوام الثمانية التي كان ساريا فيها.

تتناول هذه الورقة البحثية بالدراسة ميثاق البانشيشلا وقضية ارتباطه بمفهوم التعايش السلمي في الفترة ١٩٥٤ حتى ١٩٦٢م من خلال مدخل تمهيدي أوضحت فيه مفهومي التعايش السلمي والبانشيشلا والعلاقة التي ربطت بينهما،

---

* مدرس التاريخ الحديث والمعاصر - كلية التربية - جامعة الإسكندرية.

ثم أعقب ذلك الحديث عن قضية التبت كقضية خلافية بين الهند والصين، وكيف تمت معالجتها من خلال بنود الميثاق، كما أشرت إلى تغير طبيعة الميثاق من «الثنائية» إلى «الدولية» حينما بادرت بعض الدول الأسيوية بالانضمام الرسمي إليه خلال عامي (١٩٥٤-١٩٥٥م)، وأثر الميثاق على مؤتمر باندونج Bandung الذي عقد في الفترة من الثامن عشر إلى الرابع والعشرين من إبريل ١٩٥٥م، ثم مبادرة الاتحاد السوفيتي بالانضمام الرسمي لميثاق البانشيشلا في نوفمبر ١٩٥٥م، وموقف الولايات المتحدة الأمريكية من ذلك، واختتمت البحث بتقييم أثر الميثاق في الحفاظ على التعايش السلمي في آسيا.

أما عن مصادر البحث فقد اعتمدت على وثائق وزارة الخارجية المصرية غير المنشورة، ووثائق وزارة الخارجية ووزارة الدفاع الهندية المنشورة، إلى جانب وثائق مجلس الهند للشئون الدولية Indian Council of World Affairs، ووثائق وزارة الخارجية الأمريكية The Foreign Relations of the United States (FRUS) المنشورة التي أوضحت ردود الأفعال الأمريكية منذ باكورة عقد الميثاق ثم موقف الإدارة الأمريكية من الدول التي انضمت إليه، ولاسيما الاتحاد السوفيتي، كما اعتمد البحث على مجموعة معاهدات الأمم المتحدة United Nations Treaty Series، بالإضافة إلى بعض الدوريات الأجنبية المعاصرة.

تمهيد

شهد مطلع القرن العشرين تغيرات أيديولوجية وفكرية أثرت بشكل واضح على المسرح الدولي، كان من أهمها نمو الأفكار الشيوعية التي وجدت مرتعا خصبا للازدهار في روسيا القيصرية، وتسبب انتشارها في قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧م التي قضت على أسرة رومانوف Romanov الحاكمة (١٦١٣-١٩١٧م) ومهدت الطريق لتولي الشيوعيين الروس الحكم، لتبدأ معهم مرحلة

جديدة في تاريخ روسيا والعالم الحديث ، ففي ظل الحكم الشيوعي ظهر مفهوم التعايش السلمي ، كنوع من العلاقات بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتباينة يقوم على نبذ الحرب كوسيلة لحل النزاعات الدولية ، وحلها عن طريق المفاوضات ، فضلا عن الامتثال للمبادئ الأخرى التي تحكم العلاقات بين الدول والمنصوص عليها في المواثيق الدولية[١] ، ومنها التزام جميع الدول بالحفاظ على سلامة غيرها وسيادتها الإقليمية ، وعدم التدخل في شئونها الداخلية ، بهدف تغيير نظام الحكم أو طريقة الحياة ، مما يجعل العلاقات بين الدول قائمة على المساواة الكاملة بينهم[٢] .

أكد القادة الروس منذ قيام الثورة البلشفية في السابع من نوفمبر ١٩١٧م على أن مفهوم التعايش السلمي أحد ركائز السياسة الخارجية الروسية التي تحكم علاقة روسيا بالدول الأخرى[٣] ، وأوضح لينين Lenin (١٨٧٠-١٩٢٤م) في بيان ألقاه في مارس ١٩٢١م في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي على ضرورة التعاون بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي مؤكدا أن التعايش السلمي ليس عملا من أعمال السياسة ولكنه ضرورة تاريخية ، فهناك قوة أكبر من رغبة أيا من الحكومات أو الطبقات المتعادية ، وأكبر مما تريده أو تقرره ، هذه القوة هي العلاقات المتبادلة بين اقتصاديات العالم كله ، والتي تضطر الدول إلى التعامل مع بعضها البعض[٤] ، كما أشار ستالين Stalin (١٨٧٩-١٩٥٣م) في مقابلته لرؤساء المؤسسات الإعلامية

---

(1) Бовин А .Е, Мирное сосуществование, Философская энциклопедия, www.dic.academic.ru, (8 March 2016).

(2) HASAN, KHURSHID, «Peaceful Co-Existence», *Pakistan Horizon,* Vol. 14, No. 4, (Fourth Quarter, 1961), p.291-292.

(3) Мирное сосуществование, Всемирная энциклопедия, т .6, М : Олма-Пресс, 2006., С. 227.

(٤) أندور روستاين : العالم الثالث والتعايش السلمي ، ترجمة سعدية غنيم ، مراجعة شكري عياد ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦م ، ٤٥ .

الأمريكية عشية المؤتمر الاقتصادي الدولي الذي عقد في موسكو من الثالث إلى الثاني عشر من إبريل ١٩٥٢م أن التعايش السلمي بين الرأسمالية والشيوعية ممكن تماما إذا كانت هناك رغبة متبادلة للتعاون والالتزام بمبدأ المساواة ، وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى[١] .

على الرغم من ذلك فيمكن القول بأن مفهوم التعايش السلمي كان مفهوما نظريا ، ولم يطبق في السياسة الخارجية الروسية إلا مع وصول نيكيتا خرتشوف Nikita Khrushchev (١٩٥٣-١٩٦٤م) للسلطة في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٣م ، وأنه قبل ذلك التاريخ كان مفهوم الثورة العالمية وليس التعايش السلمي هو الذي يحكم علاقة الاتحاد السوفيتي بالدول الأخرى ، وكانت السياسة الخارجية السوفيتية قائمة على أساس حتمية الحرب بين الشيوعية والرأسمالية ، وعلى ضرورة الالتزام بالمبدأ الأيديولوجي أولا ، أي عدم فصل العلاقات الخارجية السوفيتية عن الأيديولوجية الشيوعية ، فكان أساس هذه العلاقات «كن شيوعيا أولا أتعاون معك في كل المجالات» ، ولهذا شككت الدول الغربية ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية في فكرة التعايش السلمي الروسي ، وحاولت إظهار التناقض بين دعوة الروس إلى التعايش السلمي ، وإيمانهم بالنضال من أجل انتصار الشيوعية[٢] .

لكن خرتشوف أشار إلى أن طرح القضية بهذه الكيفية فيه نوع من الخلط بين قضايا الصراع العقائدي والعلاقات بين الدول ، مشيرا إلى أن العقيدة الشيوعية لن تنتصر بالتدخل في شئون الدول أو فكرة تصدير الثورة ، بل أن الثقة في انتصار

---

(1) Пыжиков, Александр, . Хрущёвская оттепель, М : Олма-Пресс, 2002. С.16.

(2) Akshoy Kumar Ghoshal, «Peaceful Co - Existence and India's Foreign Policy», *The Indian Journal of Political Science,* Vol. 16, No. 1, (January - March 1955), p.43.

الشيوعية تأتي من معرفة الشيوعيين بقوانين تطور المجتمع وسننه ، وأنه كما جاءت الرأسمالية كنظام اجتماعي أكثر تقدمية وحلت محل الإقطاع ، كذلك فالرأسمالية سيحل محلها نظام أكثر تقدمية وصلاحية وهو الشيوعية[١] ، ورغم ذلك فقد صرح روجر ماكينز Roger Makins سفير بريطانيا في واشنطون (١٩٥٣-١٩٥٦م) أن التعايش السلمي بالنسبة للروس يمثل لهم انفراجه مؤقتة يمكن خلالها بناء القوة الشيوعية من أجل استنزاف موارد العالم الحر ، وأن هذا المصطلح يتسم بالغموض مما يجعله أقل قدرة على التحول إلى واقع ملموس[٢] ، ورغم تلك الدعاوى فقد روج خرتشوف لمفهوم التعايش السلمي ، وحوله من مجرد مفهوم نظري إلى واقع عملي ممارس[٣] .

كانت الصين الشعبية التي أعلنت عن نفسها عام ١٩٤٩م على إثر الصراع المتأجج بين الحزب القومي الصيني (الكومنيتانج)[٤] Kuomintang والحزب الشيوعي الصيني[٥] أحد أهم دول الكتلة الشيوعية ، وقد تبنت نفس المبادئ التي

---

(١) نيكيتا خرشوف : التعايش السلمي كما أفهمه ، تعريب نجدة هاجر ، وسعيد الغز ، الطبعة الأولى ، القاهرة : ١٩٦١م ، ١٥-١٧.

(2) RUSSELL H FIFIELD., «The Five Principles of Peaceful Co-Existence», *The American Journal of International Law*, Vol. 52, No.3, (Jul., 1959), p.509.

(3) HASAN, KHURSHID, *op.cit.*, p.292.

(٤) الكومنيتانج هو الحزب القومي الصيني Chinese National Party الذي تأسس في ١٥ أغسطس ١٩١٢م ، ولعب دورا بارزا في توجيه الأحداث السياسية في الصين في أعقاب ثورة ١٩١١م ، وكان الحزب الحاكم للبلاد في الفترة من ١٩٢٨ وحتى ١٩٤٩م ؛ حيث هزم قادة الحزب في هذا العام على يد الحزب الشيوعي الصيني Chinese Communist Party خلال الحرب الأهلية الصينية وفروا إلى تايون . لمزيد من التفاصيل عن حزب الكومنيتانج انظر :

- MARY C WRIGHT., «From Revolution to Restoration: The Transformation of Kuomintang Ideology», *The Far Eastern Quarterly*, Vol. 14, No. 4, Special Number on Chinese History and Society (Aug., 1955), pp.515-532.

(٥) تأسس الحزب الشيوعي الصيني Communist Party of China في أول يوليو ١٩٢١م=

تقوم عليها السياسة الخارجية السوفيتية ومنها مبدأ التعايش السلمي ؛ لدعم مركزها في آسيا ، ولتتخذ منه وسيلة لمعالجة مشكلاتها مع دول الجوار ولاسيما الهند ، مما ترتب عليه عقد ميثاق البانشيشلا .

البانشيشلا مصطلح مستمد من اللغة السنسكريتية القديمة ، ويتكون من قسمين : بانش Panch وتعني خمسة ، وشيل Sheel وتعني الفضائل ، وبذلك يعني المصطلح الفضائل الخمسة ، وترمز البانشيشلا في الكتب البوذية القديمة إلى المبادئ الأخلاقية الخمسة التي تحكم السلوك الشخصي للهنود[1] ، وقد استمد رئيس الوزراء الهندي جواهر لال نهرو Jawaharlal Nehru (١٩٤٧-١٩٦٤م) هذا المصطلح من الكتب المقدسة البوذية وجعله قابلا للتطبيق في مجال العلاقات الدولية[2] ، حيث يقصد به المبادئ الخمسة للتعايش السلمي The Five

---

=عندما انعقد المؤتمر الأول للحزب في شنغهاي Shanghai ولم يتجاوز عدد أعضاء الحزب آنذاك أكثر من ستين عضوا ، مثّلهم اثنا عشر مندوبا في ذلك المؤتمر ، وقد هدف الحزب إلى تمكين الشيوعية في الصين ، وبخاصة بعدما تولى ماو تسي تونج Mao Zedong (١٨٩٣-١٩٧٦م) قيادته عام ١٩٣٥م ، وأثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) كانت سياسته تهدف إلى محاربة اليابانيين وحزب الكومنيتانج في وقت واحد ، ثم تحول عن ذلك ورغب في الاتحاد مع حزب الكومنيتانج ؛ لتوحيد جهودهما لصد العدوان الياباني على الصين ، وحققا في ذلك نجاحا واضحا ، بعدها طالب الحزب الشيوعي عام ١٩٤٤م بقيام حكومة ائتلافية يشترك فيها مع حزب الكومنيتانج وبعض الأحزاب الصغيرة الأخرى في حكم الصين ، ولكن زعيم حزب الكومنيتانج شيانج كاي شيك Chiang Kai - Shek (١٩٢٥-١٩٧٥م) رفض ذلك ، مما أدى إلى قيام الحرب بينهما التي انتهت بانتصار الحزب الشيوعي ، وسيطرة الشيوعيين على الحكم في الصين عام ١٩٤٩م . انظر : محمد فتح الله الخطيب ، «الحزب الشيوعي في الصين الشعبية» ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد الثاني ، أكتوبر ١٩٦٥م ، ١١١-١١٣.

(1) RUSSELL H FIFIELD, *op.cit.*, p.505.

(2) SWARAN SINGH, «Three Agreements and Five Principles between India and China», in a *history Book of: Across the Himalayan Gap, An Indian Quest for Understanding China*, Editing by: Chang, Tan, New Delhi: Gyan Publishing House, 1998, p.598.

Principles of Peaceful Co-Existence التي تنظم العلاقات بين الدول بشكل يسمح لها جميعا أن تتعايش معا في سلام ووئام[(١)] .

ذُكِرت هذه المبادئ في مقدمة الاتفاق الذي وقع بين الصين والهند في بكين في التاسع والعشرين من إبريل ١٩٥٤م بشأن «الاتصال والتجارة بين منطقة التبت الصينية والهند» ، وكان ميثاق البانشيشلا نتيجة المفاوضات التي تمت بين البلدين في الفترة من الحادي والثلاثين من ديسمبر ١٩٥٣م حتى الثامن والعشرين من إبريل ١٩٥٤م ، وقد وقعه راغافان N. Raghavan سفير الهند لدى جمهورية الصين الشعبية ، وشانغ هان فو Chang Han-fu نائب وزير الخارجية الصيني ، لمدة ثمانية سنوات ، ونص في مقدمته على أن الحكومتين الهندية والصينية عقدتا العزم على الدخول في اتفاق لتسوية الخلافات القائمة بينهما وفقا للمبادئ الخمسة التالية[(٢)] :

١. احترام كل منهما لسيادة الأخرى ووحدتها الإقليمية .
٢. عدم اعتداء كل منهما على الأخرى .
٣. عدم تدخل كل منهما في شئون الأخرى الداخلية .
٤. المساواة وتبادل المصالح بينهما .
٥. التعايش السلمي .

يرى بعض المؤرخين أن نهرو هو أول من بادر بطرح مبادئ البانشيشلا وصياغتها ، وتبع ذلك موافقة رئيس الوزراء الصيني شواين لاي Zhou En-lai

(1) Ministry of External Affairs, Government of India, *External Publicity Division,* «Panchsheel», p.1.

(2) United Nations Treaty Series, Treaties and international agreements registered or filed and recorded with the Secretariat of the United Nations, Agreement between The Republic of India and The People's Republic of China on Trade and Intercourse between Tibet Region of China and India, Signed at Peking, on 29 April 1954, Vol. 299, p.70.

1949)-١٩٧٦م) على هذه المبادئ ، فأصبحت إنتاجا مشتركا بين الهند والصين[١] ، في حين يرى آخرون أن ماو تسي تونج - زعيم الحزب الشيوعي الصيني آنذاك - هو أول من طرح هذه المبادئ عام ١٩٤٩م أثناء الاحتفال بإعلان جمهورية الصين الشعبية ، وأقرها في معرض إعلانه عن سياسة الصين الخارجية في الفترة التالية لإعلان الجمهورية ، مؤكدا على استعداد بلاده لإقامة علاقات دبلوماسية مع جميع البلدان الراغبة في الالتزام بمبادئ المساواة والمنفعة المتبادلة ، والاحترام المتبادل لسلامة أراضيها وسيادتها ، وقد تم إدراج هذه المبادئ في برنامج عمل مشترك أقره الحزب الشيوعي الصيني والحكومة المركزية[٢] ، ويمكن ترجيح الرأي الثاني فهذه المبادئ بادر بصياغتها وإقرارها الشيوعيون الصينيون ، وقد اشتقوها من مفهوم التعايش السلمي نفسه ، وقد وجدت هذه المبادئ هوى في نفس نهرو الذي أشار إلى أن مبادئ البانشيشلا هي نفسها المبادئ التي قامت عليها سياسة الزعيم الهندي غاندي Gandhi (١٨٦٩-١٩٤٨م) ، وأنها ليست بجديدة على الواقع مؤكدا على أن «جميع الأفكار العظيمة ليست جديدة ، وأن التعايش السلمي سيطر على الأفكار ؛ بسبب مواكبته لاتجاهات العصر ، إذ ليس ثمة سبيل آخر لاتقاء الحرب»[٣] .

أولا : ميثاق البانشيشلا وقضية التبت

كانت قضية التبت هي القضية المحورية التي دارت حولها المناقشات بين البلدين تمهيدا لتوقيع ميثاق البانشيشلا ، فقد حرصت الصين بكل وسيلة على إعادة

---

(1) SWARAN SINGH, *op.cit.*, p. 598.

(2) JOHN CHERIAN, «Back to basics: India and China celebrate the 50th anniversary of the signing of the Panchsheel agreement», *India's National Magazine*, Vol. 21, Issue 15, (Jul. 2004), www.frontline.in, (23 February 2016).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة ، وثائق وزارة الخارجية ، الأرشيف السري الجديد ، محفظة ٢٠١ ، ملف ١ ، تقرير سفارة مصر بدلهي ، بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٦م ، الكود الأرشيفي ٠٣٥٦٥٤-٠٠٧٨ .

قبضتها على التبت، مستندة في ذلك إلى أن هذه المنطقة كانت خاضعة منذ عام ١٧٢٠م لأسرة تشنج Qing الصينية(١)، لكنه في أعقاب الثورة الصينية التي اندلعت عام ١٩١١م وأطاحت بأسرة تشنج، تم طرد القوات الصينية من التبت وأعلنت استقلالها في العام نفسه(٢)، وفي الثالث من يوليو عام ١٩١٤م وقعت بريطانيا مع حكومة التبت اتفاقية شيملا Simla التي تنازلت فيها الأخيرة عن جنوب التبت لبريطانيا رغم اعتراض الصين على ذلك(٣)، لجعلها دولة عازلة بين الهند البريطانية والصين(٤).

ظلت الصين تتحين الفرصة من أجل إحكام سيطرتها على التبت، وخلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين استغلت حكومة الكومنيتانج الصينية إهمال حكام التبت شئون دولتهم؛ من أجل توسيع نطاق نفوذها في المنطقة(٥)، وبعد نجاح الحزب الشيوعي الصيني في إحكام سيطرته على البلاد في أعقاب الحرب الأهلية الصينية عام ١٩٤٩م، أصبح هدف ماو تسي تونج ضم العناصر العرقية الخمسة التي يتكون منها المجتمع الصيني في ظل جمهورية الصين الشعبية(٦)، وكان

---

(1) JIAWEI, WANG AND GYAINCAIN, NYIMA, *The Historical Status of China's Tibet*, First Published, Beijing: China Intercontinental Press, 2001, p.54.

(2) TSERING SHAKYA, *The Dragon In The Land of Snows: A History of Modern Tibet Since 1947*, Columbia University Press, 1999, p.5.

(٣) انظر: نص الاتفاق منشور في:

- GOLDSTEIN, MELVYN C., *A History of Modern Tibet*, 1913-1951: the Demise of the Lamaist State, London: University of California Press, 1991, pp.832-834.

(4) DAWA NORBU, «Tibet in Sino-Indian Relations: The Centrality of Marginality», *Asian Survey*, Vol. 37, No. 11 (Nov., 1997), p.1079.

(5) F.R.U.S., 1950, Vol. VI, *East Asia and The Pacific*, Document 376, 793B.02/1-951, Secret, From the Department of State to the British Embassy, 30 December 1950.

(٦) شكلت عناصر الهان Hun، والمانشو Manchus، والمغول Mongols، والهوي Hui، =

عنصر التبت أحد هذه العناصر الخمسة، فأعد عدته لمهاجمة التبت، لذا أرسلت الحكومة التبتية من جانبها القائد التبتي نغابو نجوانج Ngapoi Ngawang Jigim (١٩١٠-٢٠٠٩م) إلى منطقتي شامدو Chamdo وخام Kham الحدوديتين؛ لمواجهة الزحف الصيني المحتمل على التبت، وفي السادس عشر من أكتوبر ١٩٥٠م تقدم جيش التحرير الشعبي الصيني People's Liberation Army نحو شامدو، وسيطر على بلدة ريوشي Riwoche التي فتحت لهم الطريق نحو العاصمة لاسا Lhasa، فاضطر نغابو وقواته إلى الاستسلام، وأرسل إلى الدالاي لاما الرابع عشر تينزن غياتسو (Tenzin Gyatso ولد ١٩٣٥م) يخبره بما آلت إليه الأمور، وينصحه بالاستسلام وعدم اللجوء إلى القوة العسكرية فأجابه بالموافقة على ذلك[١]، فعقد نغابو مع الصينيين اتفاقا عرف بـ« بالاتفاق ذي المبادئ السبعة عشر» Seventeen-Point Agreement في الثالث والعشرين من مايو ١٩٥١م الذي أقر فيه بسيادة جمهورية الصين الشعبية على التبت، وأن الأخيرة جزء لا يتجزأ من أراضي الجمهورية الصينية مع منحها الحكم الذاتي[٢]، وقد قبله الدالاي لاما الرابع عشر مرغما في أغسطس ١٩٥١م[٣].

إذا نظرنا إلى موقف الهند من تطلعات الصين نحو السيطرة على التبت نجده مر بمرحلتين:

= والتبت Tibetans المجموعات العرقية الخمسة الرئيسية في الصين، وكان توحيد هذه السلالات الخمسة أحد المبادئ التي قامت عليها الجمهورية الصينية في أعقاب ثورة ١٩١١م.

(1) Goldstein, Melvyn C., *op. cit.*, pp.687-696.

(٢) لبنود الاتفاق انظر: Goldstein, Melvyn C., *op.cit.*, pp.765-769

(3) F.R.U.S., 1958-1960, Vol. XIX, *China*, Document 373, Secret, Memorandum Prepared in the Central Intelligence Agency, Washington, Undated.

المرحلة الأولى : يمكن أن نطلق عليها اسم مرحلة «المقاومة المقنعة»

وهي المرحلة السابقة على الغزو الصيني للتبت ، التي ظهرت فيها أطماع الصين لضم هذا الإقليم إليها ، وردا على ذلك أعلنت الحكومة الهندية تمسكها بحقوقها في جنوب التبت ، مؤكدة أن جميع التزاماتها بموجب المعاهدات البريطانية ستظل كما كانت من قبل(١) ، كذلك قامت بإمداد سكان التبت سرا بالأسلحة الصغيرة وبعض الذخائر ؛ من أجل تقويتهم عسكريا ، ومساعدتهم في مواجهة الصينيين(٢) ، وفي الوقت نفسه تجنبت الهند الدخول في صراع مباشر مع الصين حول التبت ، مع اهتمام نهرو بتأمين الحدود الهندية من الأخطار الشيوعية ، لذا بادر بعقد معاهدات دفاعية مع بوتان(٣) في الثامن من أغسطس ١٩٤٩م ، ونيبال(٤) في الحادي

---

(1) DAWA NORBU, *op. cit.*, p.1079.

(2) F.R.U.S., 1949, Vol. IX, *The Far East: China,* Document 1044, 893.00 Tibet/ 12-249. *Telegram from the Ambassador in India (Henderson) to the Secretary of State,* New Delhi, 2 December 1949.

(٣) تقع في جبال الهيمالايا ، يحدها شمالا جمهورية الصين الشعبية ، وجنوبا الهند ، وكانت بوتان مملكة موحدة يحكمها مهراجات الهند حتى عام ١٨٦٥م حينما احتلتها القوات البريطانية ، وفي عام ١٩١٠م أرغمت بريطانيا نيبال على توقيع معاهدة معها أصبحت بمقتضاها مسئولة عن علاقة بوتان بالدول الأجنبية ، وعندما استقلت الهند ١٩٤٧م عقدت مع بوتان معاهدة عام ١٩٤٩م تمنعها من اتخاذ قرارات بشأن علاقاتها الخارجية إلا بعد استشارة الهند . انظر: عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩م ، ٥٨٢-٥٨٣.

(٤) إحدى الدول الصغرى بشبه القارة الهندية ، تقع في جبال الهيمالايا الوعرة ، وهي دولة داخلية لا تطل على بحار خارجية ، ولهذا فهي ذات موقع منعزل ، وتتسم بوعورة تضاريسها ، يحدها من الشمال الصين ، ومن الجنوب والشرق والغرب الهند ، ويفصلها عن بنجلادش ممر هندي ضيق ، كما يفصلها عن بوتان ولاية سيكيم الهندية ، وقد اكتسب موقعها أهمية لوقوعها بين القوى العظمى في آسيا الهند والصين . انظر :

- SHAHA, RISHIKESH, *Ancient and Medieval Nepal,* New Delhi: Manohar Publications, 1992, p.1.

والثلاثين من يوليو ١٩٥٠م ، ثم مع سيكيم[١] في الخامس من ديسمبر ١٩٥٠م ؛ لتأمين الحدود الهندية ، إذ مثلت هذه الدول الثلاثة العمق الاستراتيجي الهندي ، والمجال الحيوي الذي لن تسمح فيه الهند بأي تدخل خارجي[٢] ، وحينما طلبت حكومة التبت من الحكومة الهندية إرسال ضابطين من الجيش الهندي لتدريب قوتهم ، رفضت ذلك ، مؤكدة أن علاقتها مع التبت ستظل محكومة باتفاقية شيملا عام ١٩١٤م[٣] .

المرحلة الثانية : يمكن أن نطلق عليها مرحلة «إقرار الأمر الواقع»

جاءت بعد غزو الصين للتبت عام ١٩٥٠م ، وسرعة سيطرتها العسكرية على الإقليم ، واعتراف الدالاي لاما تينزن غياتسو بالسيادة الصينية على التبت ، فقد غير نهرو موقفه ؛ بعد أن بدا له أنه ليس لديه من الناحية العسكرية ما يمكن أن يفعله لطرد جيش التحرير الصيني من التبت[٤] ، فأراد تجنب الخطر الشيوعي ،

---

(١) تقع في جبال الهيمالايا يحدها من الغرب دولة نيبال ، ومن الشمال الشرقي إقليم التبت ، ومن الشرق دولة بوتان ، أما من الجنوب فيحدها ولاية البنغال الغربية الهندية ، وفي عام ١٩٤٧م بعدما حصلت الهند على استقلالها أُجري استفتاءا شعبيا كانت نتيجته رفض سكان سيكيم الانضمام إلى الاتحاد الهندي ، فرغب نهرو في تأمين حدود بلاده ؛ ولهذا عقد مع حكومة سيكيم معاهدة عام ١٩٥٠م تحكمت الهند بمقتضاها في شؤونها الخارجية ، كما تولت أمر الدفاع عنها ، وفي الوقت نفسه منحت الهند لحكومة سيكيم الاستقلال الإداري ، وظل هذا الوضع حتى عام ١٩٧٥م حينما اندمجت سيكيم بشكل كامل في الاتحاد الهندي . انظر :

- GOVERNMENT OF SIKKIM, *History of Sikkim*, www.sikkim.nic.in, (18 September 2016).

(2) DAWA NORBU, *op. cit.*, p.1080.

(3) F.R.U.S., 1950, Vol. VI, *East Asia and the Pacific*, Document 132, 793B.00/1-1050: Telegram, Secret, From the Ambassador in India (Henderson) to the Secretary of State, New Delhi, 10 January 1950.

(٤) يذكر بعض المؤرخين أنه رغم عدم قدرة الهند العسكرية على مواجهة التوسع الصيني في التبت ،=

وحل المشاكل القائمة بين البلدين بشأن التبت من خلال الطرق السلمية ، فعقد الطرفان ميثاق البانشيشلا .

إذا كان بعض الساسة الهنود أمثال جيريجا شانكار باجباي(١) Girija Shankar Bajpai (١٨٩١-١٩٥٤م) قد نصح نهرو قبل توقيع الميثاق على ضرورة حل المسائل العالقة بين الصين والهند حول التبت وفقا لاتفاق شيملا عام ١٩١٤م ؛ وبشكل يضمن حقوق الهند في جنوب التبت(٢) ، إلا أن ذلك لم يحدث ، وأسدت الهند خدمات متعددة للصين من خلال توقيع ميثاق البانشيشلا ، حتى ذكر جُل المؤرخين أن الهند لم تستفد من هذا الاتفاق بشيء ، في الوقت الذي حصلت فيه الصين على كل ما تريده ، وبدا ساستها وكأنهم أبعد نظرا(٣) ، وهناك من الأدلة ما يؤكد هذا الرأي ومنها :

=فإنه كان باستطاعتها إذا نسقت جهودها مع الولايات المتحدة الأمريكية أن تشكل خطرا على الاحتلال الصيني للتبت . انظر :

- DAWA NORBU, *op. cit.*, p.1082.

ولكن يمكن مخالفة هذا الرأي فقد رفضت الهند أي تدخل خارجي في شئون القارة الأسيوية ، وعارضت بشدة التدخل الأمريكي في الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣م) ، ولم تؤيد الجهود الأمريكية للتصدي للعدوان الشيوعي ، ورأت أن الأمر ليس أكثر من حرب أهلية ، مما أدى إلى توتر العلاقة بينها وبين الولايات المتحدة طوال مدة الحرب . انظر :

- F.R.U.S., 1950, Vol. VII, *Korea*, Document 943, 795.00/12-350, Memorandum of a Telephone Conversation, by the Assistant Secretary of State for United Nations Affairs (Hickerson), Washington, 3 December 1950.

(١) أول سكرتير عام لوزارة الخارجية الهندية ، و مستشار الشئون الخارجية لرئيس الوزراء الهندي نهرو (١٩٤٧-١٩٥٢م) . انظر :

- HARISH KAPUR, *Foreign Policies of India's Prime Ministers.*, New Delhi: Lancer Publishers, 2009, p.444.

(2) CLAUDE ARPI, «The Panchsheel Agreement», Book Excerpt: Tibet - The Lost Frontier, 5 August 2015, indiandefencereview.com, (1 March 2016).

(3) SARVEPALLI GOPAL, *Jawaharlal Nehru: a Biography,* Vol. 2, London: =

١. بعد عقد ميثاق البانشيشلا تحولت التبت من دولة مستقلة إلى منطقة صينية عرفت بـ«التبت الصينية» ، وقد عبر عن ذلك المؤرخ الصيني تي تسنج لي Tieh Tseng Li الذي أكد أن الهند من خلال ميثاق البانشيشلا أقرت المبدأ القائل بأن التبت جزء لا يتجزأ من الصين(١) ، في أعقاب توقيع الميثاق مارست الصين السيادة الكاملة على التبت ؛ فقد نص الاتفاق على أن الحكومة الهندية تسحب خلال ستة أشهر من توقيع الميثاق حاميتها العسكرية الموجودة في يانتج Yantung وجيانتسي Gyantse، كما تتنازل عن ملكيتها لمكاتب البريد والتلغراف وخطوط التليفون التي أقامتها الحكومة البريطانية في التبت(٢) .

٢. عزز هذا الاتفاق سيطرة الصين على التبت أمام المجتمع الدولي ، فقد كان موقف الصينيين في التبت ضعيفا جدا ، بسبب إدانة المجتمع الدولي لاستيلاء الشيوعيين عليها ، ولاسيما مع تخلف البنية التحتية العسكرية للصين(٣) ، وقد أراد الصينيون من هذا الاتفاق إضفاء نوع من الشرعية في سيطرتهم على التبت ، واستغلوا إقرار الهند بتلك السيطرة لتحقيق هدفهم(٤) .

٣. ساهم الميثاق في تقديم فرصة مناسبة للصين لكسر عزلتها ، والقيام بدور مؤثر في الشئون الدولية ، ففي أعقاب توقيع الميثاق تحولت سياسة الصين نحو

= Oxford University Press, 1979, p.180.

(1) TIEH-TSENG LI, *Tibet Today and Yesterday,* New York: Bookman Associates, 1960, p.210.

(2) United Nations Treaty Series, Treaties and international agreements registered or filed and recorded with the Secretariat of the United Nations, Agreement between The Republic of India and The People's Republic of China on Trade and Intercourse between Tibet Region of China and India, Signed at Peking, on 29 April 1954, Vol. 299, pp.76-78.

(3) F.R.U.S., 1958-1960, Vol. XIX, *China,* Document 373, Secret, *Memorandum Prepared in the Central Intelligence Agency,* Washington, Undated.

(4) DAWA NORBU, *op. cit.,* p.1082.

الدول غير الشيوعية، وحرصت على توطيد علاقاتها معها من خلال مبادئ البانشيشلا التي مثلت وسيلة لإعلان الصين عن سياستها الخارجية مع جميع دول العالم[١].

رغم ذلك فقد كان للهند مبرراتها التي دفعتها إلى عقد الميثاق، والتي يمكن استنباطها من خلال النظر في الموقف الدولي في آسيا في بداية الخمسينيات من القرن العشرين، وكذلك في ضوء شخصية نهرو رئيس وزرائها والمسئول الأول عن سياسة الهند الخارجية خلال تلك الفترة، ويمكن عرضها على النحو التالي:

١. رؤية الحكومة الهندية لميثاق البانشيشلا على أنه محاولة لرأب الصدع، والقضاء على عوامل الفتنة التي زرعها الاستعمار بين الدول الأسيوية، من خلال غرسه لبعض المفاهيم مثل «المناطق العازلة» Buffer Zones ومفهوم توازن القوى Balance of Power واعتبارها مصطلحات «امبريالية عفا عليها الزمان»[٢]، فنظر الساسة الهنود إلى الميثاق على أنه موجه نحو توليد الثقة بين «جمهوريتين محررتين حديثا ذات وجهة قومية»[٣].

٢. مبدأ الأخوة الهندية الصينية Hindi-Chini Bhai Bhai الذي أعلنه القادة الصينيون منذ بداية الخمسينيات من القرن العشرين، وأعربوا من خلاله عن رغبتهم في السلام والصداقة الدائمة مع الهند، وقد لاقى هذا المبدأ صدى في نفوس الساسة الهنود، ولاسيما نهرو الذي أراد توطيد علاقته بالدول الأسيوية لمواجهة الهيمنة الغربية[٤].

---

(1) SANJEEV KUMAR, «Time to Debate the Principles of Panchsheel», *Indian Council of World Affairs,* June 2013, p.2.

(2) DAWA NORBU, *op. cit.,* p.1079.

(3) SWARAN SINGH, *op. cit.,* p.599.

(4) *Ibid.,* p.599.

٣. إيمان نهرو بمبادئ البانشيشلا، ورؤيته للميثاق على أنه التزام أخلاقي يعبر عن فكرة الهند من أجل التعايش السلمي[١]، الذي أُقر من قبل الزعيم الهندي غاندي، الذي دعا إلى التمسك بالسلم ونبذ العنف حتى في مواجهة المستعمرين، وقد اتضح موقف نهرو من الميثاق في رده على السياسي الهندي أشاريا كريبالاني Acharya Kripalani (١٨٨٨-١٩٨٢م) الذي هاجم بشدة سياسة الحكومة، وتخليها عن حقوقها في التبت للصين، مؤكدا أن التبت أقرب ثقافيا إلى الهند منها إلى الصين، وأن موافقة الحكومة الهندية على الميثاق يشكل خطرا على الحدود الهندية؛ لأنه في السياسة الدولية حينما يتم إلغاء المناطق العازلة أمام أمة قوية فإن ذلك يدفعها إلى وضع مخططات عدائية ضد جيرانها، ولكن نهرو رد عليه بأن الهند لم تحقق إنجازا بعد الحصول على استقلالها أفضل من توقيعها على ميثاق البانشيشلا الذي سيساهم في تحقيق الاستقرار والسلام ليس فقط في آسيا بل وفي العالم بأسره[٢]، ومن ذلك يتضح أهمية عقد الميثاق بالنسبة لنهرو الذي جعله في مرتبة تضاهي مرتبة حصول الهند على استقلالها.

٤. رغبة نهرو في اعتراف الصين بالعلاقات الخاصة التي تربط الهند بالدول الواقعة على جبال الهيمالايا، والحصول على تأييدها فيما يتعلق بمسألة ترسيم الحدود، فجميع الخرائط السياسية التي توضح أن الحدود الشمالية للهند تمتد من كشمير إلى نيبال لم تكن وضعت حتى عام ١٩٥٤م، وكذلك الحال لحدود الهند الشمالية الشرقية فلم تكن رسمت بعد، ورغم ذلك فإن الساسة الهنود لم يطرحوا مسألة ترسم الحدود صراحة أثناء المناقشات التي سبقت توقيع الميثاق، ولم يُتطرق

---

(1) SANJEEV KUMAR, *op. cit.*, p.2.

(2) CLAUDE ARPI, «The Panchsheel Agreement», *Book Excerpt: Tibet - The Lost Frontier*, 5 August 2015, indiandefencereview.com, (1 March 2016).

لها في بنود الميثاق نفسه[١]، ويمكن تفسير ذلك في ضوء ما ذكره المؤرخ نوربو Norbu الذي أشار إلى أن نهرو كان واعيا للجميل الذي أسداه للصين في التبت، وكان يتوقع أن تكون المعاملة معه بالمثل فيما يتعلق بمسألة الحدود[٢].

٥. اعتقاد نهرو أن توطيد علاقته بالصين الشعبية سيضعف الحزب الشيوعي في الهند؛ إذ سيتعذر على هذا الحزب مهاجمة الحكومة الهندية مادامت علاقتها وطيدة مع الشيوعيين، ومن ثم يظل حزبه - حزب المؤتمر الوطني الهندي Indian National Congress. - هو المتولي للسلطة[٣].

ثانيًا: ميثاق البانشيشلا بين الثنائية والدولية

١. انضمام الدول للميثاق في الفترة من (يوليو ١٩٥٤ - إبريل ١٩٥٥م).

في الثامن والعشرين من يونيو ١٩٥٤م خلال زيارة رئيس الوزراء الصيني شواين لاي إلى الهند أصدر هو ونهرو بيانا مشتركا يتضمن تأكيد اتفاقهما على مبادئ البانشيشلا، وأعلنا أن الميثاق وما احتواه من مبادئ سيعطي الفرصة للبلدان المستقلة حديثا للحفاظ على استقلالها الذي نالته بصعوبة بالغة، وأن إقرار الدول بمبادئه سيخفف من حدة التوترات الدولية، ويعزز قضية السلام في جميع أنحاء العالم[٤]،

---

(1) NEVILLE MAXWELL, «Sino - Indian Border Dispute Reconsidered», *Economic and Political Weekly*, Vol. 34, No. 15, (Apr. 10-16, 1999), p.509.

(٢) نظر القادة الصينيين للميثاق على أنه إقرارا للحقوق التاريخية للصين في التبت، ولم تحترم الصين مصالح الهند الحيوية والأمنية في جبال الهيمالايا، ولم تساندها في مسألة الحدود، مما سيؤدي إلى نشوب الحرب بينهما عام ١٩٦٢م. انظر:

- DAWA NORBU, *op. cit.*, pp.1081-1082.

(٣) وثائق وزارة الخارجية، الأرشيف السري الجديد، محفظة ٢٠١، ملف ١، تقرير سفارة مصر بدلهي، بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٥٥م.

(4) *Ministry of External Affairs, Government of India, External Publicity Division,* «Panchsheel», p.2.

وأنهما اتخذا من هذه المبادئ أساسا لعلاقاتهما مع دول آسيا بوجه خاص، ودول العالم بوجه عام، وأعربا عن رغبتهما في توسيع منطقة السلام التي سيخلقها الميثاق بضم دول أخرى إليه إذا سنحت الظروف(١).

غادر شواين لاي الهند، متجها إلى رانجون Rangoon عاصمة بورما بدعوة من يو نو U Nu (١٩٤٨-١٩٥٦م) رئيس وزرائها، وانتهت زيارته في أول يوليو ١٩٥٤م بانضمام بورما لميثاق البانشيشلا(٢)، وقد ذكر بعض المؤرخين منهم «لي كو» Li Koa و«مانورانجان موهنتي» Mohanty Manoranjan أن الصين والهند وبورما قد شاركت في وضع مبادئ البانشيشلا(٣)، ولكن يمكن معارضة ذلك الرأي فقد اقتصرت المباحثات حول بنود الميثاق وكذلك توقيعه على الصين والهند، كما جاء في نص الاتفاق، وجاءت مسارعة يو نو بالاعتراف بمبادئ البانشيشلا بسبب توجهاته الشيوعية(٤)، وعلاقته الوطيدة بالصين، فكان من أكثر المؤيدين للميثاق، وأكد في أكثر من مناسبة أن المبادئ الخمسة للتعايش السلمي ستساهم في خلق الثقة بين الدول، ودعم السلام العالمي، وأن البديل عن التعايش

---

(١) وثائق وزارة الخارجية، الأرشيف السري الجديد، محفظة ٢٠١، ملف ١، تقرير سفارة مصر بدلهي، بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٦م.

(٢) نفس المصدر.

(3) LI KOA, «china and Panchshila», *People's China*, No. 14, (16 July 1957), in RUSSELL H FIFIELD, *op. cit.*, p. 505? MANORANJAN MOHANTY, «Panchsheel Partners: A New Beginning», *Economic and Political Weekly*, Vol. 40, No. 17 (Apr. 23-29, 2005), p.1671.

(٤) يُعد يو نو القائد المؤسس لحزب الشعب الثوري The People's Revolutionary Party (PRP)، الذي أصبح بعد ذلك الحزب الاشتراكي The Socialist Party في بورما، وقد عرف بميوله الشيوعية، وكفاحه من أجل الحفاظ على الوحدة الشيوعية داخل حزب. لمزيد من التفاصيل عن علاقة يو نو بالشيوعية انظر:

- RICHARD BUTWELL, *U Nu of Burma*, Stanford: Stanford University Press, 1963, pp.49-51.

السلمي هو التدمير الكامل في حرب نووية لا هوادة فيها(١) .

ثم أعلن الرئيس هوشي منه(٢) Ho Chi Minh (١٩٤٥-١٩٦٩م) رئيس جمهورية فيتنام الديمقراطية الشعبية تأييده لمبادئ البانشيشلا في الحادي والعشرين من يوليو ١٩٥٤م في الجلسة الختامية لمؤتمر جنيف Genève حول الهند الصينية ، وفي الثامن عشر من أكتوبر ١٩٥٤م أصدر هوشي منه ونهرو بيانا مشتركا في هانوي عاصمة فيتنام أكد فيه على إيمانه بالمبادئ الخمسة للتعايش السلمي ، ورغبته في تطبيقها في علاقته مع سائر الدول الأسيوية ، وفي التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٥٤م اتخذ خطوة مماثلة مع يو نو رئيس وزراء بورما وأكدا على أن علاقتيهما تحكمها مبادئ البانشيشلا(٣) .

ويمكن تفسير مبادرة إقرار فيتنام بمبادئ ميثاق البانشيشلا في ضوء عاملين :

أولا : توجهات هوشي منه الشيوعية ، والعلاقة الوطيدة التي ربطته بالصين والاتحاد السوفيتي ولاسيما أثناء حرب الهند الصينية (١٩٤٦-١٩٥٤م)(٤) ، حيث

---

(1) RUSSELL H FIFIELD, *op. cit.*, p.509.

(٢) مؤسس الحزب الشيوعي الفيتنامي ، وقائد رابطة استقلال فيتنام League for the Independence of Vietnam المعروفة باسم فيت منه Viet Minh التي تكونت في الصين في مدينة باك بو Pac Bo في التاسع عشر من مايو ١٩٤١م تحت زعامة هوشي منه نفسه ، وكانت تهدف إلى تخليص فيتنام من الحكم الفرنسي ، وأثناء الحرب العالمية الثانية حينما سيطرت اليابان على فيتنام واجهتها قوات فيت منه ، ونجحت في السيطرة على شمال فيتنام ، وأعلنت استقلالها في السادس والعشرين من أغسطس ١٩٤٥م واتخذت من هانوي Hanoi عاصمة لها . انظر :

- F.R.U.S., 1949, Vol. VII, Part 1, *The Far East and Australasia,* Document 56, 851G.01/6-3049: Telegram, From the Secretary of State to the Embassy in India, Washington, 30 June 1949.

(3) RUSSELL H FIFIELD, *op. cit.*, p.505.

(٤) بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية حاولت فرنسا استرداد فيتنام بالقوة ، فاندلعت حرب الهند الصينية في العشرين من نوفمبر ١٩٤٦م واستمرت حتى يوليو ١٩٥٤م ، انتصرت قوات فيت منه على=

قدمتا هاتان الدولتان يد العون للقوات الفيتنامية المحاربة للتخلص من الاستعمار الفرنسي ، وحينما عانى الثوار الفيتناميون من نقص التسليح سافر هوشي منه إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٠م ، وقابل خلال تلك الزيارة ستالين وماو تسي تونج ، اللذين تكفلا بمد يد العون للفيتناميين ، فأمدته روسيا بالأسلحة الثقيلة ، كما أرسلت له الصين المقاتلين الصينيين للقتال إلى جانب الشيوعيين الفيتناميين ، مما لعب دورا بارزا في تحول الحرب لصالح قوات هوشي منه[1] ، فلولا المساعدات الشيوعية لما تمكن الفيتناميون من الانتصار على الفرنسيين ، وهو ما أكده مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأقصى بتروورث Butterworth، وقد زاد ذلك من قلق الولايات المتحدة الأمريكية بسبب تزايد المد الشيوعي في الهند الصينية[2] .

ثانيا : موقف نهرو المؤيد للقوات الفيتنامية في حربها ضد الفرنسيين ، مما دعم العلاقة بينه وبين هوشي منه ، فكما ذكر كوركوران Corcoran القنصل الأمريكي في هانوي في تقريره للخارجية الأمريكية أن نهرو أبدى اهتماما واضحا بالحرب

=القوات الفرنسية في مواقع استراتيجية مهمة ، مما سمح لهوشي منه أن يفاوضهم على وقف إطلاق النار وهو في مركز القوة ، وذلك في مؤتمر جنيف ١٩٥٤م الذي نتج عنه تقسيم فيتنام إلى شمالية تحت قيادة هوشي منه وعرفت باسم «فيتنام الديمقراطية الشعبية» ، وجنوبية عرفت باسم جمهورية «فيتنام الجنوبية» مع وجود منطقة منزوعة السلاح بينهما . انظر :

- ARTHUR J. DOMMEN, The Indochinese Experience of the French and the Americans, *Nationalism and Communism in Cambodia,* Laos, and Vietnam, Bloomington: Indiana University Press, 2001, p.252.

(1) CHEN JIAN, «China and the First Indo-China War 1950-1954», *The China Quarterly,* No 133, (Mar., 1993), pp.87-88.

(2) F.R.U.S., 1949, Vol. VII, Part 1, *The Far East and Australasia,* Document 74, 851G.00/10-2049, Secret, Memorandum, by *the Assistant Secretary of State for Far Eastern Affairs (Butterworth) to the Secretary of State,* Washington, 20 October 1949.

المشتعلة في شمال فيتنام مع الفرنسيين، وصرح بأن الدول الأسيوية لم تعد تتقبل إبقاء المستعمرين على أراضيها فلابد من التفاوض معها من أجل السلام بدلا من خوض الحروب(١).

في الثاني والعشرين من سبتمبر ١٩٥٤م بادرت اندونيسيا بالانضمام إلى ميثاق البانشيشلا، أثناء قيام رئيس وزرائها علي ساسترو أوميجوجو Ali Sastroamidjojo (١٩٥٣-١٩٥٥م) بزيارة رسمية للهند(٢)، وإذا نظرنا للدوافع التي أدت إلى اتخاذ اندونيسيا لهذه الخطوة نجدها تتمثل في:

١. العلاقة الوطيدة التي ربطت اندونيسيا بالهند، ففي الثاني والعشرين من يناير ١٩٤٩م اجتمع ممثلو خمسة عشرة دولة في نيودلهي بناء على دعوة نهرو؛ لوضع حد لأعمال القوة البوليسية الهولندية في آسيا، ومساعدة الشعب الاندونيسي للتحرر من بقايا الاستعمار الهولندي، وقد أكد المؤتمر على ضرورة انسحاب القوات الهولندية من اندونيسيا ومنح السلطة كاملة للاندونيسيين أنفسهم(٣).

٢. السياسة الخارجية للرئيس الأندونيسي سوكارنو Sukarno (١٩٤٥-١٩٦٧م) التي لعبت دورا مهما في مسارعة بلاده بالاعتراف بمبادئ البانشيشلا؛ فقد كان راغبا في توطيد علاقته مع الصين، على أساس دعم اندونيسيا للمطالب الصينية في تايوان، مقابل دعم الصين لحقوق اندونيسيا في جزر إيريان الغربية التي

---

(1) *Ibid,* 1952-1954, Vol. XIII, Part 2, *Indochina,* Document 1260, 751G.00/10-2154, Secret, *Telegram From the Consul at Hanoi (Corcoran) to the Department of State Hanoi,* 21 October 1954.

(٢) وثائق وزارة الخارجية، الأرشيف السري الجديد، محفظة ٢٠١، ملف ١، تقرير سفارة مصر بدلهي، بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٦م.

(3) «Asian Conference Recommends Transfer Complete Power To Indonesia», *The Morning Bulletin,* 24 January 1949, p.1.

تسيطر عليها القوات الهولندية[١]، وقد بلغت رغبة اندونيسيا في توطيد علاقتها بالصين إلى الحد الذي طرح فيه رئيس وزرائها علي ساسترو أوميجوجو أثناء زيارته لدلهي فكرة عقد معاهدة عدم اعتداء مع الصين، لكن هذه المعاهدة لم تكتمل؛ بسبب موقف أحزاب المعارضة الأندونيسية، التي عدت ذلك خروجا عن سياسة اندونيسيا الخارجية المستقلة[٢].

في الثالث والعشرين من ديسمبر ١٩٥٤م أثناء زيارة الرئيس اليوغسلافي تيتو Tito (١٩٥٣-١٩٨٠م) للهند، أصدر هو ونهرو بيانا مشتركا نصا فيه على اعتقادهما الراسخ في ضرورة إتباع سياسة عملية تؤدي إلى السلام في العالم، وأشارا إلى أن هذا السلام لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال تطبيق المبادئ الخمسة للتعايش السلمي[٣]، وفي السابع عشر من يناير ١٩٥٥م أصدر تيتو ويو نو رئيس وزراء بورما بيانا مماثلا أوضحا فيه أن مبادئ البانشيشلا تحكم العلاقة بين بلديهما[٤].

---

(١) الراجح أن الرئيس الاندونيسي سوكارنو قد فقد الأمل في تأييد الولايات المتحدة لبلاده في دفاعها عن حقوقها في جزر إيريان، في الوقت الذي أيدت فيه الدول المشاركة لمؤتمر باندونج موقف اندونيسيا، وأصدرت بيانا في الرابع والعشرين من إبريل ١٩٥٥م أيدت فيه موقف اندونيسيا في النزاع على جزر إيريان، وحثت الحكومة الهولندية على استئناف المفاوضات، وأعربت الدول المشاركة في المؤتمر في هذا البيان عن أملها في أن تقدم الأمم المتحدة الدعم الكافي لإيجاد حل سلمي للنزاع، وقد وصف على ساسترو سياسة الولايات المتحدة إزاء هذه القضية بالسلبية. انظر:

- F.R.U.S., 1955-1957, Vol. XXII, *Southeast Asia,* Document 94, 756D.00/4-2955, Secret, *Telegram From the Embassy in Indonesia to the Department of State,* Djakarta, 29 April 1955.

(2) *Ibid.*

(٣) وثائق وزارة الخارجية، الأرشيف السري الجديد، محفظة ٢٠١، ملف ١، تقرير سفارة مصر بدلهي، بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٦م.

(4) RUSSELL H FIFIELD, *op. cit.,* p.506.

في الثامن عشر من مارس ١٩٥٥م عقب زيارة ملك كمبوديا نورودوم سيهانوك Norodom Sihanouk (١٩٤١-١٩٥٥م) للهند أعلن التزامه بمبادئ البانشيشلا، وأنها تمثل «الضمان الأمثل» لتحقيق السلام في آسيا، ومنذ ذلك الحين أكد سيهانوك في تصريحات متعددة له على أهمية ميثاق البانشيشلا[١]، ولعل علاقة سيهانوك التي توطدت بالصين خلال تلك الفترة هي التي دفعته إلى الانضمام لميثاق البانشيشلا، فقد حرصت الصين منذ عام ١٩٥٣م على تقديم المساعدات لكمبوديا[٢]، وتدريجيا توطدت علاقة سيهانوك بها مما أثار حفيظة الولايات المتحدة، ووصفه المراقبون الأمريكيون بالتقلب، وأنه لا يمكن التنبوء بما يقدم عليه، وأنه ألقي ببلاده في مهاوي الشيوعية[٣].

إذا نظرنا إلى الدول التي بادرت بالانضمام إلى ميثاق البانشيشلا خلال تلك المرحلة نجدها كلها ذات توجه شيوعي، وتربطها بالصين وبروسيا صاحبه مفهوم التعايش السلمي علاقات وطيدة، ولهذا فرغم تأكيد نهرو وتيتو أن الهدف من الميثاق هو إنشاء منطقة سلام محايدة لا تربط نفسها بإحدى الكتلتين الغربية والشرقية[٤]، إلا أن هذا الأمر كان مخالفا للواقع السياسي آنذاك، فارتباط الدول الموقعة على ميثاق البانشيشلا بالصين الشيوعية وتوقيعها معها على ميثاق واحد أمر له دلالته في الظروف الدولية التي تحتل فيها الصين الشعبية مركزا أساسيا في الكتلة الشرقية؛ إذ ربما فسر انضمام أي دولة إلى هذا الميثاق على أنه ميل واضح للكتلة الشرقية في ميدان الحرب الباردة بين الكتلتين.

---

(1) *Ibid*, p.506.

(2) Alain-Gerard Marsot, «China's Aid to Cambodia», *Pacific Affairs*, Vol. 42, No. 2 (Summer, 1969), p.189.

(3) Manee, Walton C., «Cambodia's Controversial Sihanouk», *World Affairs*, Vol. 130, No. 3 (October, November, December 1967), pp.149-150.

(٤) وثائق وزارة الخارجية، الأرشيف السري الجديد، محفظة ٢٠١، ملف ١، تقرير سفارة مصر بدلهي، بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٦م.

يؤيد الرأي السابق موقف باكستان من الانضمام لميثاق البانشيشلا فحينما اشتد الخلاف بين الهند وباكستان بسبب مشكلة كشمير، وتزايدت حوادث الحدود بينهما، أتهمتها الهند بإثارة العدوان والاستعداد للحرب ضدها معتمدة على ما تتلقاه من عون حربي أمريكي وبريطاني[1]، فأعلن السيد تشودري محمد علي Chaudhry Muhammad Ali رئيس وزراء باكستان (أغسطس ١٩٥٥ - سبتمبر ١٩٥٦م) في البرلمان في التاسع عشر من مارس ١٩٥٦م استعداد بلاده توقيع ميثاق عدم اعتداء مع الهند، ينص على نبذ الحرب كوسيلة لفض منازعاتهما، على أن تكون المفاوضات والوساطة والتحكيم هي طرق الحل، فأسرع نهرو في اليوم التالي بإعلان ترحيبه بفكرة رئيس وزراء باكستان، واقترح عقد الميثاق بين البلدين على أساس مبادئ البانشيشلا بدعوى أنها تتضمن النص على ميثاق عدم اعتداء، ولكن باكستان رفضت التوقيع على الميثاق؛ لما ينطوي عليه هذا التوقيع من تفسير الدوائر الغربية له بأنه تحول نحو الكتلة الشيوعية، ونبذ سياسة الأحلاف الدفاعية التي تقوم عليها سياسة الغرب[2].

٢. أثر ميثاق البانشيشلا على مؤتمر باندونج

اجتمع ممثلو تسعة وعشرين دولة أسيوية وأفريقية في باندونج باندونيسيا في الفترة من الثامن عشر إلى الرابع والعشرين من إبريل ١٩٥٥م؛ لمناقشة مسائل السلام، ودور العالم الثالث في الحرب الباردة، والتنمية الاقتصادية، وإنهاء الاستعمار، وكانت قضايا حق تقرير الدول لمصيرها السياسي، والاحترام المتبادل لسيادة كل دولة، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول هي

---

(١) نفس المصدر، تقرير سفارة مصر بدلهي بشأن النزاع الهندي الباكستاني، بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٥٦م.

(٢) نفس المصدر، تقرير سفارة مصر بدلهي، بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٦م.

القضايا ذات الأهمية الأولى لكل الدول المشاركة في المؤتمر، وهنا نلاحظ أن هذه القضايا هي نفسها المبادئ التي نص عليها ميثاق البانشيشلا، وهو ما عبر عنه الساسة الأمريكيون حينما أكدوا أن ممثلي الدول اعتمدوا على المبادئ الخمسة للتعايش السلمي أثناء المناقشات الدائرة في المؤتمر(١).

قد نظرت الولايات المتحدة بعين الريبة إلى الدعوة إلى عقد المؤتمر، ورأوا أنه من الأفضل عدم انعقاده، وأنه إذا عُـقد لابد من إرسال الدول الصديقة التي تحافظ على مصالح الولايات المتحدة، وأشار الساسة الأمريكيون إلى أن النتائج التي ستترتب عليه ستؤثر سلبا على الولايات المتحدة؛ ليس فقط بسبب ما يُـتخذ فيه من قرارات، بل بسبب العلاقات الشخصية التي ستنشأ خلال المؤتمر بين القادة الشيوعيين وغير الشيوعيين، كما أكدوا أن تمثيل الصين الشعبية في المؤتمر سيضر بمصالح الولايات المتحدة، وأن الشيوعيين سيحاولون كسب التأييد الدولي للمبادئ الخمسة للتعايش السلمي(٢)، وهنا نلاحظ أن الولايات المتحدة ربطت بين مبادئ البانشيشلا وبين الشيوعية، وذلك نظرا لما تقدم بيانه من تأييد الدول ذات التوجه الشيوعي للميثاق، واعتزال الدول التي تدور في فلك المعسكر الرأسمالي من إقرار مبادئه.

يرى بعض المؤرخين أنه على الرغم من الجهود الواضحة التي بذلها شواين لاي رئيس وزراء الصين داخل وخارج غرف المؤتمر؛ من أجل التأثير على ممثلي الدول المرتابين في نوايا حكومته بشأن التعايش السلمي، فإن البيان النهائي للمؤتمر دعا إلى تعزيز التعاون والسلام العالميين من خلال عشرة مبادئ دون الإشارة إلى

---

(1) F.R.U.S., *Milestones* 1953-1960, Bandung Conference (Asian-African Conference), 1955.

(2) *Ibid*, 1955-1957, Vol. XXI, *East Asian Security*, Cambodia? Laos, Document 6, 670.901/1-2155, Secret, *Minutes of a Meeting*, Secretary Dulles Office, *Department of State*, Washington, 18 January 1955.

مصطلح التعايش السلمي[١] ، ولكن يمكن مخالفتهم في ذلك ؛ لأن المبادئ التي أقرها مؤتمر باندونج لضبط العلاقات بين الدول تضمنت المبادئ الخمسة للتعايش السلمي ، وكان ضمن قرارات المؤتمر التأكيد على المبادئ التالية[٢] :

١. احترام سيادة جميع الأمم وسلامة أراضيها .

٢. الاعتراف بالمساواة بين جميع الأجناس وبين جميع الأمم صغيرها وكبيرها .

٣. الامتناع عن التدخل في الشئون الداخلية لبلد آخر .

٤. تجنب الأعمال أو التهديدات العدوانية أو استخدام العنف ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي بلد من البلاد .

٥. تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل .

لعل هذه المبادئ هي نفسها المبادئ الأربعة الأولى من مبادئ البانشيشلا ، أما عن المبدأ الخامس والخاص بالتعايش السلمي وأن لم يرد بنصه في قرارات مؤتمر باندونج ، لكنه استبدل به تعبير «العيش معا في سلام» ، وكان ذلك بناء على اقتراح شواين لاي نفسه ، الذي أشار إلى أنه إذا كان هناك اعتراض على مصطلح التعايش السلمي فإنه يمكن اتخاذ التعبير الذي جاء به ميثاق الأمم المتحدة ألا وهو «العيش معا في سلام» ؛ وذلك لدفع الحرج الذي قد يؤدي إليه استعمال تعبير التعايش السلمي بالنسبة للدول المشاركة في المؤتمر ، والتي تدور في فلك الكتلة الغربية كباكستان والعراق وإيران[٣] .

والجدير بالذكر أن الدول الأسيوية أكدت خلال المؤتمر أن البانشيشلا توفر الأساس لإنشاء نظام دولي عادل ومنصف ، وأنها في وئام مع ميثاق الأمم

---

(1) Russell H Fifield., *op. cit.*, pp.506-507.

(٢) وثائق وزارة الخارجية ، الأرشيف السري الجديد ، محفظة ٢٠١، ملف ١، تقرير سفارة مصر بدلهي ، بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٦م .

(٣) نفس المصدر .

المتحدة[١]، وأعلنت مملكة لاوس رسميا إقرارها لمبادئ البانشيشلا، ووقع اتفاق بين رئيس وزرائها كاتاي ساسوريث Katay Sasorith (١٩٥٤-١٩٥٦م) ووزير خارجية جمهورية فيتنام الديمقراطية فام فان دونج Pham Van Dong (١٩٥٤-١٩٦١م) أكدا فيه على دعم العلاقات بين بلديهما وفقا لمبادئ البانشيشلا[٢]، ثم انضمت نيبال إلى الميثاق في الخامس من أغسطس ١٩٥٥م، كذلك سيلان في مايو ١٩٥٧م عقب زيارة نهرو لها، وتوقيعه اتفاق مع رئيس وزرائها باندارانايكا[٣] Bandaranaik (١٩٥٦-١٩٥٩م) تضمن إقراره بمبادئ البانشيشلا[٤]، وقد أصاب ذلك الولايات المتحدة بالقلق نظرا لتوطد الصلات بين تلك الدول والصين الشيوعية، وأعربت عن قلقها من تسرب النفوذ الشيوعي إلى الهند، بل إلى دول جنوب شرق آسيا كلها نتيجة لتلك التحالفات[٥]، وقد اقترح المراقبون الأمريكيون مواجهة المد الشيوعي من خلال تقديم مزيد المساعدات الاقتصادية إلى هذه الدول ؛ للحد من النفوذ

---

(1) JOHN CHERIAN, «Back to basics: India and China celebrate the 50th anniversary of the signing of the Panchsheel agreement», *India's National Magazine*, Vol. 21, Issue 15, (Jul. 2004), www.frontline.in, (23 February 2016).

(2) RUSSELL H FIFIELD., *op .cit.*, p. 506.

(٣) سولومون ويست ريدجواي دياز باندارانايكا Solomon West Ridgeway Dias Bandaranaike الذي يعرف بـ S. W. R. D. Bandaranaike ولد في كولومبو Colombo في سيلان في ٩ يناير ١٨٩٩م، شغل منصب رئيس وزراء سيلان منذ عام ١٩٥٦م حتى اغتياله في عام ١٩٥٩م. انظر:

- S.W.R.D. Bandaranaike, or Solomon West Ridgeway Dias Bandaranaike (Prime Minister of Sri Lanka), *Encyclopedia Britannica*, www.britannica.com, (15 April 2016).

(4) RUSSELL H FIFIELD., *op. cit.*, p.507.

(٥) وثائق وزارة الخارجية، الأرشيف السري الجديد، محفظة ٢٠١، ملف ١، تقرير سفارة مصر بدلهي بشأن النزاع الهندي الباكستاني، بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٥٦م.

الاقتصادي والسياسي المتزايد للشيوعيين في هذه البلاد[1].

٣. الانضمام الروسي لميثاق البانشيشلا ورد فعل الولايات المتحدة

وجه رئيس الوزراء السوفيتي بولجانين Bulganin (١٩٥٥-١٩٥٨م) دعوة رسمية لنهرو لزيارة موسكو، فلبى نهرو دعوته في يونيو ١٩٥٥م، وحظا باستقبال حافل من قبل الحكومة السوفيتية، وأعلن الزعماء السوفيت عن رغبتهم في توطيد أواصر الصداقة بين البلدين، فوقع نهرو وبولجانين بيانا رسميا مشتركا يدعو إلى تقوية العلاقات بين البلدين في المجالات الاقتصادية، والعلمية، والثقافية[2]، وخلال تلك الزيارة ناقش الطرفان مبادئ البانشيشلا، وأوصى الروس بإدخال إضافة على المبدأ الثالث الخاص بعدم التدخل في الشئون الداخلية لكل دولة، بإضافة عبارة «لأي من الأسباب السياسية والاقتصادية والأيديولوجية»[3].

بالمثل وجه نهرو الدعوة للزعيمين السوفيتيين بولجانين وخرتشوف لزيارة الهند أثناء وجوده في موسكو، وفي نوفمبر ١٩٥٥م قام الزعيمان بزيارة للهند وبورما وأفغانستان، وأثناء تلك الزيارة أكد القادة السوفيت أن مبدأ التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة هو القاعدة الأساسية للسياسة السوفيتية، وأن مسألة النظام الداخلي لأي قطر من الأقطار هي مسألة تخص شعوبه وهي التي تحددها، وأن الاتحاد السوفيتي لا يتدخل في شئون الأقطار الأخرى، وأكد خرتشوف في خطابه في البرلمان الهندي أن الروس يناضلون من أجل السلام وتقدم

---

(1) *F.R.U.S.*, 1955-1957, Vol. VIII, *South Asia,* Document 155, 611.91/1-2056, Secret, *Instruction From the Department of State to the Diplomatic and Consular Offices in India,* Washington, 20 January 1956.

(2) *Ibid,* 1955-1957, Vol. VIII, *South Asia,* Document 155, 611.91/1-2056, Secret, *Instruction From the Department of State to the Diplomatic and Consular Offices in India,* Washington, 20 January 1956.

(3) RUSSELL H FIFIELD., *op. cit.,* p.508.

العلاقات السلمية بين كل البلاد، كما أوضح في خطابه في مدينة بانجلور Bangalore الهندية أن الروس يرغبون في أن تعيش كل البلاد في صداقة بدلا من الشجار ومهاجمة كل منها للأخرى في الصحافة وبالكلمة، كذلك أشار خرتشوف في خطابه في البنجاب Punjab في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩٥٥م أن الروس يقومون بجهود واضحة من أجل إقرار السلام، ويبحثون عن أصدقاء دون اعتبار لكون بلادهم صغيرة أو كبيرة، ودون اعتبار لوجهات نظرهم السياسية، أو لجنسهم أو لعقائدهم الدينية، وأن الدافع الذي يحركهم لذلك هو الرغبة في التقدم بالسلام(١)، ثم أصدر الجانبان الروسي والهندي بيانات مشتركة امتدحا فيها المبادئ الخمسة للتعايش السلمي، وأعلنت روسيا انضمامها رسميا لميثاق البانشيشلا، وأنه يحكم علاقاتها مع الهند والبلاد الأخرى الموقعة عليه(٢).

لعل تجاوب الشعب الهندي مع خطابات خرتشوف، واستقباله للوفد الروسي بالترحاب والحماس الشديدين، وإظهاره الميل إلى جانب الروس، ثم الإقرار الرسمي الروسي بميثاق البانشيشلا أخرج الصحافة الإنجليزية والأمريكية عن حدود الاتزان، فوصفت الحكومة الهندية بالخيانة والجشع، ونعتتها بأنها حكومة غير بصيرة بالنتائج التي يمكن أن تترتب على الحملة التي يشنها الزعماء الروس للترويج لمبادئهم، وأنها فتحت الطريق أمام تسرب الشيوعية إلى بلادها، وأنه لن يمضي وقت طويل حتى يفلت زمام الأمر من يدها تجاه موجة الشيوعية النامية في بلادها(٣)، واحتجت السفارة الأمريكية في نيودلهي على هذه الزيارة، وأوضحت

---

(١) عبد المنعم الغزالي، التعايش السلمي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر، ١٩٥٦م، ص ص ٨٠-٨٣.

(2) RUSSELL H FIFIELD., *op. cit.*, p.508.

(٣) وثائق وزارة الخارجية، الأرشيف السري الجديد، محفظة ٢٠١، ملف ١، تقرير سفارة مصر بدلهي، بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٥٥م.

للحكومة الهندية الآثار السلبية المترتبة عليها ، وحذرت المسئولين الهنود من منح الروس فرصة لتأسيس شعبية كبيرة بين الهنود[1] ثم عمل الإنجليز والأمريكيون في الهند على إثارة مخاوف الرأسماليين الهنود تجاه سياسة الحكومة الهندية القائمة على التقرب من الروس ، وتمكين زعمائهم من الاتصال الواسع المدى بالشعب الهندي[2] .

لقد توترت العلاقات بين الولايات المتحدة والهند بشكل كبير ؛ نظرا لتلك الزيارة وما ترتب عليها من أحداث ، حتى أصدر وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوستر دالاس John Foster Dulles (١٩٥٣-١٩٥٩م) تصريحا نكاية في الحكومة الهندية بشأن مشكلة مستعمرة «جوا» Goa البرتغالية أكد فيه أنها جزء لا يتجزأ من البرتغال ، مما دفع الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة إلى مهاجمة دالاس والمطالبة باستقالته ، كذلك أظهر السفير الأمريكي بنيودلهي جون شيرمان كوبر John Sherman Cooper (فبراير ١٩٥٥ - إبريل ١٩٥٦م) معارضته لسياسة وزير خارجيته في هذا الموضوع[3] ، ولكن رغم ذلك فقد كشف هذا التصريح عن أن الحكومة الأمريكية ليست راضية بشكل عام عن السياسة الخارجية الهندية ، وأنها تعتبر تقربها من الكتلة الشيوعية ومناداتها بمبادئ البانشيشلا من الأمور غير المرغوب فيها[4] .

---

(1) F.R.U.S., 1955-1957, Vol. VIII, *South Asia*, Document 154, 033.6191/11-2555, *Telegram from the Embassy in India to the Department of State*, New Delhi, 25 November 1955.

(٢) وثائق وزارة الخارجية ، الأرشيف السري الجديد ، محفظة ٢٠١، ملف ١، تقرير سفارة مصر بدلهي ، بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٥٥م.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر ، تقرير سفارة مصر بدلهي ، بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٥٦م.

انتقل الروس إلى زيارة بورما بعد زيارتهم للهند، وأكدا خلال تلك الزيارة على التزامهم بمبادئ البانشيشلا، وبناء على فكرة التعايش السلمي أعربوا عن استعدادهم لتقديم المساعدات لبورما؛ لتمكنهم من بناء اقتصاد وطني مستقل، مما أثار غضب الأمريكيين الذين وصفوا تلك الزيارة بأنها «اختراق سوفيتي لبورما»، وفي أعقاب تلك الزيارة ناقش الساسة الأمريكيون فكرة تقديم المساعدات الاقتصادية لبورما لإحباط مساعي الروس لدعم النفوذ الشيوعي فيها[١]، ثم قام الروس بزيارة لأفغانستان أصدر بعدها رئيس وزرائها محمد داوود خان (١٩٥٣-١٩٦٣م) بيانا رسميا في التاسع عشر من ديسمبر ١٩٥٥م أعلن فيه انضمامه لميثاق البانشيشلا واعترافه بمبادئه الخمسة بالشكل الذي أقرت به في مؤتمر باندونج[٢].

الراجح أن الروس حققوا نجاحا ملحوظا خلال زيارتهم السابقة للهند وبورما وأفغانستان، وكانت ردود الأفعال الأمريكية، ومحاولتهم لإحباط مساعي الروس في مد النفوذ الشيوعي في آسيا، واعتراضهم علي ميثاق البانشيشلا عاملا دفع الروس للترويج له بشكل أكبر، فخلال الاحتفال بالذكرى الأربعين للثورة البلشفية في السادس من نوفمبر ١٩٥٧م أكد خرتشوف في كلمته أن الشيوعية والرأسمالية يعيشون على كوكب واحد وأن تعايشهم يعد حتمية تاريخية، وأن التعايش السلمي لابد أن يكون بناؤه على أساس الحياة بلا حرب وعلى أساس التنافس السلمي[٣]، كما صدر في الشهر نفسه بيان من الأحزاب الشيوعية في

(1) F.R.U.S., 1955-1957, Vol. XXII, *Southeast Asia,* Document 21, 661.90B/12-2755, *Telegram From the Department of State to the Embassy in Burma,* Washington, 27 December 1955.

(2) RUSSELL H FIFIELD., *op. cit.,* p.508.

(3) Report by N.S. Khrushchev to the Jubilee Session of the Supreme Soviet of the U.S.S.R., Nov.6, 1957, *New Times,* No. 46, (Nov. 14, 1957), in RUSSELL H FIFIELD., *op. cit.,* p.508.

العالم أكدوا فيه على أهمية المبادئ الخمسة للتعايش السلمي[١].

أعلنت بولندا انضمامها لميثاق البانشيشلا ورفضها لفكرة اللجوء إلى الحروب لحل النزاعات القائمة بين الدول[٢]، ويمكن تفسير ذلك في ضوء العلاقة الوطيدة التي ربطت بولندا بالاتحاد السوفيتي ؛ ففي أعقاب الحرب العالمية الثانية تمكنت القوات السوفيتية من هزيمة القوات الألمانية المحتلة لبولندا، وبسطت السيطرة السوفيتية على البلاد عام ١٩٤٥م، وبدأ الروس بناء الدولة البولندية الجديدة على أسس شيوعية، وفي عام ١٩٥٢م أعلنت بولندا كجمهورية شعبية، وأصبحت جزءا من المعسكر الشيوعي[٣]، كما أعلنت السويد التزامها بمبادئ البانشيشلا ؛ بسبب تحسن علاقتها بالاتحاد السوفيتي[٤]، مما يدل على أن مبادئ ميثاق البانشيشلا كانت من أكثر المبادئ المحتفى بها خلال تلك الفترة.

في الحادي عشر من ديسمبر ١٩٥٧م تقدمت الهند ويوغوسلافيا والسويد بمبادرة أطلقوا عليها «مبادرة التعايش السلمي»، أكدوا فيها على أهمية تقوية العلاقات بين الدول وتأكيد فكرة التعايش السلمي بينها، ورغم أن المبادرة اعتمدت بالإجماع من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة[٥]، إلا أن ممثل الولايات المتحدة الأمريكية في الجمعية العامة للأمم المتحدة هنري كابوت لودج Henry

---

(1) *Ibid.*, p.507.

(2) F.R.U.S., 1961-1963, Vol. XXII, *Northeast Asia,* Document 52, 611.93/8-1661, *Telegram From the Embassy in Poland to the Department of State,* Warsaw, 16 August 1961.

(3) (Polish) Polska. *Historia,* PWN Encyklopedia, www.encyklopedia.pwn, (28 September 2016).

(4) F.R.U.S., 1955-1957, Vol. XXVII, *Western Europe and Canada,* Document 175, 033.5861/4-456, *Telegram From the Embassy in the Soviet Union to the Department of State,* Moscow, 4 April 1956.

(5) Ministry of External Affairs, *Government of India,* External Publicity Division, «Panchsheel», pp.2-3

Cabot Lodge رفض استخدام تعبير «التعايش السلمي»، واستخدم بدلا منه العبارتين التاليتين: «العلاقات السلمية والمتسامحة»، و«العلاقات الودية القائمة على التعاون بين الدول»[1] فقد رفضت الولايات المتحدة هذا المصطلح لارتباطه - في وجهة نظرها - بالكتلة الشيوعية.

ثالثًا: تقييم أثر ميثاق البانشيشلا في الحفاظ على التعايش السلمي في آسيا

على الرغم من مبادرة الدول بالانضمام إلى ميثاق البانشيشلا، وما اكتسبه الميثاق من زخم على صعيد العلاقات الدولية، إلا أنه منذ عام ١٩٥٩م لاحت بوادر انهيار الميثاق في الأفق، وارتبط ذلك بعاملين كلاهما مرتبط بالآخر وهما اندلاع الثورة في التبت في مارس ١٩٥٩م، وما ترتب عليها من تفاقم مشكلات الحدود بين الهند والصين.

١) ثورة التبت مارس ١٩٥٩م

اشتعلت الثورة في لاسا عاصمة التبت في العاشر من مارس ١٩٥٩م ضد الشيوعيين الصينيين[2]، وتصاعدت أحداثها بشكل كبير واتسع نطاقها ليشمل

---

(1) Russell H Fifield., *op. cit.*, p.510.

(٢) حرصت الصين بعد أن تم لها احتلال التبت عام ١٩٥١م على تحويل الإقليم إلى إقليم صيني، فعملت على توطين خمسمائة ألف صينيا في التبت في الفترة من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٦م، كما افتتحت في مايو ١٩٥٦م خطا جويا يربط بين بكين ولاسا، كما حولت صادرات التبت إلى الأسواق الصينية، رغم أن هذه التجارة كانت تنقل معظمها إلى الهند خلال الحكم البريطاني للهند، ولكن المشروعات الصينية التي تهدف إلى استيعاب التبت داخل الإطار الشيوعي الصيني قد تعثرت فترة من الوقت بسبب قيام الانتفاضات في التبت التي عرفت بـ«حرب العصابات التبتية» التي بدأت خلال عامي ١٩٥٧-١٩٥٨م في منطقة شامدو في شرق التبت، ثم انتشرت غربا وجنوبا حتى وصلت قرب ممرات الهيمالايا، وتحولت في مارس ١٩٥٩م إلى ثورة وصلت إلى العاصمة لاسا نفسها. انظر: محمد محمد سطيحة، «حرب الحدود الهندية الصينية»، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد العاشر، أكتوبر ١٩٦٧م، ٨٩.

كل التبت خلال بضعة أيام ، وحاول جيش التحرير الشعبي الصيني التصدي لها ، ولكنه فشل في بداية الأمر ، فأرسلت الحكومة الصينية مزيدا من قوات الجيش بالإضافة إلى قوات المدفعية ، وقاموا بقمع الثورة بمنتهى الصرامة والشدة ، وفي الثامن والعشرين من مارس ١٩٥٩م أعلن شواين لاي إلغاء حكومة التبت المحلية التي يتزعمها الدالاي لاما تينزن غياتسو ، ووضع مقدرات السلطة في يد لجنة يسيطر عليها الصينيون ، أطلق عليها اسم «اللجنة التحضيرية للحكم الذاتي للتبت»[١] ، وأخذت المدفعية الصينية ترمي بقذائفها قصر الدالاي لاما تينزن غياتسو ففر إلى الهند في الحادي والثلاثين من مارس ١٩٥٩م[٢] ، ثم تبعه ما يقرب من سبعة آلاف لاجئ نزحوا إلى شمال الهند ، وقد أحسن نهرو استقباله هو وأتباعه ، وسمح لهم بالإقامة في دارامسالا[٣] Dharamshala التي أسس فيها تينزن غياتسو حكومة التبت في المنفى[٤] .

قد أثار ذلك التصرف غضب الصينيين ، وعدوه خرقا لأحد مبادئ البانشيشلا وهو عدم تدخل الدول في شئون الدول الأخرى ، فباعتراف الهند في الميثاق ذاته أن التبت منطقة تابعة للحكم الصيني ، ويمكن تفسير موقف نهرو في ضوء اضطرابه وقلقه الشديد ؛ نظرا لما قام به جيش التحرير الشعبي الصيني من أعمال عنيفة تجاه ثوار التبت ، واستخدامه منتهى الشدة والعنف في القضاء على ثورتهم ، وخلعهم للدالاي لاما تينزن غياتسو ، وسيطرتهم الكاملة على التبت ، في الوقت الذي تزايدت فيه الاعتداءات الصينية على الحدود الهندية .

---

(1) CHEN JIAN, «The Tibetan Rebellion of 1959 and China's Changing Relations with India and the Soviet Union», *Journal of Cold War Studies*, Vol. 8, No. 3, Summer 2006, pp.49-50.

(2) TSERING SHAKYA, *op. cit.*, p.191.

(٣) تقع دارامسالا في ولاية هيمشال براديش Himachal Pradesh في شمال الهند .

(4) CHEN JIAN, «The Tibetan Rebellion of 1959 and China's Changing Relations with India and the Soviet Union», p.80.

٢) تفاقم مشكلات الحدود بين الهند والصين

تأجج الخلاف بين الهند والصين بشأن ترسيم خط الحدود بينهما في عام ١٩٥٩م بعد أحداث الثورة في التبت، ومساندة الهند لسكانها، فقد أعلنت الصين صراحة رفضها الاعتراف «بخط مكماهون» McMahon Line الذي جعلته بريطانيا الحد الفاصل بين حدود الهند والتبت في عام ١٩١٤م أثناء فترة احتلالها للهند، وتنازعت الدولتان على ملكية منطقتين واقعتين على الحدود المشتركة بينهما في إقليم الهيمالايا، أولهما منطقة الحدود الشمالية الشرقية التابعة لولاية آسام الهندية، وثانيهما إقليم أكساي تشين Aksai Chin الواقع في منطقة الحدود الشمالية الغربية في ولاية لداخ، وخلال الفترة من سبتمبر ١٩٥٩م حتى مارس ١٩٦٠ تم تبادل ستة وثلاثون مذكرة رسمية، وثمانية خطابات بين بكين ونيودلهي بشأن الخلاف بين الدولتين حول الحدود[١].

على الرغم من وصول المعلومات إلى الحكومة الهندية منذ عام ١٩٥٢م تشير إلى خطر الزحف الصيني على مناطق الحدود، وأن الصين قد قامت ببناء طريق سريع لربط منطقة التبت بإقليم سينجيانغ Sengjiang الصيني يمر عبر الأراضي الهندية في منطقة أكساي تشين[٢]، إلا أن نهرو لم يحتج رسميا إلا في أغسطس عام ١٩٥٩م، ويرجع ذلك إلى عاملين:

---

(1) DAWA NORBU, op.cit., p. 1086.

(٢) أرسل ماليك Mallik الملحق العسكري الهندي في بكين إلى مقر قيادة الجيش الهندي في نيودلهي، وإلى وزارة الخارجية الهندية في نوفمبر ١٩٥٢م خطابات أشار فيها إلى خطر النشاط الصيني على الحدود بين الهند والتبت، ولاسيما في منطقة أكساي تشين، وهو ما أكده س. خيرا S. Khera أمين مجلس الوزراء الهندي (ابريل ١٩٦٢ - نوفمبر ١٩٦٤م) حيث أكد في تقريره عام ١٩٦٢م أن المعلومات حول نشاط الصينيين في أكساي تشين بدأت تأتي للحكومة قبل عام ١٩٥٢م. انظر:

- CLAUDE ARPI, «The Panchsheel Agreement», *Book Excerpt: Tibet - The Lost Frontier*, 5 August 2015, indiandefencereview.com, (1 March 2016).

أولاً : اطمئنان نهرو إلى تصريحات الساسة الصينيين وعلى رأسهم رئيس وزراء الصين شواين لاي الذي أكد عام ١٩٥٦م أن الصين ليست لديها أية مطالب بشأن الأراضي التي تسيطر عليها الهند على الحدود بين البلدين ، ولكن هذا الأمر تغير كثيرا بعد الزحف التدريجي للقوات الصينية على المناطق الحدودية ، وسيطرتهم العسكرية على المناطق الخالية من القوات الهندية ، وإحكام قبضتهم على إقليم أكساي تشين ، وقتل تسعة جنود من الحرس الهندي وأسر عشرة آخرين ، وتوغلها بعمق خمسين ميلا داخل الأراضي الهندية[١] ، فكان لزاما على نهرو أن يتخذ موقفا حاسما من الاعتداءات الصينية .

ثانيًا : النشاط الصيني في بورما ونيبال على الحدود الهندية ، الأمر الذي أثار شكوك الهند[٢] .

اعتبرت الهند اعتداء الصين على الحدود الهندية والسيطرة على أكساي تشين ، خرقا لأحد مبادئ ميثاق البانشيشلا الذي أكدتا فيه على عدم اعتداء أي منهما على الأخرى ، وحاول الاتحاد السوفيتي التدخل لحل الخلاف القائم بين البلدين سلما ، فدخلت الدولتان في مفاوضات في إبريل ١٩٦٠م ، لكنها انتهت بالفشل ، وقبل ستة شهور من انقضاء مدة ميثاق البانشيشلا رغبت الصين في التباحث مع الهند لمد مدة الميثاق أو التوصل إلى اتفاق على غراره ؛ يخفف من حدة التوتر بين البلدين ، ويفتح طريقا جديدا للتعايش السلمي بينهما[٣] ، لكن نهرو أصر على عدم الدخول في مفاوضات بشأن الحدود حتى تنسحب القوات الصينية من كافة الأراضي الهندية ، ولعل ما دفع الصين إلى عرض مد مدة الميثاق

---

(1) History Division, Ministry of Defence, Government of India, History of Conflict With China, 1962, Chief Editor, S.N. Prasad and D. Phil, New Delhi: 1992, p.XX.

(2) DAWA NORBU, *op. cit.*, p.1088.

(3) *Ibid.*, p.1088.

هو خوفها من توطد العلاقة خلال تلك الفترة بين الهند والولايات المتحدة الأمريكية التي تابعت تطورات الموقف عن كثب في الأراضي المتنازع عليها عقب العدوان الصيني على الحدود الهندية في ١٩٥٩م ، وأعلنت تعاطفها مع الموقف الهندي ، وقلقها بشأن التوسع الشيوعي في جنوب وجنوب شرق آسيا[١] .

بمجرد انتهاء مدة ميثاق البانشيشلا وفي يوليو ١٩٦٢م بدأت الصين تدفع بقواتها إلى المناطق الحدودية مع الهند ، وفي العشرين من أكتوبر من نفس العام اندلعت الحرب بين الدولتين مما أسفر عن تقهقر القوات الهندية ، واحتلال القوات الصينية لمساحات واسعة من الأراضي الهندية ، وكان الأمر جللا حتى أن نهرو أسرع في طلب معونة عسكرية من الولايات المتحدة الأمريكية[٢] ؛ فقد أدرك نهرو ومستشاروه أنه لا سبيل أمامهم للحصول على أسلحة حديثة لمواجهة الغزو الصيني إلا من الولايات المتحدة ؛ نظرا للموقف السوفيتي المحايد من هذا النزاع ، وبالفعل استجابت الولايات المتحدة للهند ، وبادرت بإرسال معدات عسكرية لتعزيز المقاومة الهندية على الحدود ، كما قدمت للهند معلومات استخباراتية عن القوات الصينية ، ودخلت الإدارة الأمريكية في مباحثات مع إنجلترا وفرنسا وكندا وتركيا ؛ للتنسيق معا لسد احتياجات الهند العسكرية[٣] ، كذلك صدرت الأوامر بتحرك بعض قطع الأسطول الأمريكي إلى خليج البنغال بالقرب من مناطق القتال مع الصين[٤] .

---

(1) F.R.U.S., 1961-1963, Vol. XIX, *South Asia,* Document 60, 11/21/61-11/31/61, Secret, *Memorandum of Conversation,* Washington, 7 November 1961.

(2) *Ibid,* 1961-1963, Vol. XIX, *South Asia,* Document 180, 791.56/10-2562, Secret, *Telegram From the Embassy in India to the Department of State,* New Delhi, 25 October 1962.

(3) *Ibid,* 1961-1963, Vol. XIX, *South Asia,* Document 190, 11/3/62-11/4/62, Secret, *Memorandum From the President's Deputy Special Assistant for National Security Affairs (Kaysen) to President Kennedy,* Washington, 3 November 1962.

(4) *Ibid,* 1961-1963, Vol. XIX, *South Asia,* Document 206, 691.93/11-2062. Top

خافت الصين من تطور الموقف وتدخل الولايات المتحدة عسكريا لمساندة الهند ، فأعلنت في الحادي والعشرين من نوفمبر ١٩٦٢م وقف إطلاق النار من جانب واحد على طول جبهة الهيمالايا ، وانسحاب قواتها من المناطق التي استولت عليها من الأراضي الهندية ، واستعدادها للدخول في مفاوضات مع الهند لحل النزاع[1] ، وهكذا أنقذ التدخل الأمريكي الهند من المزيد من الخسائر في صراعها مع الصين ، لكن رغم ذلك شكلت الحرب الهندية الصينية ضربة قاسمة لميثاق البانشيشلا ، ولمبادئه الخمسة للتعايش السلمي ، وتحطمت الثقة التي ربطت بين الهند والصين ، وتحول مبدأ «الإخاء الهندي الصيني» الذي حكم علاقة البلدين خلال الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن العشرين إلى مبدأ (Hindi-Chini Bye-Bye)[2] للدلالة على تحول العلاقات بين البلدين من الأخوة إلى العداء الذي استمر حتى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين .

في عام ١٩٨٨م قام رئيس الوزراء الهندي راجيف غاندي Rajiv Gandhi (١٩٨٤-١٩٨٩م) بزيارة إلى الصين ، وصفها بعض المؤرخين مثل فيشاكا شارما Sharma Vishakha وجلديال Ghildial بأنها علامة تاريخية ومعلما بارزا في تاريخ العلاقات بين البلدين[3] ، وقدم راجيف غاندي خلال الزيارة اقتراحا لإعادة النظر في ميثاق البانشيشلا في إطار ثنائي ، وأكد في خطاب ألقاه في جامعة تشنجهوا Qinghua في الحادي والعشرين من ديسمبر ١٩٨٨م في بكين على أن

Secret, *Telegram From the Department of State to the Embassy in India*, Washington, 20 November 1962.

(1) *Ibid.*

(2) Sharma, Vishakha, and Ghildial A. K., «Relevancy of Five Principles of Peaceful Coexistence (Panchsheel) in Post Cold War Era», *Asian Journal of Multidisciplinary Studies*, Volume 2, Issue 5, (May 2014), p.61.

(3) *Ibid.*, p.61.

المبادئ الخمسة للتعايش السلمي توفر أفضل السبل للتعايش بين الدولتين(١).

لهذا دخلت الصين والهند في اتفاقيات مهمة من أجل تسوية مشكلات الحدود بينهما وفقا للمبادئ الخمسة للتعايش السلمي، وفي الثالث من سبتمبر ١٩٩٣م وقع الطرفان في بكين اتفاقا على صيانة السلام والهدوء على طول خط السيطرة الفعلية في المناطق الحدودية بين الهند والصين، وفي التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٩٦م وقعت الدولتان في نيودلهي اتفاقا على تدابير بناء الثقة في الميدان العسكري على طول خط السيطرة الفعلية في الهند والصين والمناطق الحدودية (٢)، وفي اجتماع حاشد عقد في بكين في الثامن والعشرين من يونيو ٢٠٠٤م للاحتفال بالذكرى الخمسين لإعلان المبادئ الخمسة للتعايش السلمي أكد رئيس وزراء الصين ون جيا باو Wen Jiabo (٢٠٠٣-٢٠١٣م) أن البانشيشلا تخدم المصالح الأساسية والحيوية للهند والصين، وأنه ساهمت في السلام والاستقرار والتنمية في آسيا والعالم، وأعرب عن أمله في إحياء الميثاق حتى تعيش الدولتان في سلام وصداقة إلى الأبد(٣).

يتضح مما سبق أن ميثاق البانشيشلا بمبادئه الخمسة كان له أثر واضح في دعم مفهوم التعايش السلمي الروسي، وأن جُل الدول التي أقبلت على الانضمام للميثاق عُرفت بميولها وتوجهاتها الشيوعية، أو على أقل تقدير كان يربطها بالاتحاد السوفيتي علاقات طيبة؛ ولهذا وقفت الولايات المتحدة الأمريكية بالمرصاد لكل محاولة لدعم ونشر ميثاق البانشيشلا، وحاولت إحباط مساعي الصين الشيوعية

---

(1) SANJEEV KUMAR, *op. cit.*, p.2.

(٢) لبنود الاتفاقيتين انظر:

- SWARAN SINGH, *op. cit.*, pp.606-616.

(3) JOHN CHERIAN, «Back to basics: India and China celebrate the 50th anniversary of the signing of the Panchsheel agreement», *India's National Magazine*, Vol. 21, Issue 15, (Jul. 2004), www.frontline.in, (23 February 2016).

لنشره واستقطاب مزيد من الدول للانضمام إليه، وقد سنحت لها تلك الفرصة حينما انقلبت حالة الأخوة الهندية الصينية إلى عداء في أعقاب الحرب التي اشتعلت بين الجانبين بسبب مشكلات الحدود عام ١٩٦٢م، وقد أدركت الجارتان الأسيويتان أنه لا سبيل لحل المشكلات القائمة بين البلدين دون إحياء مبادئ البانشيشلا وهو ما عبر عنه الساسة الهنود والصينيون في أكثر من مناسبة في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين.

المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨)، ٣٥١ - ٣٧٠

الأصلُ الفِينيقي/ العَرَبي للألبان: من الأُسطورَة إلى الأدلَجَة

محمد م. الأرناؤوط*

مُلَخَّص

يقوم هذا البحث على التمييز بين الأسطورة myth، التي تتعلق بالتاريخ القديم لشعب ما وتتميز بأحداث خارقة تتدخل فيها الإلهة وقوى الطبيعة، وبين الأسطورة legend التي تروي قصة شخصية ليست حقيقية أو تاريخية بالضرورة ولكنها تصبح كذلك في التراث الشعبي وتوظف لهدف ما في هذا البحث لدينا نموذجان متداخلان من الأولى والثانية تتعلّقان بأصل أحد الشعوب الأوربية (الألبان) والتوظيف الإديولوجي لذلك تقرّبا أو تباعدا من ذلك الأصل المفترض بناء على المتغيرات السياسية أو صعود قوى جديدة في المجتمع.

كلمات مفتاحية: قُدمس، جبلة بن الأيهم، الأصل العربي للألبان، التوظيف الأديولوجي.

This article deals with a myth from Greek mythology about the Phoenician origin of Illirians, ancestors of the Albanians, and a legend from Islamic tradition about the Arab origin of Albanians,

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان ـ الأردن.

relating with ideologization of this origin for political purpose in different times.

Ky words: Camus, Djabla Ibn al-Ayham, King Farouk, Ismail Kadare.

مقدمة

ترتبط أصول الشعوب في مرحلة ما بالأساطير myths والشخصيات الأسطورية legends التي تحاول بشكل بدائي أو أوّلي توضيح الموطن الأصلي للشعب وعلاقته مع الشعوب الأخرى . ولكن مع تقدّم العلوم اللغوية والأركيولوجية والتاريخية أمكن التوصل إلى الكشف عن أصول بعض الشعوب التي صاحبتها الأساطير والحكايات الشعبية كما هو الأمر مع الغجر ، دون أن يمنع هذا تشكّل أساطير أو اديولوجيات جديدة مبنية عليها[١]. في مرحلة لاحقة قد يصبح موضوع الأصول هدفا للأدلجة ، حيث أن الوصول إلى السلطة كان يفترض أحيانا إدّعاء نسب أو نفي نسب آخر ، كما كان الأمر مع المماليك الشراكسة في مصر الذين كان يناسبهم إدّعاء الأصل العربي لكي يكتسب وجودهم في السلطة مشروعية في أعين المصريين المسلمين[٢] .

---

(١) لدينا في الحكايات الشعبية الغجرية ما يشير إلى وجود قديم للغجر في القدس واشتغالهم بالمهنة الشائعة عنهم (الحدادة) وتعاطفهم مع السيد المسيح ورفضهم صبّ المسامير المطلوبة لصلبه مما أدى إلى تعرض ثلاثة حدادين منهم للقتل ، مارلين كليمان : حكايات غجرية ، ترجمة زياد العودة ، دمشق ـ وزارة الثقافة ، ١٩٨٥م ، ٣٠ـ٣٥. وعلى الرغم من أن الدراسات الحديثة أثبتت الموطن الأصلي للغجر (الهند) وأن وجودهم في بلاد الشام ومصر كان ضمن الحركة الكبرى لهم باتجاه البلقان ـ أوربا إلا أنه تشكلت هوية جديدة سياسية (مصرية) للغجر في دول غرب البلقان (مكدونيا وصربيا وكوسوفو وألبانيا) تقول أنهم من أصل مصري ، وتشكلت بناء على ذلك أحزاب ومنظمات «مصرية» وأصبح لهم نواب في البرلمان : FAZLI STOLLAJ (ed.), *Gjurmëve të identitit egjiptian*, Pejë 2011.

(٢) للمزيد حول ذلك انظر ، محمد ك. الأرناؤوط : «الأصول العربية لبعض الشعوب المسلمة في =

ومن ناحية أخرى تكتسب بعض الشعوب المتجاورة أو المتشابهة في العادات والتقاليد الإعتقاد بوجود أصل مشترك وتبنى عليه الأساطير والروايات الشعبية والأمثال، كما هو الأمر بين الألبان والشركس والأكراد الذين ساد حولهم الاعتقاد بانحدارهم من ثلاثة أخوة كانوا أمراء في بلاد العرب[1] . وفي هذا السياق يبرز اعتقاد مشترك بانحدار الشراكسة والألبان من جبلة بن الأيهم بعد خلافه مع الخليفة عمر بن الخطاب ومغادرته مع جماعته باتجاه بلاد الروم/ بيزنطة، حيث بقي هذا الشعور بالانتساب إلى الغساسنة قويا لدى المماليك الشراكسة في مصر حتى القرن السابع عشر[2] أي حين زارها الرحالة العثماني اوليا جلبي الذي «وثق» أيضا خلال رحلته انحدار الألبان من نسل جبلة بن الأيهم كما سنرى لاحقا.

= أوربا (التاريخ ـ الخيال ـ السياسة) : الشراكسة»، مجلة المنارة ـ جامعة آل البيت، مجلد ٢ عدد ١ (١٩٩٧م)، ٦٥-٨٢.

(١) حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك، القاهرة ١٩٧١م، ٣٠٨.

(٢) وردت رواية انحدار الشراكسة من جبلة بن الأيهم لأول مرة لدى ابن خلدون (توفي ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) الذي كان على علاقة جيدة مع الأمير برقوق المؤسس لـ «دولة الشراكسة» في ١٣٨٢م، التي كانت تعطيه مشروعية جديدة بالمقارنة مع المماليك الأتراك الذين أبعدهم عن السلطنة. وحسب ابن خلدون فإن الغساسنة الذين رحلوا عن بلادهم مع جبلة بن الأيهم «يئسوا من الرجوع لبلادهم» فـ«تحالفوا مع الشراكسة بعد أن نزلوا في جوارهم» و «خالطوهم بالنسب والصهر»: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت ١٩٧١م، ٥: ٤٧٢. وفي عهد السلطان المملوكي الأخير (١٥١١-١٥١٦م) تم تكريس هذه الرواية عن الأصل الغساني للشراكسة في مجالس الغوري، مع تغيير اسم جبلة بن الأيهم إلى «صاركس» حتى ينسجم أكثر مع اسم الشراكسة: عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري ـ صفحة من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري، القاهرة ١٩٤١م، ص ٨٥. ومع انبعاث سلطة المماليك في مصر خلال الحكم العثماني في القرن السابع عشر مع بروز رضوان بك أمير الحج ظهرت رواية جديدة مع رسالة «قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة من قريش» التي سعت إلى إعطاء الشراكسة نسبا أسمى يربطهم بقريش ويعطيهم مشروعية أعلى لأي منصب : P. M. HOLT, «The Exalted lineage of Ridwan Bey», *BSOAS* XXII, 2, London 1959, pp.220-230.

وفيما يتعلق بالألبان تحديدا نجد أنه حتى نهاية القرن السابع عشر، أي حين بدأت الأبحاث اللغوية والتاريخية الحديثة حول أصولهم، لدينا ثلاثة اعتقادات ولّدت روايات شعبية مختلفة:

١ـ انحدار الألبان من أصل فينيقي (من قُدم أو قَدموس ابن ملك صور الذي استقر في غرب البلقان وأنجب إلير أو إليريوس) أو من أصل مشترك مع الفينيقيين حيث كانوا يعيشون معا على شواطىء البحر الأحمر.

٢ـ انحدار الألبان والأكراد والشركس من ثلاثة أمراء كانوا يعيشون في بلاد العرب ثم تفرقوا نحو الجهات التي ظهرت فيها الشعوب الثلاث (الجزيرة والقوقاز والبلقان).

٣ـ انحدار الألبان من الغساسنة، وبالتحديد من نسل جبلة بن الأيهم بعد استقراره في جنوب ألبانيا الحالية التي دفن فيها برواية لأوليا جلبي الذي شاهد الألبان يزورون ضريحه هناك.

العلاقات التاريخية بين المشرق والبلقان

بفضل الاكتشافات الاركيولوجية في العقود الأخيرة أصبح من الواضح وجود صلات مبكرة بين الفينيقيين والآراميين وبين شعوب البلقان، وبشكل خاص بين الفينيقيين والإليريين أسلاف الألبانيين كما هو شائع، وهو ما انعكس على انتشار عبادة بعض الآلهة الفينيقية بين الإليريين الذين كانوا ينتشرون في غرب البلقان. وفي هذا السياق فقد انتشرت بشكل خاص عبادة الإلهة أتارتاغيس Atartagis، التي تعود في أصلها اللغوي والديني إلى آلهة الخصب عشتار عند الفينيقيين. فقد أصبحت اتارتاغيس إلهة الأرض والخصب والطبيعة والماء والحظ بعد أن انتشرت عبادتها خلال الحكم الروماني باسم «الإلهة السورية» Dea Syria. وقد دلّت المكتشفات الأركيولوجية في ١٩٤٨ و١٩٦٧م على أن مدينة سكوبي Scopi

(سكوبيه الحالية عاصمة جمهورية مكدونيا) كانت مركز عبادة الآلهة أتارتاغيس[١]. وحسب الباحثين في هذا المجال فإنّ عبادة هذه الإلهة انتقلت من المشرق إلى البلقان خلال الحكم المكدوني ـ السلوقي مع التجار والعبيد، وانتشرت أكثر خلال الحكم الروماني لأنّ هذا الدور أصبح يقوم به الجنود الرومان[٢]. ومن مكدونيا امتدت عبادة هذه الإلهة إلى اليونان المجاورة، حيث بني لها هيكل كبير في مدينة إفسس، ومنها امتدت عبادتها إلى صقلية وروما والأجزاء الشمالية من الامبراطورية حيث عرفت هناك بأسماء مختلفة: عشتار Ishtar واستارت Astrate وهيرا Hera الخ[٣].

وخلال العمل في هذا البحث تمّ الإعلان عن اكتشاف أثري مهم في أقصى شرق صربيا قرب الحدود مع رومانيا، بالقرب من بقايا مدينة فيميناتسيوم Viminacium التي كانت عاصمة المقاطعة الرومانية ميزيا العليا Moesia superior في القرن الأول الميلادي وأصبحت تمثل تداخل المثلث الكلتي ـ التراقي ـ الإليري. فقد عثر في هذا الموقع خلال الاستعداد لبناء محطة كهرباء على تعاويذ محفورة في ألواح صغيرة من الذهب والفضة بجانب هياكل عظمية دُفنت قبل ألفي عام تقريبا. وحسب رئيس الفريق الذي توصل إلى هذا الكشف ميومير كوراتش M. Korac فإن «الحروف يونانية ولكن اللغة آرامية، وهو لغز من الشرق الأوسط بالنسبة لنا» وهي تشمل أسماء آلهة آشورية وبابلية ومصرية[٤]. ومع هذا

(1) Naser Ferri, *Mythologia Viva-Metologjia e gjallë,* Prishtinë (Instituti albanologjik) 2012, p.163.

(2) Naser Ferri, «Ancient myths and cults in Western Balkans originaly from Middle East» in Mufaku-Arnaut (ed.), *Arab-Balkan Realations: Past-Present-Future,* Doha-Prishtina (FAIR-Ibn Sina) 2015, p.21.

(3) Ferri, *Methologia Viva,* p.164.

(4) Tanja Rudez, «Otkrice Srpskih arheologa», *Jutarnji list* 15.8.2016.

الاكتشاف يتضح الآن أن الصلات بين المشرق والبلقان استمرت بعد أن انحسرت الفينيقية وأصبحت الآرامية (التي استمدت أبجديتها من الفينيقية وليس من اليونانية) هي اللغة الشائعة في المشرق حتى ظهور المسيحية، التي انتقلت بدورها إلى البلقان لتحدث تغييرا كبيرا في المجال الديني/ الثقافي[١].

الأسطورة

بالاستناد إلى هذه الخلفية يمكن فهم الأسطورة الأولى التي نعرفها لتفسير هذه الصلات المبكّرة بين الفينيقيين وغرب البلقان. وتقول هذه الأسطورة أن قُدم أو قدموس CADMUS ابن ملك صور الفينيقي أغنور استجاب لطلب أبيه للذهاب نحو الغرب للبحث عن أخته أوربا (التي تعني الغرب في الفينيقية) بعد أن خطفها الإله زيوس من شاطىء صور. وبعد أن جال ويأس من العثور عليها اختار مكانا مناسبا في سهل فيوتيا شمال غرب اثينا ليؤسّس فيه مدينة طيبة Thebes بعد أن تزوج من هارمونيا HARMONIA ابنة إله الحرب أريس Ares وإلهة الحب أفروديت Aphrodite التي ولدت له إلير ILIR أو إليريوس ILLYRIUS بعد أن رحل شمالا إلى المنطقة التي سُميت «إليريا» على اسم ابنه الذي أصبح ينتسب له الإليريون Illyrians الذين انتشروا في غرب البلقان. وقد نسب إلى قَدموس الفضل بتحضير المنطقة بعد أن علم السكان هناك أبجديدة جديدة (فينيقية) تتألف من ستة عشر حرفا[٢]. ويبينّ هنا الباحث المعروف والتر بوركت في كتابه المرجعي «ثورة التشرّق

---

(١) انظر تأثير ذلك على الكنيسة الصربية الأرثوذكسية على سبيل المثال، محمد م. الأرناؤوط: دراسات في الصلات العربية البلقانية خلال التاريخ الوسيط والحديث، بيروت - جداول ٢٠١٢م، ٧٥-٨٣.

(2) H. SPENCER ROBINSON-KNOX WILSON, *Myths and Legends of All Nations*, Totowa-New Jersey (Littlefield, Adams & Co.) 1981, pp.98-99; ALEKSANDER STIPCEVIC, *Iliri*, Zagreb 1974, p.19.

ـ تأثير الشرق الأدنى على العصر القديم المبكر» أن الإشارة إلى الفينيقيين في بلاد اليونان القديمة كانت تشمل الممالك الفينيقية (جبيل وصور وصيدا) كما يمكن أن تشمل الفينيقيين والآراميين في شمال سورية، كما أن الأمر لا يتعلق بتعليم قدموس الحروف الجديدة لليونان القدماء (الذين طوروا هذه الأبجدية ونشروها في أوربا) وإنما بانتقال طريقة تعلم القراءة والكتابة في هذه الأبجدية إلى بلاد اليونان[١].

ويبدو أنه مع الفتح العثماني للبلقان منذ منتصف القرن الرابع عشر، الذي امتدّ بالتدريج ليصل إلى الساحل الأدرياتيكي، حيث انتشر الإسلام بشكل خاص بين الألبان أحفاد الإليريين الذين شاركوا لاحقا مع الجيش العثماني في فتح البلاد العربية وأصبحوا ضمن الهيكل الإداري/ العسكري الحاكم هناك، برزت الحاجة إلى «أسلمة» الأسطورة ليحلّ فيها جبلة بن الأيهم العربي محل قُدمس الفينيقي.

وفي الواقع لدينا أولى المعطيات عن الألبان وبلادهم، التي أصبحت تُعرف تحت تأثير الأتراك باسم «بلاد الأرناؤود»[٢] عند المؤرخين العرب في النصف الثاني

---

(1) Walter Burkert, *Orientalizing Revolution - The Eastern Influence on Greek Culture in the early Archaic Age,* translated by M. E. Pender & W. Burkert, Cambridge-Massachusetts (Harvard University Press) 1992, p.92.

(٢) تعرّف الأتراك على ألبانيا والألبان مبكرا نتيجة لتحالفهم مع الامبراطور البيزنطي اندرونيكوس الثالث. فعندما اندلعت الحرب الأهلية في بيزنطة استغل بعض أمراء الألبان هذه الفرصة لتوسيع سيطرتهم عب النواحي المجاورة لهم، ولذلك استعان الامبراطور بأمير آيدين أمور بك لإخضاع هؤلاء الأمراء واستعادة سيطرة بيزنطة على ألبانيا حتى الساحل الأدرياتيكي. ويبدو أن الأتراك أخذوا بالاسم الذي كان يطلق في اليونانية على الألبان (أرفان وأرفانيتاي) وبقي هذا الاسم شائعا عند الأتراك أكثر من قرن، وبالتحديد حتى ١٤٣٢م، حين أصدرت الإدارة العثمانية أول دفتر تحرير لسناجق «اروانيد ايلي» (بلاد اروانيد) الذي يرد فيه أيضا (ص ١) اسم «اروانيه» أو Arvanya لألبانيا على اعتبار أن التركية لا يوجد فيها حرف خاص لصوت v. وفيما بعد طرأ إقلاب لغوي على هذا الاسم فأصبح «ارناوود» ووضعت الهمزة فوق الواو الأولى لاحقا ثم تحولت الدال إلى حرف التاء حينا أو إلى حرف الطاء ليقرأ بشكل مختلف، وأصبحت ألبانيا=

للقرن السادس عشر، أي بعدما أصبح العرب والألبان في دولة واحدة. ومن هؤلاء نجد أن قاضي حلب مصطفى الجنابي (توفي ١٥٩٠م) في تاريخه يعرّفهم بأنهم «جيل من النصارى لهم صبر على الأعمال الشاقة، وجدّ في التحصيل والكسب، ومساكنهم في جبال وعرة وأراض صعبة متاخمة لبلاد بوسنة وبلاد ونديك»[١]. ولكن المعلومة الأهم ترد لاحقا عند المؤرخ الصفاقصي محمود مقديش (١٧٤٢-١٨١٣م) الذي يكرّر ما ورد عند الجنابي بقوله: «صنف من النصارى يصبرون على المحن ويتكلّفون الأعمال الشاقة»، ثم يورد رأيين حول أصلهم: «قيل أصلهم من عرب الشام من بني غسان، ارتحلوا من الشام بعدما فتحها الإسلام فقدموا إلى هذه البلاد فتوطنوا فيها فازدادوا وكثروا» و«قيل هم طائفة من عرب البربر عبروا البحر إلى هذا الصوب مع يعقوب بن منصور الموحّدي فبقوا فيها مدة، ولم يزالوا بها حتى غلب الجهل وتنصّروا»[٢]. وقد أخذ هذه الجملة المؤرخ الحجازي أحمد بن زيني دحلان (١٨١٦-١٨٨٦م) في كتابه «الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية» حين تحدث عن «ذكر الغزو إلى بلاد الصرب والبوسنا والأرناؤوط» فقال إنهم «صنف من النصارى يتصبرون على المحن ويكلفون الأعمال الشاقة قيل أصلهم من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعدما أتى الله بالإسلام فقدموا من الشام وتوطنوا هذه البلاد. وقيل

=تسمى «بلاد أرناؤود» أو «ارناؤوطلق»: للمزيد حول هذا انظر مقالة خليل اينالجيك في «الموسوعة الإسلامية» مع أهم المصادر والمراجع: HALIL INALCIK, «Arnawutluk», *The Encyclopaedia of Islam*, Vol. I, Leiden-Lpndon 1960, pp.651-658.

(١) الجنابي: المنتخب من تاريخ الجنابي، اختصره أحمد بن محمد ابن الملا (توفي ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م)، دراسة وتحقيق رابعه مزهر شاكر، اربد - عمان - مؤسسة حمادة - دار اليازوري ٢٠١٢م، ١٥٦.

(٢) محمود مقديش: نزهة النظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت - دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨م، ٢: ٣٠-٣١.

أصلهم من البربر عبروا البحر من المغرب إلى هذا الصوب ثم غلب عليهم الجهل فتنصّروا»[١] .

وفي غضون ذلك كانت قد راجت في المجال العثماني الرواية الجديدة عن الأصل العربي للألبان التي حلّ فيها جبلة بن الأيهم محل قُدمس بواسطة الرحالة العثماني المعروف أوليا جلبي (١٦١١ أو ١٦١٦-١٦٨٤م) . ففي كتابه «سياحت نامه» يتناول جلبي هذه الرواية عن أصل الألبان في القسم المتعلق بزيارته إلى بلادهم (ج٣) وقبل ذلك في القسم المتعلق بزيارته إلى بلاد الشركس أيضا (ج٢) . فعندما وصل في ١٦٧٠م إلى قلعة/ بلدة دلفينا Devina، في أقصى جنوب ألبانيا الحالية ، في طريقه إلى فلورا Vlora على الساحل الأدرياتيكي اكتشف هناك عالم الألبان المختلف بلغته وعاداته وتقاليده ، ولذلك يتوقف هنا ليورد الرواية التالية عن «أصل الألبان» :

«أولئك ينحدرون من قريش . اشتهر منهم شيخ عشيرة عربي اسمه جبلة بن الأيهم ، الذي فقأ دونما قصد عين أحد البكوات العرب فذهب عند الخليفة عمر وطلب منه تنفيذ العقاب على جبلة بن الأيهم حسبما نصّت الآية القرآنية ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة : ٤٥] . ولخشيته من أن يبقى أعمى فقد رحل جبلة بن الأيهم إلى أنطاكية مع ثلاثين ألف من عشيرته . وبعد أن طلب اللجوء من الحاكم هرقل منحه جبال «جبلة» التي سمّيت كذلك نسبة إليه... وحين عرف (الخليفة) عمر أن جبلة بن الأيهم وجد ملاذا عند هرقل وترك الإسلام أرسل جيشا مؤلفا من أربعين ألف مقاتل بقيادة عمر بن عبد العزيز وخالد بن الوليد وأسود بن مقداد.. وبسبب خشيته من الخليفة عمر لم يستطع

(١) أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، القاهرة ـ المكتبة التجارية ، ٢: ١٣٠.

جبلة بن الأيهم البقاء هناك ، وبعد طول تجوال وصل عند ملك اسبانيا. وعندما قيل له أنه من قريش منحه الجبال الخالية من السكان حوالي دلفينا التي ذكرناها. وبعد عدة أجيال انتشروا (الألبان) في تلك الجبال الحادة وأخذوا يتكلمون لغتهم. ولكي لا يعاقبون بفقأ عيونهم انتشر بينهم القول «عارنبود» (لم يكن عارا). ونظرا لكونهم من قريش فقد دعيت الجبال التي نزلوا فيها كوريلش نسبة إلى قريش»[1] .

وبعد أن تابع جلبي رحلته نحو ألبانيا الوسطى ووصل إلى مدينة إلباسان Elbasan، التي يصفها بأنها «عروس ألبانيا» ، وجد في ضواحيها ضريحا لجبلة بن الأيهم يحرص «كل الألبان» على زيارته «إعتقادا منهم أنه الجدّ الأعلى لهم» . وهنا يعود جلبي ليورد قصة جبلة بن الأيهم بعناصر جديدة ومختلفة عن الرواية الأولى :

«كان جبلة بن الأيهم من قبيلة قريش وأحد أصحاب النبي المقدّس. شارك في غزوات أُحد وتبوك وخيبر وبدر وحنين. شارك في معارك أخرى وكان مقاتلا وزعيما عربيا شجاعا ، وكان يقدم للرسول المقدس رؤوس وألسنة الأسرى .... رحل (من جبلة) بالسفن إلى ملك اسبانيا الذي منحه للإقامة جبال دوكات Dukat وبروغانات Proganat في المناطق الألبانية المجاورة لفلورا ودلفينا ، التي كانت آنذاك تحت حكم ملك اسبانيا . هذه النواحي كانت غير مسكونة ، ولذلك لم يمض وقت طويل على استقراره هناك واختلاطه مع الفرنجة حتى أصبح لسلالته لغتهم الألبانية التي هي خليط التي خليط من الفرنجية والعربية . أما البلد الذي نزلوا فيه بالبداية ، ولا يزالون يقيمون فيه بعد أجيال كثيرة ، فيدعى الآن جبل كوريليش نظرا لأنهم من قريش العربية . ولهذا السبب فإنّ الألبان يفتخرون اليوم بأنهم ينحدرون من قريش ومن صحابة الرسول . ومع أن جبلة بن الأيهم توفي مسلما ودفن حسب وصيته فقد اختلط أحفاده بالزواج مع الفرنجة الكفار وأصبحوا مثلهم

---

(1) ROBERT ELSIE (ed.), *Evlija Celebiu në Shqipëri dhe në viset fqinje: Kosovë.Mal i Zi,Ohër, përkthyer nga Abdurrahim Myftiu,* Tiranë (55) 2008, pp.48-50.

كفارا ... ترك الكثير من الألبان دينهم قبل أن يأتي محمد الفاتح . حين قام العثمانيون فيما بعد بفتح شكودرا وقلعة ايلبصان هذه وفلورا ودلفينا وغيرها عادت كل ألبانيا إلى الإسلام باستثناء سكان كلمندى Kelmemdi والجبل الأسود وكوريليش الذين يستمرون في مقاومتهم لذلك يقولون «نرجو من الله ألا يكون جبلة بن الأيهم قد أصبح مسلما» . ولكن يرد في «التحفة»(١) أنه بالفعل قد اعتنق الإسلام ، وحتى أنه عندما لجأ إلى هرقل لم يشارك في القتال معه ضد صحابة الرسول عندما توجهوا لقتال الكفار بل كان يساعدهم خفية.. ولأجل ذلك يعتقد الألبان أن جبلة بن الأيهم كان من صحابة الرسول وتوفي مسلما»(٢) . ومن ناحية أخرى يضيف اوليا جلبي وهو يجول في جنوب ألبانيا التي استقر فيها جبلة بن الأيهم ملاحظته عن وجود مشاعر علوية بين الألبان هناك تُعلي من شأن الإمام علي بن أبي طالب وتشتم معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ، وذلك نتيجة لانتشار الطريقة البكتاشية(٣) .

ومع المقارنة بين هاتين الروايتين يبدو هنا ما يؤخذ على أوليا جلبي من الميل إلى الخيال وتضخيم بعض الأحداث وحتى إختلاق بعض الوقائع مثل رؤيته للألبان يزورون ضريح جبلة بن الأيهم ، وهو «الضريح» الذي لم نعثر عليه في المصادر السابقة أو المعاصرة أو اللاحقة . وهنا لا يقدّم اوليا جلبي أي تفسير عن وجود ضريح لجبلة بن الأيهم في وسط ألبانيا على حين أنه أوضح في الروايتين أن جبلة بن الأيهم وجماعته نزلوا واستقروا في أقصى جنوب ألبانيا ، في المرتفعات الممتدة بين دلفينا وفلورا. وحتى فيما يتعلق بجبلة بن الأيهم ، الذي يصبح فجأة من صحابة

(١) يقصد جلبي هنا كتاب «تحفة التواريخ» ، ولكن لدينا عدة مؤلفات بهذا العنوان ، ولا نعرف هنا بعد إلى أي واحد يشير .

(2) EVLIJA CELEBIU, pp.123-125.

(3) *Ibid.*, pp.

الرسول ومن المشاركين في أهم المعارك (بدر وأحد وتبوك وخيبر) ، لا يكشف لنا اوليا جلبي عن مصدر معلوماته حول انتقاله من جبلة إلى جنوب ألبانيا واستقراره هناك ، بل يكتفي بربط بعض أسماء المدن (جبلة) أو الجبال (كوريليش التي يعتقد أنها محوّرة من قريش) لتناسب انتقال جبلة ابن الأيهم من الساحل الشامي إلى الساحل الألباني. ومن الواضح هنا أن نقص الخلفية العلمية عند أوليا جلبي جعلته يميل إلى تعميمات سطحية . ففي الوقت الذي بدأت فيه الدراسات الحديثة في أوربا عن اللغة لألبانية للوصول إلى لغز أصل الألبان وعلاقتهم بغيرهم من الشعوب المجاورة نجد أن اوليا جلبي يسارع إلى نسبة الاسم الجديد للألبان (ارنود) إلى تعبير «عارنبود» الفارسي[1] ، ويكتفي بعد أن لاحظ وجود مفردات عربية كثيرة في الألبانية أن يصل إلى تفسير سطحي يقول ببساطة أن «اللغة الألبانية هي خليط بين العربية والفرنجية» ، وهو ما يناسب أكثر روايته عن قدوم جبلة بن الأيهم واستقراره في ألبانيا حيث اختلط أحفاده مع السكان الأصليين وولد من هذا الاختلاط الألبان[2] .

ويبدو أن رواية اوليا جلبي تسربت فيما بعد إلى الألبان في الشمال مع إضافات جديدة . فقد سجّل الدبلوماسي النمساوي يوهان ج. هان J.H.Hahn (١٨١١-١٨٦٩م) ، الذي يعتبر مؤسس الدراسات الألبانية الحديثة ، في كتابه

---

(١) تعرّض المؤرخ العراقي عباس العزاوي إلى هذه الرواية (عارنبود) وإلى الرواية الأخرى (عار أن نعود) التي تفسّر الاسم الجديد للألبان (ارنود) والتي انتشرت في العراق أيضا ورفضهما بشكل قاطع : عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد ١٩٤٩م، ١: ٤٨-٤٩.

(٢) يفوت جلبي هنا أنه كما أن العثمانية تقبّلت آلاف المفردات العربية كذلك كان الأمر مع اللغة الألبانية التي تشبعت بكثير من المفردات العربية مع تحول غالبية الألبان إلى الإسلام خلال الحكم العثماني الطويل الذي استمر أكثر من ٥٠٠ سنة . للمزيد حول «تشرق» اللغة الألبانية انظر ، محمد موفاكو : الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية ، الكويت ـ سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٣م .

«رحلات عبر نواحي نهري درين وفردار» (التي تشمل كوسوفو ومكدونيا الغربية حاليا) رواية بين الألبان تقول أن الألبان كانوا فيما مضى يعيشون قرب البحر الأحمر . وفي أحد الأيام داس زعيم لهم على قفطان ملك عربي ، وهو ما أدى إلى يخرج الاثنان إلى ساحة المبارزة ، حيث تمكن الألباني من أن يفقأ عين الملك العربي . ولكي يتجنب العقاب سارع الألباني إلى الرحيل بعشيرته خلال الليل إلى بلاد الروم(1).

وبالاستناد إلى أوليا جلبي تطورت هذه الرواية عند المؤرخ السوري محمد غالب الطويل في كتابه «تاريخ العلويين» الذي صدر في اللاذقية ١٩٢٤م، حيث لدينا صورة أكثر دقة عن جبلة بن الأيهم باعتباره آخر أمراء غسان الذي اعتنق الإسلام مع قبيلته المستقرة في حوران عام ١٤ للهجرة أي بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام وعن ذهابه للحج في العام اللاحق وعن صفعه لإعرابي داس على إزاره مما تسبب في فقأ عينه ، واعتراضه على حكم الخليفة عمر بن الخطاب بحق الإعرابي في القصاص ومغادرته ليلا لتفادى تنفيذ القصاص باتجاه بلاد الروم. ولكن في بقية الرواية يعتمد الطويل على ما ورد عند اوليا جلبي مع بعض الإضافات التي تناسب واقع الحال في سوريا. فمن ناحية يأخذ الطويل بما أورده جلبي عن توجّه جبلة بن الأيهم إلى مدينة بيلا Pela على شاطىء المتوسط التي أخذت اسمه فأصبحت جبلة . وبالاستناد إلى ذلك يحاول الطويل ربط هذه الرواية المشكوك فيها (استقرار جبلة بن الأيهم في بيلا التي أصبحت تسمى باسمه) بالحاضر بعد أن تشكلت «دولة العلويين» مع الانتداب الفرنسي بالقول إنه «تولّد بغض عند أصحاب جبلة ثم أنهم التحقوا بالحزب المعارض لعمر ، وأصبح سكان الجبال المجاورة لجبلة من أتباع علي سياسيا» ، وهو ما يفسّر «كثرة وجود العلويين في

(1) J. G. HAN, *Putovanje kroz proicivu Dirma i Vardara,* Beograd 1876, p.21.

ضواحي قصبة جبلة»[١]. ولكن في رواية أخرى لديه يظهر أن جبلة ابن الأيهم «هاجر إلى القسطنطينية وهاجر بعض أصحابه إلى بلاد الألبان»، ولما جاء رسول من الخليفة عمر بن الخطاب إلى ملك الروم التقى بجبلة بن الأيهم وحثّه على العودة، ولكن ابن الأيهم قال «عار أن نعود» التي تحوّلت إلى «أرناؤوط» التي تعني الألبان. ولكن الطويل يسارع إلى القول «أن الألبان لم يكونوا عربا وإنما نزح بعض حاشية جبلة إلى بلادهم واختلطوا بهم»، وهو ما يفسّر أيضا وجود العلويين في جنوب ألبانيا باعتبارهم «من نسل أولئك العرب القدماء» على ما ذهب إليه سابقا اوليا جلبي[٢].

وفي الوقت الذي كان فيه الطويل يؤلف كتابه كان الاهتمام بالروايات الشعبية عن أصل الألبان يثير اهتمام الباحثين الصرب في يوغسلافيا، التي تشكلت في ١٩١٨م وضمّت حوالي نصف الألبان بينما ضمّ النصف الأخر ألبانيا المجاورة. فمع أن الدافع إلى الاهتمام بهذه الروايات الشعبية كان سياسيا ليثبت أن هؤلاء الألبان جاؤوا إلى سهل كوسوفو من شمال ألبانيا المجاورة إلا أن هذه الروايات كشفت عن أن الموطن الأصلي للألبان هو الحجاز. وكان أول من اهتم بذاك الباحث الصربي أتاناسيه اوروشفيتش A.UROSEVIC في ١٩٢٩م الذي سجّل عدة روايات من كبار السن في منطقة جيلان (شرق كوسوفو)، حيث يلاحظ أن المشترك في هذه الروايات هو الخليفة عمر بن الخطاب باستثناء واحدة منها. ففي رواية يرد أن عربيا من قبيلة الخليفة عمر بن الخطاب قتل أحدا فخاف من العقاب وهرب إلى أن وصل إلى شمال ألبانيا (شكودرا) حيث أقام وانحدر منه الألبان. وفي الثانية يرد أن عربيا سرق ناقة للخليفة عمر فأمسك به رجال الخليفة وصفعوه

---

(١) محمد غالب الطويل: تاريخ العلويين، ط ٢، بيروت ـ دار الأندلس ١٩٦٦م، ٥٢-٥٣.
(٢) المرجع السابق، ٥٤.

فلم يحتمل الإهانة فغادر بلده واستمر في الترحال إلى أن وصل إلى شكودرا. ولكن اختيار المكان هنا (قلعة شكودرا Shkodra التي نشأت حولها مدينة مزدهرة)، الذي يذكّر باختيار قُدمس والقلعة التي بناها في موقع طيبة التي لاتزال تسمى باسمه، يرتبط حسب اروشفيش بالشريحة المسيحية للألبان مابين الوثنية التي كان رمزها قُدمس ومابين الإسلام الذي أصبح رمزه جبلة بن الأيهم. ففي القرون الوسطى أطلق على قلعة شكودرا اسم الرصافة Rosafa تيمّنا بالرصافة السورية التي استشهد فيها القديسان سرجيوس وباخوس[1].

ولكن الباحث الصربي المعروف غليشا الزوفيتش G.Elezovic في مساهمته المنشورة في ١٩٣١ يؤكد على دور الإسلام في هذا التحول الذي أصبح فيه الألبان على صلة وثيقة بالعرب والبلاد العربية بسبب الخدمة العسكرية والتجارة والدراسة والحج حتى أن مصر واليمن والشام أصبحت أقرب للألبان من روما وفيينا[2]. ومن ناحية أخرى يؤكد الزوفيتش على دور الكتّاب المسلمين في نقل مثل هذه الآراء إلى التراث الشعبي الألباني، ويستشهد بما ورد لدى الرحالة أوليا جلبي الذي أشاع أسطورة الأصل العربي للألبان وارتباط ذلك بشخصية تاريخية معروفة مثل جبلة بن الأيهم[3].

وخلال يوغسلافيا الجمهورية، التي انفتحت أكثر على العالم العربي في إطار حركة عدم الانحياز، استمر الاهتمام بهذا التراث الشعبي الألباني. ففي ١٩٥٦م نشر الباحث الألباني/ اليوغسلافي حسن كلشي H.Kaleshi مقالة مطولة بعنوان «أسطورة شرقية حول أصل الألبان» استعرض فيها ماوصل اليه أروشفيتش

(1) Atanasije Urosovic, *Jedna tradicija o poreklu Albanasa,* Glasnik Skopskog naucnog drustva, knj.V, sv.2, 1929, p.311.

(2) Glisa Elozovic, *Islamske price o arapskom pokretu: Arnauta, Laza, Abaza icerkeza,* Gasnik Skopskog naucnog drustva, knj.XV, sv.9, 1936, p.255.

(3) *Ibid.*, pp.256-257.

والزوفيتش وأضاف رواية ثالثة سجلها في منطقة فوشترن Vuçitern (وسط كوسوفو) من ألباني عجوز. وحسب هذه الرواية فقد أرتكب أحد قادة الخليفة عمر بن الخطاب ذنبا ما مما جعله يقرر الابتعاد عن البلاد مع عشيرته، واستمر في الترحال إلى أن وصل إلى شكودرا فاستقر به المقام هناك. ولما أرسل له الخليفة خبرا لكي يعود ثانية أجابه في العربية «عار أن نعود»، وهي التي تحوّلت مع الزمن إلى اسم للشعب الألباني: أرنؤود أو أرناؤود(١).

وقد استمر الاهتمام بهذا التراث حتى أواخر أيام يوغسلافيا التيتوية حيث نوقشت في جامعة بريشتينا عام ١٩٨٦م رسالة دكتوراة عن العلاقات التاريخية الألبانية ـ العربية، حيث وردت الإشارة إلى رواية أخرى سجلها الباحث عام ١٩٨١م في قرية قرب مدينة بوديفو Podijevo (شمال كوسوفا) من عجوز أمي في الثمانين من عمره. وفي هذه الرواية لا نجد إلا فرقا بسيطا عن الرواية الأخيرة التي سجّلها كلشي في ١٩٥٥م، حين أن يحلّ هنا «أمير عربي» محل «أحد قواد الخليفة» وينتهي به المقام أيضا في شكودرا(٢).

الأدلجة

مع أن أصل الشعوب وتجلياته في التراث المحلي من الموضوعات التي تشغل علماء الانثروبولوجيا والتاريخ والفولكلور إلا أنه يتحول إلى هدف للأدلجة في بعض الأحيان، كما هو الأمر في حالة «الأصل العربي» للألبان التي تبدو في ظرفين تاريخيين مختلفين: الأول في مصر الملكية و الثاني في ألبانيا ما بعد الشيوعية.

---

(1) HASAN KALESHI, *Nji legjende orientale mbi prejardhjen e shqiptareve,* Flaka e vllaznimit, Shkup 2.4.1956, p.11.

(2) MUHAMED MUFAKU, *Shqiptaret ne boten arabe,* Prishtine (Rilindja) 1990, pp.13, 16.

أما فيما يتعلق بمصر فقد برزت بعد تولي الملك فاروق لصلاحياته الدستورية في ١٩٣٧م ، حين ألقى شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي في يوم تنصيب الملك ٣١ تموز ١٩٣٧م بيانا غير مألوف في بلد يحكمه دستور علماني جاء فيه «إن الدستور الوحيد الحقيقي هو القرآن ، والملك الدستوري الحقيقي الوحيد هو الملك الصالح» ، وهو ما روّج منذ ذلك الحين لمشروع الخلافة بتأييد من الأزهر والإخوان المسلمين[1] . وقد كان لهذا السعي لإحياء منصب الخلافة صداه في الدول المعنية ، ومن ذلك تركيا التي كانت قد ألغت الخلافة في ١٩٢٤م وبقيت فيها مظاهر الحنين لها في الأوساط المعارضة لكمال أتاتورك . فعندما قام الملك فاروق في كانون الثاني ١٩٣٩م بالصلاة في الأزهر وهتف له المصلّون «ليحيى خليفة المسلمين» وصلت الرسالة منها إلى تركيا . فقد نشرت الصحافة أن «المقامات التركية العليمة شديدة التحفظ في صدد الأنباء الواردة فيما يتعلق بالملك فاروق والخلافة» ، وهي تبدي مع ذلك تشكيكا في شرعية مثل هذا الخليفة «لأن الخليفة يجب أن يختاره العالم الإسلامي أجمع ، وأن يكون ملكا تام الاستقلال ، وأن يمتّ بصلة النسب إلى آل البيت النبوي»[2] .

ومن هنا فقد وُجد من يوفّق الآن بين انتماء الملك فاروق إلى أسرة محمد علي باشا الألبانية وبين انتمائه إلى العرب أيضا . وحسب مذكرات عادل ثابت المقرب من الملك فاروق فقد كان يقف في خلفية هذا المشروع للخلافة ثلاثة شخصيات

---

(١) عادل ثابت : فاروق الأول الملك الذي غدر به الجميع ، نقله إلى العربية حمد مصطفى غنيم ، ط ٣، القاهرة ـ أخبار اليوم ١٩٨٩م، ٨٨. وانظر للمزيد لطيفة محمد سالم : فاروق من الميلاد إلى الرحيل ، ط ٣، القاهرة ـ دار الشروق ٢٠١٠م، ٥٩٩-٦٢٣؛ أمل فهمي : الملك فاروق والخلافة الإسلامية ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م .

(٢) الملك فاروق الخلافة : أقوال صحيفة تركية ، جريدة «الأهرام» عدد ١٩٥٢٧، القاهرة ١/٢٣/ ١٩٣٩م .

تقاسمت الأدوار: شيخ الأزهر محمد المراغي والسياسي المخضرم علي ماهر باشا والدبلوماسي المخضرم عبد الرحمن عزام باشا الذي كانت له صلاته في الدول العربية والإسلامية[١]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عزام كان قد ذهب إلى البلقان في ١٩١٣م وشبك صلة خاصة مع زعماء الألبان إبان إعلان استقلالهم عن الدولة العثمانية ونال تأييدهم لترشيح الأمير فؤاد (والد الملك فاروق) ملكا على ألبانيا[٢]. وفي هذا السياق، أي بعد تحفظ البعض على نسب الملك فاروق الألباني، نشر عبد الرحمن عزام بعض ذكرياته عن «بلاد الأرناؤوط» في نيسان ١٩٣٩م ركّز فيها على الأصل العربي للألبان الذين ينحدرون من جبلة بن الأيهم[٣]. ومن هنا لم يكن بالصدفة أن يصبح عبد الرحمن عزام لاحقا أول أمين عام للجامعة العربية وأن يستمر في خدمة المشروع الجديد للملك فاروق[٤].

وفيما يتعلق بألبانيا فقد ارتبطت النظرة إلى «الأصل العربي» للألبان بموقف اديولوجي جديد برز مع نهاية الحكم الشيوعي في ١٩٩٢م. وقد ارتبط هذه الموقف بالنزعة الجديدة (الأوربة) التي حملت بعدا اديولوجيا يحمّل الأتراك والعرب والحكم الشيوعي مسؤولية فصل ألبانيا عن محيطها الأوربي.

---

(١) ثابت: فاروق الأول، ٨٩.

(٢) انظر للمزيد حول دوافع رحلة عزام إلى ألبانيا ونتائجها رالف م. خوري: عزام باشا مصري اعتنق القومية العربية ـ سنوات التكوين المبكرة، ترجمة معين الإمام، دمشق ـ المدى ٢٠٠٦م، ٨٦ـ ٩٩؛ عصام الغريب: عبد الرحمن عزام: الإسلام ـ العروبة ـ الوطنية، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ٢٠١١م، ٣٤٣ـ٣٤٨؛ جميل عارف: صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام، ط ١ القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م، ٥٥ـ ٦٩.

(٣) عبد الرحمن عزام: أحفاد جبلة بن الأيهم: قبائل الألبان من أصل عربي، جريدة «الجزيرة» عدد ٧٧٧، دمشق ١٠/٤/١٩٣٩م.

(٤) سالم: فاروق من الميلاد إلى الرحيل، ٦٤٢ـ٦٤٣.

وفي هذا السياق برز الروائي المعروف إسماعيل كاداريه بمواقفه العدائية للأتراك والعرب والحكم الشيوعي، مع أنه كان من نجوم العهد الشيوعي في ألبانيا خلال ١٩٧٠-١٩٩٠م[١]. ففي مقالة نشرها في جريدة «الفيغارو» في ١٩٩٢م كتب أن «الألبان يدخلون في عداد الشعوب التي عانت من الإسلام والشيوعية»، إذ أنهم «خسروا أوربا في القرن الخامس عشر عندما سقطوا تحت السنابك العثمانية»[٢].

وفي هذا السياق أصبحت سياسة ألبانيا خلال حكم الحزب الشيوعي ورئيسه أنور خوجا ١٩٤٥-١٩٨٥م، وخاصة خلال ١٩٦٧-١٩٨٥م، تعتبر منحازة للعرب ومعادية لاسرائيل. ومن ذلك قول أنور خوجا «إن اسرائيل خلقتها الامبريالية والصهيونية العالمية»، حيث أصبح الآن يقارن بما كان يقوله هتلر، أو انتقاد خوجا لاسرائيل على العملية التي قامت بها في لبنان خلال نيسان ١٩٨١م والتي شبّه فيها ممارسات القوات الإسرائيلية مع الفلسطينين بممارسات القوات الصربية مع الشعب الألباني في كوسوفو. وبالاستناد إلى ذلك أصبح النظام الشيوعي السابق في ألبانيا يُتّهم الآن بأنه «كان يأوي الإرهابيين العرب الذين كانوا

---

(١) ولد كادراريه عام ١٩٣٦م في عائلة بكتاشية بمدينة جيروكاسترا (التي تحدث عن العلويين فيها اوليا جلبي) وتخرج من قسم اللغة الألبانية وآدابها في جامعة تيرانا ثم حصل عام ١٩٥٨م على منحة لمتابعة دراسته في معهد مكسيم غوركي في موسكو، ولكنه اضطرا لقطع دراسته في ١٩٦٠م بسبب الخلاف الاديولوجي بين الاتحاد السوفييتي والصين (التي انحازت إليها ألبانيا). عمل في الصحافة أولا إلى أن صدرت روايته الأولى «جنرال الجيش الميت» (١٩٦٣م) التي شهرته في العالم بعد ترجمتها إلى الفرنسية. خلال ١٩٧٠-١٩٨٢م أصبح عضوا في «مجلس الشعب» لدورتين متتاليتين ثم أصبح نائبا لرئيس «الجبهة الديموقراطية» الواجهة السياسية للحزب الشيوعي الألباني. مع بداية المظاهرات المطالبة بالديموقراطية لجأ إلى باريس في ١٩٨٩م، حيث بدأ مسيرة جديدة في الأدب والسياسة وانتخب عام ١٩٩٦م عضوا في الأكاديمية الفرنسية. رُشّح عدة مرات لجائزة نوبل.

(2) ISMAIL KADARE, *Cette Albanie qui frapse al porte del'Europe*, L'Figaro, Paris 19 Mars 1992.

يقومون بأعمال إرهابية ضد إسرائيل»[1]. والمقصود هنا علاقة النظام الألباني السابق بفصائل المقاومة الفلسطينية وتقديم بعض المساعدات لها، بما في ذلك تقديم منح ودورات تدريبية لبعض الشباب الفلسطينيين، وصولا إلى فتح سفارة فلسطينية في تيرانا بعد إعلان استقلال فلسطين في الجزائر خلال ١٩٨٦م.

ومن هنا فقد زار كاداريه اسرائيل ثلاث مرات دون أن يعبّر عن أي اهتمام بوضع الشعب الفلسطيني في «الأراضي المحتلة»، أو حتى بزيارة أية دولة عربية على الرغم من رواياته الكثيرة التي ترجمت إلى العربية. وقد تتوّجت هذه العلاقة مع زيارة اسرائيل في شباط ٢٠١٥م لاستلام «جائزة أورشليم»، التي تُعتبر أعلى جائزة أدبية في اسرائيل تُمنح للأجانب وتفتح الطريق عادة إلى جائزة نوبل. وفي هذه المناسبة أشادت وكالة «اسرائيل ناشيونال نيوز» بألبانيا باعتبارها «إحدى حليفات اسرائيل القلائل في العالم الإسلامي التي لها علاقات دبلوماسية وتجارية مع اسرائيل»، وعندما سألت كاداريه عن التشابه بين الألبان واليهود ركّز كاداريه على «التسامح والصداقة بين الشعبين» وعلى أن التشابه يكمن في «الكفاح لأجل البقاء»[2].

وفي هذا السياق لا يعد من المستغرب أن يتندّر كاداريه على الرواية الشائعة في التراث الشعبي عن «الأصل العربي» للألبان وانحدارهم من جبلة بن الأيهم في كتابه الأخير «صباحات مقهى روستان»، وكأنّ هذه النسبة تُلحق الإهانة بالألبان الآن أخذا بعين الاعتبار تاريخهم القديم في الفترة الاليرية والرومانية وصولا إلى مقاومة الألبان للحكم العثماني بقيادة اسكندر بك[3].

---

(1) ABDE BALETA, *Përballje me Islamofobinë,* Tiranë (Rimëkemja) 2006, p.444.

(٢) محمد م. الأرناؤوط: هل ينال الروائي الألباني إسماعيل كاداريه نوبل بعد «جائزة اورشليم»، جريدة «الحياة» ٢٠١٥/٢/١٦م؛ يوسف القعيد: محنة روائي زار اسرائيل، جريدة «البيان»، دبي ٢٠١٥/٣/٢م.

(3) KADARE, *Mëngjesët në Kafe Rostand,* Tiranë (Onufri) 2014, pp.149-152.

المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨)، ٣٧١-٤٠٧

القِيمَةُ العِلْمِيَّةُ لمُؤَلَّفَات حَمَد الجَاسِر التَّارِيخِيَّة

يوسف بن متعب بن رجاء الحربي

مُقَـــدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. وبعد...

قليلٌ هم الذين يكرسون حياتهم لهدفٍ مجيد، وعملٍ جليل، يُحيون به موات الذكريات، ويضيفون نتاجًا فكريًا وعمليًا يسهم في تشييد الحضارات، ومن هؤلاء الأفذاذ الذي اُتفق من خلاله على تلقيبه بعلامة الجزيرة؛ الشيخ حمد بن محمد آل جاسر، ذلك العلامة الموسوعي الجهبذ الذي تعدت مكانته المملكة العربية السعودية، وشبه الجزيرة العربية إلى أنحاء العالم العربي، والعالم أجمع!

فهو الأديب الرحالة الجغرافي المؤرخ الصحفي المحقق النسابة الناقد، تَرجمت أعماله لشخصيته، فلا مجال لباحث أن يضيف جديدًا للتعريف به، وانتشرت مؤلفاته، وتعددت حتى ليصعب معها تصنيفه في أي علمٍ برع، وفي أي مجالٍ زرع! وإننا لا نجاوز الصواب إذا أطلقنا على العقود الأخيرة من النصف الثاني من القرن الماضي، إنه عصر حمد الجاسر، لعلمه الغزير، ومآثره الكثيرة تجاه اللغة العربية، وريادته في مجالات شتى، بداية من إصداره لصحيفة «اليمامة» عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، وهي أول صحيفة صدرت في مدينة الرياض، وانتهاءً بآخر

بحوثه الموسومة بـ«التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار»، مرورًا بتأليف المعاجم الجغرافية، وتحقيقاته المتنوعة لطائفةٍ كبيرةٍ من كتب التراث المنسية والقابعة في زوايا مكتبات العلم، فنفض عنها غبار الزمن، وغياهب النسيان، وجلاها فإذا هي تشكل جزءًا مهمًا من لغة العرب، وأدبهم وتاريخهم، فأصبح ـ صدقًا وحقًا ـ علامة الجزيرة.

وبجانب انتمائه للأكاديميات العلمية في القاهرة وبغداد ودمشق، كان حَمَد الجَاسِر عضوًا عاملًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية فيعمّان، وعضوًا مراسلًا فيمجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية الأردني في عمّان، والمجمع العلمي العراقي في بغداد، والمجمع العلمي في الهند.

وقد أسهم حَمَد الجَاسِر في النهضة التعليمية الحديثة بالمملكة العربية السعودية، وفي نشر ثقافة الوطن كعلاّمة ومؤرخ وجغرافي، فأنشأ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، كما أصدر مجلة (العرب) سنة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، وقد صدر منها إلى عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ثلاثة وثلاثون مجلدًا، حيث كانت هذه المجلة الرائدة وسيلة اتصال بكثير من العلماء والباحثين في مختلف الأقطار، ممن يكاتبها أو يزور مكتبها(١).

وألفّ أيضًا العديد من الكتب التي تغطي مجالات عديدة متنوعة، شملت المصورات الجغرافية، والتاريخية، وأدب الرحلات، وكتب السيرة، وطبعات نقدية لنصوص تراثية مهمة.

وفي الكتابة التاريخية؛ نجد أن حَمَد الجَاسِر ينتمي لتلك المدرسة التي لا تعتني بنقل الأحداث التاريخية كما هي جوفاء خالية من أي تلاحم وترابط، بل

---

(١) حمد الجاسر: في الوطن العربي الكبير، منشورات مجلة العرب، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، ٢٠٣.

حاول أن يصور الحياة بشعابها المختلفة ، ومجالاتها العديدة ، سواء كانت أدبية أو اجتماعية أو عمرانية أو اقتصادية أو سياسية ، حيث يتناول تلك المناحي بصورة موضوعية ، لا تحيزًا فيها ولا اختلاق ، معتبرًا التاريخ علمًا معرفيًا له قيمته ووزنه ، وليس لغوًا يقتصر على أخبار الماضين وأساطير الأولين ، بل هو يدرس التجربة الإنسانية أو جوانب منها لفهم طبيعة الحياة على وجه الأرض[1] متخذا لنفسه منهجًا واضحًا وأسلوبًا مفهومًا يميز فكره ، ويبرز شخصيته ، ولما كان الأسلوب هو الأداة التي يعرض بواسطتها المؤرخ موضوعاته ، فإنه يلزمه أن يعتني به ، ويراعي المستوى العلمي والوسط الاجتماعي الذي يكتب له ، بحيث يكون واضحًا ومؤديًا للأهداف العلمية التي قصدها من بحثه[2] .

أما أُسلوبه حين يكتب ، فهو أسلوب أديب ، تأتي ألفاظُه عفوية ، لا يقصد اختيارها أو انتقاءها ، وعباراته سلسلة تأتي من باب السهل الممتنع ، وأكثر ما يظهر أسلوبه الأدبي في الوصف المبثوث في تضاعيف الكتاب ، ونراه ينمُّ حينئذٍ عن أديب حقًّا ، كان يحسن الوصف فيما يرى في رحلاته من مدنٍ ومشاهد ، وهو وصفٌ واقعي بعيد عن الوصف الخيالي الممجوج ، ويأتي وصفه عامًّا ، مقتضبًا حينًا ، وملمًّا شاملًا أقل اقتضابًا حينًا . وفي ذلك يقول : وأجدني أحس براحة لأنني في كل ما أكتب أردتُ إدراك الحقيقة متجردًا من أي هوى أو باعث لا يحقق تلك الغاية[3] .

---

(١) إسماعيل أحمد محمد ياغي : مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه ، الرياض ـ مكتبة العبيكان ، ١٤٢٠هـ ، ١٢٧.

(٢) محمد بن صامل السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، الرياض ـ دار ابن الجوزي ، الرياض ١٤٢٩هـ ، ٢٦٢.

(٣) حمد الجاسر : بلدة البرود موقعا وتاريخا وسكانا ، مطبوعات مجلة العرب البرود ، ٢٤.

إنّ دراسة الجاسر للتاريخ بوجهيها، تنطلق من دراسته للمكان؛ فقد جمع المعلومات عن الأمكنة من المعاجم، ومصادر التراث الأخرى، ثم قام برحلات ميدانية واسعة ومضنية للتحقق من صحة هذه المعلومات. ومن خلال الدراسة الميدانية يوثّق معلومات المصادر بوصف طبيعة الأماكن وصفًا دقيقًا إذا كانت المعلومات فعلًا دقيقة وتنطبق على المكان. أما إذا كانت غير دقيقة، فيبين ما فيها من نقص أو التباس أو خطأ، وإذا كانت المعلومات خاطئة كليةً فيوضح ذلك، ويجتهد في تفسير أسبابه، ويلتمس المبررات والأعذار لعلمائنا الأوائل، فيما خالفت معلوماتهم فيه الصواب مقدّرًا كل التقدير علمهم وجهودهم.

ويعد الجاسر من أوائل المؤرخين الذين عَنوا بما تلَبَّس على الناس من غموض بشأن أحداث معينة، أو قبائل بعينها، كما كان منهجه في كتاب باهلة القبيلة المفترى عليها.

ومن الإنصاف للجاسر، القول بأنه معنيٌّ بالتاريخ عنايةً شديدةً بصفتين أساسيتين؛ الأولى: أنه دارس للتاريخ، والأخرى: أنه يؤرخ لمجتمع الجزيرة العربية أو المناطق التي درسها من الجزيرة. ومن هنا يمكن القول إنه يتمتع بالفرادة من حيث اهتمامه بدراسة المكان، ومن حيث تأريخه لمجتمعه[1].

لقد كتب الجاسر أبحاثًا تاريخية كثيرة، لكنها مختلفة في موضوعاتها، صغيرة في كمها، ولا تشكل وحدة موضوعية تصلح أن تكون ـ بصفة إجمالية ـ كتبًا، وإن كان يجمعها رابط واحد، هو الجزيرة العربية، ومن ثمّ فقد تناثر إنتاجه التاريخي، منه ما أدرجه في تضاعيف معجمه الجغرافي، ومنه ما نشره في مجلة العرب، ومنه ما نشره في مقدمة الكتب التي حققها، وغير ذلك.

---

(١) مجلة العرب، ج٥ و٦ س ٤٠، ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٤٢٥هـ، (كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير) سنة٢٠٠٥م.

نشأ الجاسر في عصرٍ كانت الكتاباتُ التاريخية فيه تسير وفق أنماط متصاعدة تتفاوت في عمقها وسرعتها وتأثرها بالإقليم والعصر والحدث التاريخي نفسه، وكان على المؤرخ أن يستقي منهجه من تلك الكتابات المدونة عبر القصائد والأشعار والقصص، وعن طريق المشافهة أيضًا. فضلًا عن ضعف الحراك الثقافي في غالب مكوناته بالجزيرة العربية في تلك الفترة، اللهم إلاَّ ما يتم طرحه في المجالات الأدبية والقصائد والأشعار، وفي العلوم الدينية بصفة عامة، حيث كان الهدف من تدوين التاريخ عند المسلمين، (منذ بداياته) يرتبط، قبل كل شيء، بمقتضيات ومتطلبات دينية صرفة[1].

القيمة العلمية لمؤلفات حَمَد الجَاسِر التاريخية

تنوعت كتابات حَمَد الجَاسِر التاريخية ما بين تأليف وتحقيق، ومراجعة وتدقيق وتعليق، متحليًا بالأمانة العلمية، وما تقتضيه من حياد ونقد موضوعي، ومتخليًا في الوقت نفسه عن كل ما يعيب البحث التاريخي ويقدح فيمن يتناوله، وهو ما جعل مؤلفاته من الثقة والدقة بمكان، بحيث لا يخلو مؤلف عربي حديث عن الأنساب بخاصة أو عن تحديد المواقع وجغرافيتها وعن النواحي التاريخية أيضا من إشارة وعزو إلى مؤلفات حَمَد الجَاسِر فيما يتعلق من مصادر ومراجع موثوقة.

وقد كثرت المؤلفات التي اتخذت أعمال حَمَد الجَاسِر مرجعًا ومصدرًا أساسيًا، حتى لا يكاد يخلو مؤلف حديث في جغرافية المملكة أو تحديد بعض المواضع والتواريخ من إحالة إلى حَمَد الجَاسِر، ومن ذلك «موسوعة تاريخ المملكة العربية

---

(١) محمد عبد الكريم الوافي: منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، بنغازي - جامعة قار يونس ١٩٩٠م، ١.

السعودية الحديث والمعاصر»، لمفيد الزيدي[١]، حيث أشار المؤلف إلى حَمَد الجَاسِر عندما قدم لأحد مصادره: جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، خمسة قرون من المغامرة والعلم، ترجمة قدري قلعجي[٢].

وهو ما أشار إليه أيضا الدكتور أحمد مريوش في الجزء الأول من كتابه «دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر»[٣]، حيث رجع إلى حَمَد الجَاسِر، رحلة التميمي التونسي إلى الحج، مجلة العرب الأعداد ٧، ٨ السنة ١٦ الموافق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

وعلى النهج ذاته أشار اسماعيل احمد محمد ياغي إلى حَمَد الجَاسِر في كتابه: «مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه»[٤]. كما ذكره الدكتور يوسف المرعشلي في كتابه «مصادر الدراسات الإسلامية»[٥]، وبالأخص عندما أشار في ثنايا الكتاب إلى تحقيقات حَمَد الجَاسِر لكتاب المغانم المطابة في فضائل طابة للفيروز آبادي.

وفي تناوله للتاريخ السياسي لبلاد اليمامة (١/٢) لفهد بن عبد العزيز الدامغ[٦]

---

(١) مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، عمان، الأردن.

(٢) جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، خمسة قرون من المغامرة والعلم، ترجمة: قدري قلعجي، قدم له: حمد الجاسر، بيروت - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بدون تاريخ.

(٣) أحمد مريوش: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر - مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر.

(٤) إسماعيل أحمد محمد ياغي: مصادرالتاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مرجع سابق.

(٥) يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مصادر الدراسات الإسلامية، بيروت - دار البشائر الإسلامية، بيروت ٢٠٠٦.

(٦) فهد عبد العزيز الدامغ: التاريخ السياسي لبلاد اليمامة، مجلة الدرعية، العدد (٣٢)، السنة (٨)، ذو الحجة ١٤٢٦هـ - يناير ٢٠٠٦م.

كان من مصادر المؤلف الرئيسية كتب حَمَد الجَاسِر ومنها قوله : وقد وصف العلاَّمة الشيخ حَمَد الجَاسِر هذه الحِقْبة في حديثِه عن تاريخ مدينة الرِّياض ، بأنَّها فترة مجهولة التاريخ ، وقال عن تاريخ اليمامة عامَّة : «ثُمَّ نَجِد فجوة في تاريخ البلاد من القرن الرابع إلى القرن التاسع»[١] . ومن الدراسات التحليلية التي تناولت مصادر التراث العربي دراسة لأنور زناتي بعنوان : «دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي»[٢] ، حيث استشهد المؤلف برأي حَمَد الجَاسِر عند الحديث عن كتاب «الايناس بعلم الأنساب» للوزير المغربي ، إذ يقول : أحسن مؤلفات الوزير المغربي حظا وأروجها كما قال المرحوم حَمَد الجَاسِر في مقدمته لنشرة الكتاب .

وأشار إليه مهدي رزق الله أحمد في كتابه «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية»[٣] ، الصادر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية حيث استشهد بأقوال حَمَد الجَاسِر في بعض التواريخ وتحديد بعض الأمكنة ، وذلك من خلال تعليق حَمَد الجَاسِر على كتاب «المناسك للحربي» .

وفي تحقيقه «لمعجم الأدباء» لياقوت الحموي ، أشار احسان عباس[٤] إلى تحقيقات حَمَد الجَاسِر ومقالاته وبحوثه المنشورة في مجلة العرب ومراجعاته واثباتاته وتنبيهاته على بعض المسائل وخاصة ما اختلف فيه من أقوال وتواريخ .

---

(١) حمد الجاسر : مدينة الرياض عبر أطْوار التاريخ ، الرياض ـ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٨٦هـ ، ٧٧.

(٢) أنور محمود زناتي ، دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي ، عمان الأردن ـ دار زَهْران للنشر والتوزيع ، ٢٠١١م .

(٣) مهدي رزق الله أحمد : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية ، الرياض ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٢هـ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣م .

ومنها قوله عند الحديث عن الحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بابن الحائك الهمداني : أثبت الشيخ حَمَد الجَاسِر أنه لم يمت في سجن صنعاء، وإنما توفي بعد خروجه من السجن[١] .

كما يذكر صاحب كتاب «الإعلام بتصحيح الأعلام»، محمد بن عبد الله الرشيد[٢] ، بعض تنبيهات حَمَد الجَاسِر على كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون ، حيث قال : نبّه الشيخ حَمَد الجَاسِر في مقاله في جريدة الرياض رقم ٢١ في سلسلة ملاحظاته على كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون»، السبت ١٠ محرم ١٤٢١هـ الموافق ١٤/٠٤/٢٠٠٠م العدد ١١٦١٨ السنة السابعة والثلاثون على أن الشيخ البسام ترجم في كتابه ٤: ٤٥٧ ترجمة مفصلة باسم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وقال انه توفي سنة (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م) ناقلا عن الزركلي في الطبعة الثانية لكتابه «الأعلام» ٤: ٢٧٧ وقال أن المترجم له على الصحيح هو الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٦٥-١٣٣٩هـ/ ١٨٤٨-١٩٢٠م) وأن هذا الخطأ الذي وقع فيه الزركلي إنما وقع به عن طريق كتاب «فرقة الإخوان الإسلامية» لمحمد المغيربي فتيح ، ثم قال الأستاذ الجاسر : ولعل الزركلي اتضح له في طبعته الحديثة لكتابه الأعلام خطأ هذه الترجمة فأسقطها من كتابه .

وقد ذكره أيضا الدكتور عبد الرحمن فرّاج في ورقته البحثية : دليل الباحث إلى مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية[٣] .

---

(١) حاشية الجزء الثاني، من تحقيق إحسان عباس لمعجم الأدباء، ٨٠٩.

(٢) محمد عبد الله الرشيد : الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام ، الرياض - مكتبة الإمام الشافعي ، دار ابن حزم ٢٠٠٢م ، .

(٣) عبد الرحمن فرج : دليل الباحث إلى مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية ، مجلة عالم الكتب مج ٢ عدد ٥ و ٦ (الربيعان ١٤٢٠هـ/ الجماديان ١٤٢٠هـ) .

بلغت مؤلفات حَمَد الجَاسِر التاريخية سبع كتب أساسية تناولت ما يلي :

١) ابن عربي : موطد الحكم الأموي في نجد .

٢) باهلة .. القبيلة المفترى عليها .

٣) بلاد يَنْبُع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة .

٤) بلدة البرود : موقعًا وتاريخًا وسكانا . مع تفصيل وافٍ عن منطقة السر : القرى والسكان .

٥) في سَرَاة غامِد وزَهْران .. نصوص ومشاهدات وانطباعات .

٦) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ .

٧) مؤرخو نجد من أهلها .

بالإضافة إلى العديد من المقالات والبحوث التي نشرها في مجلة العرب وغيرها ، وتم تناولها بالبحث والنقد والمناقشة والتحقيق .

أولاً : ابن عربي ـ مُوَطِّد الحكم الأموي في نجد

تأتي أهمية هذا الكتاب من أهمية النظرية التي حاول حَمَد الجَاسِر إثباتها حيث يتحدث عن إبراهيم بن عربي من أطول ولاة بنى أمية زمنًا وصلته الوثيقة بالحَجَّاج بين يوسف الثّقفي الذي كان يعرف بالشدة والصرامة والعنف أثناء ولايته لمنطقة الحجاز ثم العراق ومدى تأثير هذه الصلة على ابن عربي في توطيده للحكم الاموي في منطقة نجد مثلما فعل الحَجَّاج في العراق .

يبين حَمَد الجَاسِر في هذا الكتاب فترة حكم نجدة بن عامر الحنفي أحد ولاة بني أمية على اليمامة ومعظم أجزاء الجزيرة العربية ، وصولًا إلى الحديث عن بسط نفوذ عبد الملك بن مروان على كافة أقاليم الخلافة الإسلامية ومن ضمنها اليمامة .

وبعد أن استتبت الأمور لعبد الملك بن مروان في العراق والحجاز، التفت إلى أبي فديك. فأرسل إليه بعثًا من أهل الشام والعراق بقيادة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وتمكن عمر من قتل أبي فديك في المُشَقَّر (قرب القطيف) (٧٤هـ/ ٦٩٤م) وبذلك انتهى دور النجدات السياسي في اليمامة والبحرين.

وقد شهدت المنطقة عقب ذلك حركة تمرد قام بها أفراد من بني عبدالقيس في البحرين من بني محارب بن عمرو بن وديعة. ولما عجز والي البحرين محمد بن صعصعة الكلابي عن مواجهتهم، طلب عبد الملك بن مروان من إبراهيم بن عربي (الكناني)، واليه على اليمامة، أن يكفيه إياهم، فقام ابن عربي بما طُلب منه، ثم رجع إلى اليمامة (٧٨هـ/ ٦٩٨م).

هذه الشخصية المحورية في تلك الفترة ـ ابراهيم بن عربي ـ لم يتطرق إليها خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» بل ذكر مجموعة من الذين يحملون اسم العربي او ابن عربي. وقد أزال حَمَد الجَاسِر الغموض وما التبس من فهم حول هذه الشخصية، فأفرد كتابا خاصا لهذا الحاكم في تلك الفترة من الزمن.

وعلى الرغم من اعتراف حَمَد الجَاسِر بقصور المصادر في توفير المعلومات، إلا أنه مطمئن لصحة ما حاول استقصاءه وتتبعه، وفي ذلك يقول: لن يجد القارئ في هذا البحث ما يتطلع إليه من تفصيل لكثير من الجوانب التاريخية، فما قدّمته للقراء لا يعدو نتفًا تاريخية قصيرة أو لمحات موجزة، هي كل ما استطعت العثور عليه فيما تسنّى لي الاطلاع عليه من المصادر التي تحت يدي. ولكنني ـ مع ذلك ـ مطمئن بأنني حاولت الاستقصاء في تتبعها، قد أبلغت النفس عذرها[(١)].

يشخّص الكتاب في مجمله حال سكان نجد عند استقرار الحكم الأموي بعد الحروب الأهلية التي أعقبت وفاة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ/

---

(١) حمد الجاسر: ابن عربي: موطد الحكم الأموي، ١٤.

٦٨٣م) ، حيث أن الطبيعة لأكثر سكان تلك البلاد لم يطرأ عليها في هذه الفترة أي تأثير من القوة ما يغيرها من حالة إلى أحسن منها ، أو يزيل ما استحكم بسببها بين أولئك السكان ـ وجلّهم من القبائل ـ من أسباب العداء وبواعث الفُرقة مما غمر النفوس بالإحن والأحقاد ، وأصبحت القلوب متنافرة متباعدة ، وانطمست لذلك البصائر ، فأصبحت لا ترى في أية وسيلة من وسائل الإصلاح والتغيير إلا تقييدًا لحريتها وقضاء على عزتها وسيادتها[١] .

ومن النتائج التي أثبتها حَمَد الجَاسِر من خلال هذا الكتاب أن بلاد نجد لم تنعم بفترة استقرار تام أثناء الحكم الأموي ، وأن هذا الحكم لم يتغلغل في جزيرة العرب تغلغلًا قويًّا ، ولكن نفوذ ذلك الحكم شمل أكثر الأقاليم المتحضرة منها ، واكتفى ببقية الأجزاء التي تسيطر عليها القبائل بدفع الزكوات .

وأشار الجاسر أيضًا أن أهم مصدر يمكن الاعتماد عليه في توثيق أحداث تلك الحقبة من الزمن هو الشعرّ فليس من المبالغة القول بأن تلك الأشعار تكاد تكون أوفى مصدر وأصدقه ، وأوضحه لرسم معالم ذلك الحكم ، بل لإبراز جوانب من شدة ما كانت تقاسيه الرعية من شدة وعنف ، وخاصةً بين أبناء البادية ممن استطاع أن يجأر بالشكوى من الشعراء ، وأن يرفع صوته ، مما تحسه قبيلته من ظلم وجور[٢] .

ثانيًا : باهلة .. القبيلة المفترى عليها

في دراسته لمصادر دراسة الشعر النبطي في كتاب فهرس الشعر النبطي ، لم يغفل مألفه سعد بن عبد الله الصويان[٣] الرجوع إلى كتاب باهلة القبيلة المفترى

---

(١) المرجع نفسه ، ٢١.

(٢) المرجع نفسه ، ٤٦.

(٣) سعد بن عبد الله الصويان : فهرست الشعر النبطي ، الرياض ٢٠٠١م .

عليها لحمد الجاسر، ومن الدراسات المتخصصة التي تناولت مواقع القبائل، ومن بينها دراسة الدكتور جمعان بن عبد الكريم بعنوان: تحديد مواقع القبائل العربية ولهجاتها في خرائط الدراسات اللغوية وأثره في الدرس اللهجيّ[1]، حيث اعتمد المؤلف كثيرا على كتاب «باهلة القبيلة المفترى عليها» لتبيان بعض الحقائق ومنها الخطأ في التحديد الدقيق للهجات العربية، حيث يذكر عبد الكريم بأنه على الرغم من وجود اتفاق من حيث المبدأ في ورود بعض العبارات العامة في تحديد بعض اللهجات؛ فقد زاد الأمر سوءً بعد الخطأ الذي ارتكبه كثير من دارسي اللهجات العربية المعاصرين في عدم التحديد الدقيق لمواقع القبائل العربية، وخصوصًا من المستشرقين الذين تابعهم بعض الباحثين العرب دون تدقيق، أو مراجعة، وهو ما بينه المؤلف في حاشية كتابه بقوله: يمكن التمثيل في هذا المجال بنقد الشيخ حَمَد الجَاسِر لتحديدات قبيلة باهلة في موسوعة دائرة المعارف الإسلامية التي زادت في غموض اسم القبيلة، وفي الغموض حول موقعها.

ومن المؤلفات المهمة التي اتخذت من الكتاب مرجعًا لها كتاب معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) لكامل سلمان الجبوري[2] وهو مؤلف ضخم مكون من سبعة أجزاء.

كذلك قام أحمد العلاونة في كتابه «نظرات في كتاب الإعلام»[3]، بالاعتماد على الكتاب، ومن أقواله: باهلة .. جاء فيها: «.... وكانت النسبة إلى باهلة حطة عند العرب يضربون الأمثال بلؤمهم ...» وفي هذا الكلام نظر، فقد ألف

(١) جمعان عبد الكريم: تحديد مواقع القبائل العربية ولهجاتها في خرائط الدراسات اللغوية وأثره في الدرس اللهجيّ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع٧٧، ٥٧ - ١٠٥.

(٢) كامل سلمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، بيروت، لبنان.

(٣) العلاونة، أحمد: نظرات في كتاب الأعلام، دمشق - المكتب الإسلامي، ٢٠٠٣م، ٤٢.

شيخنا العلامة حَمَد الجَاسِر كتاب باهلة القبيلة المفترى عليها في ٧٢٦ صفحة فدفع هذا الكلام الذي تناقله مؤرخون قدماء وعصريون فتحدث عن فصاحة القبيلة وعن استشهاد اللغويين والنحويين بشعر باهلة ونثرها، وسمى فيه نحو ثلاثين صحابيا، وسبعين عالما وثمانين قائدا وأميرا وسبعين شاعرا.

وعلى ذلك فإن حَمَد الجَاسِر يحاول في هذا الكتاب أن ينفي الصورة السلبية في أذهان الناس عن قبيلة من أعرق القبائل العربية، ويدفع هذا الكلام الذي تناقله مؤرخون قدماء وعصريون، فقد كانت باهلة منذ العهد الجاهلي حتى جاء الإسلام تحل بحبوحة واسعة من بلاد نجد، وأن في دفاعه هذا ليس دفاعا عن قبيلة بعينها بل عن الأمة كلها، بإيضاح جوانب عن تغلغل الكذب والأباطيل في تاريخها لتشويهه[١].

يمكن القول بأن كتاب باهلة القبيلة المفترى عليها من أنواع كتب المعارضات والردود التي يرد فيها المؤلف على اطروحة ما أو يدحض فكرة ما ليثبت عكسها، وهذا ما دفع الجاسر لتأليف هذا الكتاب للرد على الشيخ علي الطنطاوي في كتابه رجال من التاريخ والذي ذكر عن قتيبة بن مسلم بأنه رجل ما رفعه نسبه، فقد كان من أخس قبائل العرب، وأحطها منزلة، من قبيلة يستحي أبناؤها من الانتساب إليها، ويُضْرب المثل بالخسة بها، ويترفع العرب عن ذكرها، من (باهلة)[٢].

إن توضيحات حَمَد الجَاسِر في كتاب «باهلة القبيلة المفترى عليها»، مما تزيد من مهمة هذا الكتاب العلمية وتوثق لفترات من فترات هذه القبيلة التي لها مواقف محمودة ومآثر مشهودة في الفتوحات الإسلامية، وفي هذا يشير الجاسر أن الكلام عن مآثر هذه القبيلة في الفتوحات الإسلامية بعد عصر الخلفاء الراشدين يطول ولو

---

(١) حمد الجاسر: باهلة القبيلة المفترى عليها، غلاف الكتاب.

(٢) حمد الجاسر: باهلة القبيلة المفترى عليها، ٢٠.

لم يكن سوى ما قام به قتيبة بن مسلم لكفاها شرفًا وفخرًا[١] . وامتدت هذه المواقف حتى عصور متقدمة حيث ناصرت القبيلة الدعوة السلفية الإصلاحية منذ قيام الدولة السعودية الأولى .

وخلاصة ما ذهب إليه الجاسر في بحثه هذا أنه كما يقول : «حاولت ما استطعت ألا أهمل شيئا مما اطلعت عليه مما ورد في تلك المؤلفات عن تلك القبيلة منذ أن عُرفت من أقدم عصورها إلى عصرنا الحاضر ، وأقولها كلمة حق : إنني لم أجد فيما اطلعت عليه وصمة سوء ملصقة بهذه القبيلة ولها أصل ، بل لم يزد كل ما وصفت به أو أُضيف إليها من مثالب ، على ما ألصق بغيرها من القبائل ، إلا أن هناك من الأسباب ما أبرز هذه القبيلة بين غيرها من القبائل بذلك المظهر المزري ، وقد عرف هذا منذ آخر القرن الأول الهجري ، ثم استشرى وزاد ضراوة في آخر القرن الثاني ، وأول القرن الثالث حيث وجد من علمائها من برز بين معاصريه ، فناله حسد كثير منهم ، وكراهية آخرين كانوا حاقدين على العرب بصفة عامة وهم الشعوبيون»[٢] .

ثالثًا : بلاد يَنْبُع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة

انطوى هذا الكتاب فضلًا عن مادته التاريخية على تجربة شخصية عاشها حَمَد الجَاسِر في بلاد يَنْبُع ، فأراد الجاسِر أن يدمج المادة التاريخية بآراء وانطباعات خاصة ومن صميم العيش في تلك البلاد التي أحبها . فعبر عن هذه المحبة وعن تلك الألفة بتقديم هذه المعلومات لمن يعنيه البحث في تاريخ تلك البلاد ، لعله يجد فيها ما يدفعه إلى التعمق في البحث لكتابة تاريخها كاملا[٣] .

---

(١) حمد الجاسر ، باهلة القبيلة المفترى عليها ، ٢٦٦.

(٢) حمد الجاسر ، باهلة القبيلة المفترى عليها ، ٦١١.

(٣) حمد الجاسر ، بلاد ينبع : لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة ، ٥.

أصبح هذا الكتاب مرجعًا أساسيًا لبعض الدراسات المهتمة بتاريخ الحجاز بصفة عامة، فاعتمد عليه كل من سادسة حلاوي حمود، ووليد محمد علي قاسم في دارستهما: «الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لبلاد الحجاز من خلال كتب الرحالة المغاربة والاندلسيين خلال القرنين السابع والثامن الهجريين»[١]، في بحثهما. واعتمدت عليه كذلك موسوعة «مقاتل من الصحراء»[٢] التي أعدت دراسة توثيقية عن ميناء يَنْبُع التجاري، اعتمد على كتاب بلاد يَنْبُع لحَمَد الجاسِر.

ولقد اتبع حَمَد الجَاسِر في تأليف هذا الكتاب نفس طريقته المعروفة في توثيق المادة التاريخية عبر الرجوع الى المصادر القديمة للمؤرخين والجغرافيين والرحالة، من أمثال الهمداني، وياقوت، والبكري والسمهمودي الخ، رابطا بين آرائهم الجغرافية من خلال المقارنة والتحليل والرجوع إلى مراجع حديثة، أو مصادرأخرى كالشعر الجاهلي والسيرة النبوية والقواميس والتراجم. مبديًا ملاحظاته الخاصة التي يستنتجها من المعاينة المباشرة للأثر أو الموضع، واضعًا بعض الاستدراكات التي تعتبر من قبيل المراجعة التاريخية لتصويب بعض الأحداث التي ذكرها أو تصحيحا لبعض أسماء الأماكن والأشخاص أو اسهابا وتوضيحا لبعض الأحداث. ومن ذلك، يذكر حَمَد الجَاسِر في إحدى استدراكاته أنه جاء في الصفحة (٩٦) أن السيد البيتي كان قد مر بهذه المدينة. والصواب: أنه كان موظفًا فيها، فقد ترجمه الجبرتي في تاريخه

---

(١) سادسة حلاوي حمود، وليد محمد علي قاسم: الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لبلاد الحجاز من خلال كتب الرحالة المغاربة والاندلسيين خلال القرنين السابع والثامن الهجرين، ٢٠١٥م، مجلة كلية التربية، العدد (٢٣)، جامعة واسط، العراق.

(٢) موقع موسوعة مقاتل من الصحراء على الشبكة العنكبوتية http: //www. moqatel. com/ openshare/Behoth/monshat, Yanboa-Tog/index.htm

ترجمة مطولة، ومما جاء فيها قوله عنه: (ولي كتابة يَنْبُع، ثم وزارة المدينة)[١].

والكتاب به غزارة في تناوله لبلاد يَنْبُع بدأه الجاسر بالتعريف اللغوي لكلمة يَنْبُع ومعانيها ثم يقوم بالتعريف الحصري لإطلاق هذا الاسم على ناحية من الحجاز. محددا موقعها بين خطوط الطول والعرض الجغرافية الحديثة. كما يقوم بقياسات الأزمنة القديمة التي تحدد مسافتها بالحساب مثل المرحلة وغيرها. ويربط كل تلك المعلومات الجغرافية بمعلومات تاريخية تحتوي على أشهر الشخصيات التاريخية التي عرفتها ينبع، وأشهر المواقع المذكورة في أشعار العرب والعيون والمياه التي رافق ذكرها أحداثا تاريخية وسياسية شهيرة، وقبل ذلك وبعده بالكلام عن يَنْبُع بوصفها موطنًا عريقا لقبيلة جهينة في الماضي والحاضر.

ويحصر حَمَد الجَاسِر السيرة التاريخية ليَنْبُع في مدينة يَنْبُع التي تعرف اليوم بيَنْبُع النخل، فلم يتطرق لحاضرة المدينة المعاصرة اليوم (يَنْبُع البحر) الا لماما قليلا.

فالمادة التاريخية والتراثية والجغرافية التي كانت تشغله باستمرار كانت بالأساس في مدينة يَنْبُع النخل. التي اصبحت اليوم أقل شأنا من مدينتي يَنْبُع البحر ويَنْبُع الصناعية. بسبب جفاف ينابيعها وعيونها. وهجرة أغلب القبائل منها إلى المدينة (يَنْبُع البحر) ضمن مشروع توطين الهجر الذي أطلقه الملك عبد العزيز آل سعود.

ويناقش حَمَد الجَاسِر بعض الانطباعات التي ترد في كتب الرحالة والمؤرخين فيما خص النزاعات التي تحدث بين البدو حين يردون تلك النزاعات إلى ميل فطري فيهم بينما يردها هو إلى ظروف قاسية تطبع أهلها بطابعها، فيقول: ولعل من أهم أسباب اختلال الأمن، والتعرض للحجاج هو سوء إدارة الولاة الذين

---

[١] حمد الجاسر: بلاد ينبع: لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة، ٢٢٦

تختارهم الدولة العثمانية ، وبعدهم عن العرب بعدًا يجعلهم لا يفهمون نفسيتهم ، ولا ينظرون إليهم نظرة عطف ورعاية .

رابعًا : بلدة البُرُود : موقعًا وتاريخًا وسكانا . مع تفصيل وافٍ عن منطقة السّرّ : القرى والسكان

ينصب هذا الكتاب حول تاريخ بلدة البرود ونشأتها موضحا عددًا من الحقائق ومبينًا إياها بعدد من الخرائط والوثائق المتعلقة ببحثه . والكتاب في مجمله تاريخي يميل إلى ذكر أنساب القبائل ومواقع القرى والأماكن .

ويعد هذا الكتاب مصدرًا لسيرة حياة حَمَد الجاسِر ، ترجم فيه لنفسه ترجمة ذاتية ، وعن نشأته الأولى والجانب الاجتماعي في حياته ، وفي الأنساب المرتبطة به ليكون من أسباب التواصل والتعارف والترابط الأسري مما يشد عرى الأخوة ، ويقوي أواصر المحبة والتعاون على البر والتقوى(١) .

كما برهن الكتاب أن بلدة البرود تقع في منطقة السر ، وتعد من عالية نَجْد ، ونستطيع من خلاله أن نستبين أسلوبه التاريخي عند الحديث عن تلك المنطقة (السر) فهو يريد عرض لمحة موجزة عن هذه المنطقة في الفترة التي يتحدث عن تاريخها ، مكتفيا ، حسب قوله : بإيراد أبرز مظاهر العمران فيها ، تاركا التفصيل في جغرافيتها وآثارها القديمة لذوي الاختصاص(٢) .

كما برهن أيضًا أن عيون السِّرّ أقدم ما عرف في الإقليم في الزمن المجهول التاريخ من حيث آثارها ، وبقيت تلك العيون حتى تغيرت وسائل الري باستعمال الآلات الحديثة القوية . وقد أبدى الجاسر استغرابه وأسفه من أن مؤرخي نجد لم

---

(١) حمد الجاسر : بلدة البرود موقعا وتاريخا وسكانا ، ١٨.

(٢) حمد الجاسر : بلدة البرود موقعا وتاريخا وسكانا ، ٣٧.

يتعرّضوا لذكر العيون ، لا من حيث الموقع ، ولا من حيث التاريخ . وأن أقدم ما اطلع عليه هو ما ذكره ابن عيسى في حوادث سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م من أن الفيضة من بلدان منطقة السر ، قد بناها فاهد بن نوفل ، ثم انتقلوا إليها من الريشية المعروفة من قرى السر وسكنوها[١] . حيث ذكر بأن مؤلفات تاريخ نجد الحديثة التي اطلع عليها بعد قيام الدولة السعودية لم تشر إلى أن منطقة السر كانت لها إمارة عامة ، بل هي كبعض المناطق التي يتولى كل قرية أمير منها ، يكون في الغالب من أعرق أسرها وأشهرها ، باختيار من أهل القرية وتراضٍ واتفاق ، فإمارة البرود في آل ناهض ، وإمارة الفيضة في آل نوفل ، وكل قرية من قرى العيون أميرها من أهلها[٢] .

ذكر حَمَد الجاَسِر في كتاب بلدة البرود أبرز الحوادث التاريخية لهذه البلدة ، مشيرا إلى أن المؤرخين عنوا بإبراز أشهر حوادث المدن الشهيرة والقبائل الكبيرة ، وفاتهم ما عدا ذلك من القرى والجهات .

خامسًا : في سّراة غامِد وزَهْران .. نصوص ومشاهدات وانطباعات

صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ، ذكر فيه حَمَد الجاَسِر أحداث تاريخية مهمة بين ثنايا هذا الكتاب وأفرد لبعضها مباحث خاصة . وقد أتخذ هذا الكتاب مرجعا لبعض المؤلفات التي تناولت تاريخ هاتين القبيلتين أو معالجة ظواهر معينة في الجزيرة العربية ، حيث اعتمد عليه ابراهيم سليمان الشمسان في كتابه أصول فصيحة لظواهر لهجات الجزيرة العربية[٣] واستشهد به على الأخَصّ في ذكر اللهجات المحلية بالمنطقة .

---

(١) حمد الجاسر : بلدة البرود موقعا وتاريخا وسكانا ، ٦٦.

(٢) حمد الجاسر : بلدة البرود موقعا وتاريخا وسكانا ، ١٤٣.

(٣) إبراهيم سليمان الشمسان : أصول فصيحة لظواهر لهجات الجزيرة العربية ، المدينة المنورة ، ١٧-١٩/٦/١٤٣٣هـ الموافق ٩-١١/إبريل/٢٠١٢م.

وتناوله أيضا علي بن سعد آل زحيفة الشهراني في كتابه التاريخ الثقافي لقبيلة شهران العريضة من العصر الأموي إلى قيام الدولة السعودية الثالثة[١].

اهتم الجَاسِر في كتابه بتدوين الأصول التاريخية لهذه المنطقة الشاسعة (غامِد وزَهْران) واسترسل في الحديث عن قبيلة الأزّد، موضحا لمحات تاريخية عن انتشار قبيلتي غامِد وزَهْران خارج السَّراة مع الإشارة إلى أماكن انتشارهم في عَمان ومصر والعراق، وحديث عن أخبار القبليتين في الزمن الجاهلي والزمن الإسلامي، وتعريج على مشاركتهم في الفتوحات الإسلامية، وتعليل لسبب اشتهار قبيلة دوس دون غيرها من قبائل الأزد، وقد أورد المؤرخ الجاسر بعض أعلام قبيلتي غامِد وزَهْران في العلم والجهاد والشعر وترجم ترجمة مفصلة للمختار بن عوف.

وقد اتخذ الجاسر كتاب تاريخ الطبري مصدرا أساسيا له للبحث عن قبيلة الأزّد كما استعان بأقوال القاسم بن سلام والآمدي والهمداني والسمعاني وابن كثير والزجاجي وغيرهم. حيث يتناول لمحات تاريخية عن انتشار قبيلتي زَهْران وغامِد خارج السراة، واشتهار قبيلة دوس دون غيرها من قبائل الأزد، متحدثًا عن بعض أخبار غامِد وزَهْران في العهد الجاهلي، والعهد الإسلامي، وعن بعض شعراءهم قديما، وعن آثار بلدانهم.

وتتجلى أهمية الكتاب فيما توصل إليه من نتائج من أهمها ما يلي:

- أن قبليتي غامِد وزَهْران جذمان عظيمان من الأزّد.
- تنقسم الأزّد إلى أربعة أقسام وهي: أزد شنوءة وأزد السَّراة وأزد غسان وأزد عُمان.

---

(١) سعد آل زحيفة الشهراني: التاريخ الثقافي لقبيلة شهران العريضة من العصر الأموي إلى قيام الدولة السعودية الثالثة، رسالة دكتوراه، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، كولالمبور، ماليزيا، ٢٠١٦م.

ـ أن للأزد تاريخ حافل في الجاهلية والإسلام فقد كانوا من أثرى القبائل عددًا وأحصنها بلادًا ، ولما جاء الإسلام كانت قبيلتا الأوس والخزرج الأزديتان من أول من استجاب لدعوته .

ـ أن الموطن القديم للأزد حسب إجماع مؤرخو العرب هو مأرب من أرض اليمن ، وأنهم إثر حادثة سيل العرم تفرقوا[1] في البلدان ، فنزل آل جَفْنِة بن عمرو بن عامر الشام ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعة مرّا ، ونزلت أزد السَّراة السراة ، ونزلت أزد عُمان عمان[2] .

ـ ذكر أخبار دوس في الجاهلية حيث ذكر الجاسر منها يوم حضرة ، وهي موضع بتهامة كان فيه يوم بين بني دوس بن عدنان وبني الحارث بن كعب ، وكانت الغلبة لدوس .

ـ ذكر سروات الحجاز وأخبار الأمم القديمة مثل ثمود والأنباط والعماليق .

سادسًا : مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ

يندر البحث عن تاريخ مدينة الرياض بدون الرجوع لهذا الكتاب القيم من مؤلفات حَمَد الجَاسِر التاريخية ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، حيث يعتبره الباحث من أوائل الكتب التي تناولت شرحا تفصيليا وافيا لمدينة الرياض عبر التاريخ ، خاصة بعد الاعتماد على كتب الرحلات التي تثري الكتابة التاريخية لدراسة عهود الدولة السعودية الحديثة ، وأغلب هذه الرحلات المعتمد عليها للتأريخ هي رحلات قادمة وممولة من الغرب الأوربي مثل رحلة بوكهارت ، وفارتيما ، ورحلات جون فيلبي ، وغيرها .

---

(١) حمد الجاسر : في سراة غامِد وزهران : نصوص ومشاهدات وانطباعات ، ٢١٥.

(٢) حمد الجاسر : في سراة غامِد وزهران : نصوص ومشاهدات وانطباعات ، ٢١٧.

وقد ظهر هذا الكتاب كمرجع أساسي في العديد من المؤلفات التي تناولت تاريخ مدينة الرياض؛ ومنها كتاب الدكتور عبد الله العسكر: تاريخ اليمامة في صدر الإسلام .. محاولة للفهم[١]. وكتاب مرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة: احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٢]، وخاصة عند الحديث عن الأحوال السياسية في القرن الثالث الهجري في منطقة نجد وقيام دولة مستقلة عن دولة الخلافة العباسية يطلق عليها الدولة الأخيضرية.

وهو ما سلكه الدكتور فهد بن عبد العزيز الدامغ في بحثه المنشور في مجلة التاريخ العربي[٣] بعنوان: «الدولة الأخيضرية في اليمامة»، وأيضًا في بحثه المنشور بمجلة الدرعية[٤] «بعنوان التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (١/٢)، حيث يستشهد بوصف حَمَد الجَاسِرهذه الحِقْبة في حديثِه عن تاريخ مدينة الرِّياض، بأنَّها فترة مجهولة التاريخ، وقال عن تاريخ اليمامة عامَّة: ثمَّ نجِد فجوة في تاريخ البلاد من القرن الرابع إلى القرن التاسع.

كذلك رسالة راشد محمد بن عساكر بعنوان: منفوحة في عهد الدولة السعودية الأولى والثانية (١١٥٧ ـ ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤ـ ١٨١٧م)[٥]. وكتاب الدلالات التاريخية في أشعار راشد الخلاوي .. اللغة والمواضع والمشاهدات[٦]

---

(١) عبد الله العسكر: تاريخ اليمامة في صدر الإسلام .. محاولة للفهم، بيروت ـ دار جداول ٢٠١٤م.

(٢) مرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة: احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ١٤١٩هـ، الرياض ـ دار الوطن للنشر ١٤١٩هـ.

(٣) فهد عبد العزيز الدامغ: الدولة الأخيضرية في اليمامة، مجلة التاريخ العربي ـ العدد ٣٠.

(٤) فهد عبد العزيز الدامغ: التاريخ السياسي لبلاد اليمامة (١/٢)، مجلة الدرعية، العدد الثاني والثلاثين.

(٥) راشد محمد بن عساكر: منفوحة في عهد الدولة السعودية الأولى والثانية (١١٥٧هـ ـ ١٢٣٣هـ)، دراسة تاريخية حضارية، مطابع التاج، ١٤٣٣هـ.

(٦) عبيد محمد أبو ثنين السبيعي: الدلالات التاريخية في أشعار راشد الخلاوي .. اللغة والمواضع والمشاهدات، الرياض ـ مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٣٧هـ.

دراسة وإعداد الباحث عبيد بن محمد أبوثنين السبيعي، وأيضًا أطروحة صالح محمد عبد الصمد سبأ، دور قرية الجنادرية التاريخية في إبراز الجوانب الحضارية للمجتمع السعودي[١].

ومن المؤلفات الأخرى التي اتخذت من كتاب مدينة الرياض عبر التاريخ مصدرًا أساسيًا تم الرجوع إليه في أكثر من موضع، كتاب الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي[٢]، وخاصة في الحوادث التاريخية لا سيما ما حدث في عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م عندما هاجم الإمام عبد العزيز الرياض، وأعمل الهدنة في أبراجها، وقتل من أهلها عددا من الرجال. وكاد الإمام أن يفتح البلدة، ولكنه آثر الرجوع إلى الدرعية، وقتل في هذه الحرب نحو أربعة آلاف رجل: ألف وسبعمائة من أنصار الدعوة، وألفان وثلاثمائة من أهل الرياض، وبلغ عدد الغزوات خمسا وثلاثين غزوة.

ويعد الكتاب ذا قيمة علمية كبرى؛ إذ تناول فيه الجاسر تاريخ مدينة الرياض منذ العصور الحجرية حتى وقت طباعة الكتاب مزودًا بصور ورسوم توضح الأحداث المهمة، حيث اتبع الجاسر طريقة السرد المباشر فبدأ بالحديث عن مدينة حجر مستشهدا على قدم وجودها بما علله المتقدمون من المؤرخين حيث نقل عن الهمداني[٣] بأن تلك المدينة كانت موجودة قبل نزول بني حنيفة فيها، في عهد طسم، حيث كانت تسمى (خضراء حجر)[٤].

---

(١) صالح محمد عبد الصمد سبأ: دور قرية الجنادرية التاريخية في إبراز الجوانب الحضارية للمجتمع السعودي. أطروحة (ماجستير) - الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣.

(٢) عبد الله بن عبد المحسن التركي: الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة، كتاب الكتروني منشور على موقع رابطة العالم الإسلامي، http: //www. themwl. org/web

(٣) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: صفة جزيرة العرب، منشورات دار اليمامة، ١٣٩٤هـ.

(٤) حمد الجاسر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، ١٦.

سابعًا : مؤرخو نجد من أهلها

يتناول هذا الكتاب ذكر مؤرخي نجد الذين أَرَّخوا لها من أبنائها أمثال ابن بسام ، وابن غنام ، وابن لعبون ، ابن بشر وغيرهم . كما يستعرض فيه الجاسر حياة المؤرخ محمد العلي العُبيد صاحب كتاب النَّجم اللاَّمع ، للنَّوادر جامع ، موضحًا أيضًا جهود علماء عُنَيزة في التاريخ ، مستعرضًا نُبَذًا عن حياة كل منهم وإسهاماته في تدوين تاريخ نَجْد ، ويُشيرُ إلى مصادر ترجمته له .

وقد رجع لهذا الكتاب محمد بن عبد الله السلمان في كتابه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي[1] ، وكذلك عويضة بن متيريك الجهني في كتابه نجد قبل حركة الإصلاح السلفية .. الظروف الاجتماعية السياسية والدينية إبان الثلاثة عقود التي سبقت نشأة المملكة العربية السعودية ، [2] وقد أخذ عنه أيضًا الدكتور عبد الفتاح أبو علية في كتابه التاريخ الشفوي السعودي : تطبيقًا على تجربة دارة الملك عبد العزيز[3] .

وتتضح الأهمية العلمية لهذا الكتاب فيما استخلصه حَمَد الجَاسِر حيث ذكر أن منطقة نجد كانت مسرحًا لكثير من الحوادث منذ القدم ، ولكن عناية المؤرخين بها كانت ضعيفة[4] .

---

(١) محمد بن عبد الله السلمان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي ، الرياض ـ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ١٤٢٢هـ .

(٢) عويضة بن متيريك الجهني : نجد قبل حركة الإصلاح السلفية .. الظروف الاجتماعية السياسية والدينية إبان الثلاثة عقود التي سبقت نشأة المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣م ، رسالة دكتوراه . مؤسسة الملك عبد العزيز للبحوث والأرشيف .

(٣) عبد الفتاح أبو علية ، التاريخ الشفوي السعودي : تطبيقًا على تجربة دارة الملك عبد العزيز ، كتاب أبحاث المؤتمر العلمي التاريخ الشفوي ـ الواقع والطموح ، الجزء الثاني ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ٢٠٠٦م .

(٤) مجلة العرب ، الجزء التاسع ـ السنة الخامسة ـ ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ (أيار (مايو) ١٩٧١م) ، ص: ٧٨٥.

ـ أن معظم المؤرخين عنوا بتسجيل ما له صلة بالحكومات، تقربًا منها، وأهملوا ما عدا ذلك.

ـ ذكر الجاسر عددًا من المؤرخين الذين لولاهم لضاع تاريخ الحجاز، من أمثال الأزرقي وابن شبة وابن زبالة، والطبري، والفاسي، والسمهودي، وغيرهم.

ـ وقوفه على الكيانات السياسية في نجد قديما كدولة الأخيضريين التي حكمت تلك البلاد من منتصف القرن الثالث الهجري إلى أول القرن الرابع (٢٥٣ ـ ٣١٧هـ/ ٨٦٧ ـ ٩٢٩م). ودولة القرامطة التي امتد حكمها من الأحساء إلى نجد في سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م فأزالت الأخيضريين واستمر حكمها إلى منتصف القرن الخامس (٢٨٧ ـ ٤٧٠هـ/ ٩٠٠ ـ ١٠٧٧م)[1].

ـ استشهاده برحلة ناصر خسرو علوي[2] إلى نجد في منتصف القرن الخامس الهجري، وهو يصف ما عليه تلك البلاد من الفقر والجهل.

ـ استشهد الجاسر بأقوال الشعراء للبحث في هذه الحقبة الطويلة من الزمن منذ بدء تدوين التاريخ العربي بعد الإسلام إلى نهاية القرن العاشر الهجري.

ـ تناول الجاسر رموزا مهمة من مؤرخي نجد وذلك بذكر نبذٍ عنهم من حيث المولد مكانا وزمانا والنشأة والحياة.

الأهمية العلمية لتحقيقات الجاسر للكتب التاريخية

من خلال البحث فيما وقفت عليه من تحقيقات حَمَد الجَاسِر التاريخية نجد أنه يتحرى الدقة الموضوعية في تناوله لما يحققه من مؤلفات مما يعطي لهذه التحقيقات

---

(١) مجلة العرب، الجزء التاسع ـ السنة الخامسة ـ ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ (ايار (مايو) ١٩٧١م)، ٥: ٧٨٦.

(٢) سبق تعريفه.

أهمية علمية كبرى ، حيث يتبين أنه اجتهاده في ذلك ليس عشوائيًا أو منحازًا ، بل هو اجتهاد يهدف إلى التجويد والتحسين . فهو يرى أن الهدف الأساس من تحقيق كتاب التراث هو إخراجه بصورة يكون فيها مطابقًا لما وضعه عليه مؤلفه دون زيادة أو نقصان ، وقد أشار إلى ذلك في مناسبات عدة منها قوله : من المدرك بداهة أن معنى تحقيق الكتاب التحقق والتثبت من أنّ ما ينشر منه مطابق حقًّا لأصله ، كما وضعه مؤلفه بدون زيادة أو نقصان ، أو تغيير في النص ، أو تحريف له ، متى كان لأصل ذلك الكتاب من النسخ ما يصح الاعتماد عليه وإن لم يكن ذلك فلا أقلّ من أن يطابق المنشور النسخة المخطوطة الموثوق بها ، إن كان لأصل ذلك الكتاب نسخ ، أو كانت النسخة الوحيدة إن لم يكن سواها[1] .

ونلحظ في مراجعته لكتاب «تاريخ المدينة» لابن شُبَّة النَمَيري أنه ينتقد بشدة عمل المحقق لفرط استعماله بعض مصادر التاريخ وإقحام ما جاء فيها في صلب كتاب ابن شبة ، قائلًا : إنه اتخذ منها مادة يرجع إليها لإكمال ما يراه من نقص في مباحث الكتاب ، وهو نقص في المخطوطة ، كان عليه أن يشير إلى مواضعه بدون أن يتصرف في أصل الكتاب فيلحق به ما ليس منه بحيث لا يستطاع القول بأنّ النص الوارد في مطبوعة كتاب ابن شبة هو من كلام ابن شبة نفسه[2] .

وهكذا فالمساس بالكتاب المحقق من حيث مضمونه أو صورته التي تركها عليه مؤلفه يعدّ عبثًا غير مقبول عند الجاسر ، وقد توصّل إلى هذه النتيجة منذ عهد مبكر من حياته العلمية . كما يعدّ الجاسر من العبث حذف مقاطع من الكتاب ، أو فصولًا لا تتسع لها صدور بعض القراء ، فالكتاب عنده وثيقة تحكي السائد في

---

(١) حمد الجاسر : تاريخ الإسلام للذهبي وموقف مركز إحياء التراث منه ، بحث منشور بمجلة العرب ، العدد ٧ ـ ٨ ، محرم ـ صفر ، عام ١٣٩٩هـ .

(٢) حمد الجاسر : تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة النميري ، مجلة العرب ، س ٢٠ ، ع٥ - ٦ (ذو القعدة/ ذو الحجة ١٤٠٥ ، آب/ ايلول ١٩٨٥م) ، ٣٧٢ - ٣٨٦ .

زمانها من أفكار وعقائد وعادات، وحذفها فيه طمس للحقيقة، خاصة وأنّ الزمن الحاضر يختلف عن الماضي فلم يعد المعاصرون مقتنعين بما يرد في تلك الكتب من أوهام قضت عليها الثقافة السائدة والتعليم الصحيح.

ففي مقدمته لـ «معجم الشيوخ» يقول الجاسر: «وهذا الكتاب لم يؤلف إلا لطبقة خاصة من العلماء، وهو يجلو وجهًا من أوجه الثقافة الدينية ـ من الناحية التاريخية ـ في حقبة من الزمن طغى فيها الجمود الفكري طغيانًا شمل العالم الإسلامي كله. ولهذا فقد يمر القارئ بعبارات لا يتسع لها صدره تتعلق بالصوفية و(لبس الخرقة) أو بالحلولية كذِكر ابن عربي، أو بتعبيرات غير مألوفة شرعًا كجملة (قاضي القضاة) و(زيارة قبر النبي) ﷺ، ونحو هذه التعبيرات أو الجمل. ولهذا ينبغي أن تكون النظرة إلى هذا الكتاب باعتباره يسجل جانبًا من حياتنا الثقافية تسجيلًا تاريخيًا يجب أن نعرف هذا الجانب على علاته، حق المعرفة، بدون تغيير، أو تأثر ... ولن نستطيع ـ إذا أردنا الاستفادة بتراثنا ـ إلا أن نقف هذا الموقف أمام كثير مما وصل إلينا من ذلك التراث[(١)].

كما يحرص الجاسر على الرجوع إلى المصادر التي أخذ عنها مؤلف الكتاب الذي يقوم بتحقيقه، وليس الأمر على إطلاقه، ففي بحث له بعنوان: (من تاريخ الدولة السعودية الأولى في المؤلفات اليمنية)، نجده يؤكد على أنّ من سمات المؤرخ استكمال ما يتعلق بموضوع دراسته من مراجع بصرف النظر عما يكون بينها من اختلاف، بل نراه يأخذ على محققي «تاج العروس» عدم رجوعهم إلى المصادر المتيسرة[(٢)].

---

(١) عمر بن فهد الهاشمي: معجم الشيوخ، تحقيق محمد الزاهي، الرياض ـ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، [المقدمة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م]، ٧.

(٢) حمد الجاسر: نظرات في تاج العروس، الرياض ـ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٣١٨.

ومن الكتب القلائل التي اهتم بمصادرها التاريخية كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحجاج وطريق مكة المكرمة» للجزيري، حيث قام بمراجعته على بعض مصادره مثل كتاب مروج الذهب للمسعودي وكتاب أخبار مكة للأزرقي وكتاب شفاء الغرام للفاسي[١]. فذكر في مقدمته أنه حاول التثبت من صحة ما فيه من نصوص منقولة عن مؤلفات استطاع الاطلاع عليها فقابلها، وأشار إلى ذلك في الحواشي التي حاول أن تكون موجزة؛ فالغاية تحقيق النص لا شرح الكتاب، [٢] كما ذكر الجاسر.

وبالرغم من ذلك يلاحظ أنه في بعض التحقيقات يرجع إلى الكتب الموسوعية أو الكتب الوسيطة دون الرجوع إلى أمهات الكتب أو الأصول، فأحيانًا يرجع إلى كتب نصر والحازمي وياقوت والبكري وغيرهما، لكنه لا يرجع إلى الأصول التي رجعت إليها هذه الكتب، ربما لثقته واطمئنانه بهذه الكتب الوسيطة. ومن الأمثلة على ذلك نجد الحازمي في كتاب الأماكن ينقل نصًا عن الأزهري وبيتين من الشعر، فيحيل المحقق إلى كتاب نصر دون أن يرجع إلى المصدر الأصلي للمؤلف وهو كتاب الأزهري تهذيب اللغة والنص موجود فيه[٣].

ومما يلاحظ أيضًا أن الجاسر يبذل اهتمامًا بالكتب الجغرافية المنشورة بمعرفته أكثر من اهتمامه بمثيلاتها من الكتب التاريخية، ولعل ذلك مرجعه إلى ميله إلى التآليف الجغرافية أكثر من غيرها، حيث نجد في رسائله في تاريخ المدينة أنه قليل

---

(١) الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الجزيري الحنبلي: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة. تحقيقحمد الجاسر، الرياض ـ دار اليمامة للبحث والنشر ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٢) الجزيري: الدرر الفرائدالمنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ١: ٥٩.

(٣) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت ـ الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١م، ٩: ١١٦-١١٧.

العزو إلى المصادر التاريخية التي نقل منها مؤلفو تلك الرسائل . وهذا على خلاف اهتمامه بمؤلفاته التاريخية التي كتبها هو بنفسه كما رأينا سابقا .

أولاً : رسائل في تاريخ المدينة

تأتي الأهمية العلمية لتحقيق الجاسر «لرسائل في تاريخ المدينة» من المقدمة المطولة التي قدم بها للكتاب ومآخذه عليه ، لا سيما مخطوطة دار الكتب المصرية التي احتوت على أخطاء املائية ونحوية .

كما عاب على علي بن يوسف في رسالته (وصف المدينة المنورة) إقراره بعض البدع والخرافات كالتوسل بالأموات والبناء على القبور وإسراجها ، ونيله من الحركة الإصلاحية في الجزيرة العربية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كما قام الجاسر بتبسيط الحديث عن السمهودي ومؤلفاته ، ورتبها على حروف المعجم ، وعرض لمصادر السمهودي ورتبها باعتماد أسماء مؤلفيها على حروف المعجم أيضا ، مع الإشارة لمآخذ على هذا الكتاب مثل ما أهمله السمهودي من جانب هام من تاريخ المدينة ، وهو تراجم مشهوري أهلها ، والمقيمين فيها ، أو الوافدين عليها .

ثانيًا : البرق اليماني في الفتح العثماني لقطب الدين النهروالي

تأتي أهمية تحقيق الجاسر لهذا الكتاب كونه من أهم مصادر تاريخ جنوبي الجزيرة العربية في القرن العاشر الهجري . كما يحتوي الكتاب على وثائق تاريخية مهمة تتعلق بالفتح العثماني لليمن .

كما اجتهد الجاسر في وضع بات يحتوي على الكلمات الأعجمية (تركية وفارسية) الواردة في الكتاب ليسهل على القارئ فهم مدلولاتها ومعانيها .

ثالثًا : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من سنة ٧٠٠ ـ ١٣٤٠هـ/ ١٣٠٠ ـ ١٩٢١م لإبراهيم صالح ابن عيسى

اضافت تعليقات الجَاسِر عند تحقيقه لهذا الكتاب أهمية ذات قيمة علمية ، حيث تناول الحوادث التي سجلها ابن بشر بعنوان (سابقة) فرتبها وأوردها متسلسلة وخصص لذكرها هذا الكتاب ، وأضاف إليها أشياء لم يذكرها ابن بشر .

كما قام الجاسر بوضع عناوين لكل قرن من القرون لتسهيل الوصول إليها ، وأضاف معلومات تتعلق بتاريخ مدينة عنيزة لا يصح أن يخلو منها كتاب يضم تاريخ أهم حوادث بلاد نجد كتبها الشيخ محمد بن مانع .

رابعًا : المَغَانِم المُطَابة في مَعالِم طابَة للفيرُوزآبادي

قام الجَاسِر بتحقيق هذا الكتاب كونه من أهم المصادر في دراسة تاريخ المدينة القديم ، مصححا لكثير من الأسماء التي أوردها الفيروزآبادي ، مع قيامه بوضع فهارس مفصلة حسب عناوين الكتاب . كما وقف الجاسر على أشهر من ألفوا في تاريخ المدينة لا سيما أبي ثابت الأعرج ، وعمر بن شبَّة النميري وغيرهم .

ومن أهم استنتاجات الجاسر في تحقيقه لهذا الكتاب أن أقدم بداية لتدوين تاريخ منفصل للمدينة ، هو ما عني به عبد العزيز بن عمران الزهري المدني المعروف بابن أبي ثابت الأعرج .

خامسًا : القَوْل السدِيْد في أخبار إمَارة آل رَشِيد لسليمان بن صالح الدَّخِيل

تظهر أهمية تحقيق هذا الكتاب من خلال تناول الجاسر لإمارة آل رَشِيد منذ إنشاءها حتى زوالها . كما أوضح الجاسر في تحقيقه أنه لا يعول على (ابن دخيل) في جل ما تحدث به عن القبائل ، ورغم ذلك يقدره الجاسر باعتباره أديب نجدي

اشتغل بالأدب والتاريخ والصحافة ، وله فيها كلها آثار لا يسع الباحث في تاريخ نجد إهمالها[١] .

سادسًا : نبذة تاريخية عن نَجْد لضارِي بن فَهَيد الرَشِيد

على الرغم من صغر حجم هذه الرسالة إلا أنها تحوي معلومات تاريخية هامة عن حوادث وقعت في البلاد السعودية في القرن الثالث عشر الهجري ، قام الجاسر بتحقيقها وكتب لها مقدمة وصف فيها النسخة الخطية ، مضيفًا إلى الرسالة بعض الحواشي مميزا إياها عن الحواشي الأصلية .

سابعًا : تُحفَّة المُستَفِيد بتارِيخ الأحساء في القَدِيم والجَدِيد (القسم الأول) لمحمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصَاري الأحسائي

تتضح أهمية تحقيق هذا الكتاب كونه يعتمد على مصادر موثوق بها عن تاريخ الإحساء موثوق بها ، محاولا الربط بين الحوادث التاريخ قديما وحديثا .

ثامنًا : نقد كتاب تاريخ الكويت للدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة

في تحقيقه لهذا الكتاب ، قدم الجاسر نقدا علميًا محايدًا بيّن فيه إهمال المؤلف للمصادر التركية واكتفاءه بالمصادر الانجليزية . كما اغفل المؤلف ذكر حوادث هامة وقعت في المنطقة في الجاهلية وفجر الإسلام ، مع شحن الكتاب بكلمات (الوَهّابية) و(الوَهّابيون) و(الوَهّابي) والإشارة إلى أن لقب الوَهّابية من الألقاب التي لا يقبلها أهل البلاد الذين يوصمون بذلك اللقب .

كما تتضح تلك الأهمية من تصحيحات الجاسر لفترات حياة وممات بعض مؤرخي الجزيرة العربية ، مع شرح التطابق بين تاريخ بن بشر وتاريخ بن غنام .

---

(١) مجلة العرب ، الجزء الخامس ـ السنة الأولى ـ ذو القعدة ١٣٨٦ (شباط ١٩٦٧م) .

الخاتمــة

إن شخصية معاصرة ضربت في كثير من فنون العلم ، كحَمَد الجَاسِر الذي يظل صيته مشهورا ومعلوما حتى الآن ، يجعل المرء متشوقًا للبحث في مؤلفاته والوقوف على جهوده ومصنفاته ، وقد اُختيرت دراساته التاريخية ، كمحل بحث في هذه الرسالة ، للوقوف على منهجه فيها وتبيان الأسلوب الذي اتبعه الجاسر في تلك الكتابات التاريخية .

هذا المنهج الذي يمكننا استنباطه من خلال كتاباته التاريخية والاطلاع على مؤلفاته وتحقيقاته في هذا المجال ، نجد أنها أساليب تستند إلى منهج علمي في الدراسات التاريخية ، مع بعض الآراء التي يدلي فيها الجاسر باجتهاد وفق ما اطمأن له من أقوال وتواريخ . فالجاسر كما وصفه العبودي يعد عالما وباحثا وحيدا في الموضوعات الجغرافية التي يراد بها الجغرافية الأدبية التاريخية(١) .

ويمكن القول أن مساهمات حَمَد الجَاسِر في التاريخ بمثابة بحوث تاريخية متنوعة في تواريخ المدن والجماعات نشرها متفرقة في مجلة العرب ، وقد اقتضى اهتمام الجاسر بدراسة الجغرافية والأماكن والآثار أن يدرس تاريخها وتاريخ ساكنيها في مختلف الحقب التاريخية ، مما ساهم في تطور اهتمامه بالتاريخ وتحقيقه لعدد من كتب التراث المتنوع والرحلات وكتب لها مقدمات هي في الواقع بحوث تاريخية أصيلة .

كما أن معظم مؤلفاته غير التاريخية قد صبغها بصبغةٍ تاريخيةٍ ، وخاصةً تاريخ المكان وتاريخ الإنسان من حيث تحديد الأماكن وعلم الأنساب كما جاء في بعض

---

(١) حسب ما ورد في بحث ، العبودي ، محمد بن ناصر ، الشيخ حمد الجاسر وجهوده الجغرافية ، السجل العلمي لندوات الشيخ حمد الجاسر وجهوده العلمية ، ندوة انعقدت بتاريخ ٤ـ٥/٨/١٤٢٤هـ بكلية الآداب ، جامعة الملك سعود .

كتبه مثل في شمال غرب الجزيرة العربية، وفي سراة غامِد وزهران، والمعجم الجغرافي شمال المملكة، والمعجم الجغرافي المنطقة الشرقية وغيرها من كتاباته، ونرى أن اهتمامه بالتاريخ ليس فقط وقوفا على احداثه بل أيضا في تناوله في بعض أبحاثه التاريخية المباشرة دراساته للمؤرخين وكتبهم، وقد كان لمشروعه التاريخي نفس المسار والارتباط لمشروعه الجغرافي، غير أنه كتاباته التاريخية لم تأخذ نفس الزخم الذي يعود إلى أن مشروعه الجغرافي تضافرت في انجازه عوامل عديدة منها توفر المصادر وتعاون عدد من الباحثين بالكتابة عن مناطقهم، بينما هناك شح في المصادر التاريخية مما أثر على انجاز مشروعه التاريخي الذي كان قد أفصح عن عزمه على انجازه[1].

إن من ملامح منهج الجاسر في الدراسات التاريخية توظيف الشعر بصفته مصدرا مهما والتقصي لمادة البحث في المصادر والإطلاع على الدراسات الحديثة في الموضوع ونشدان الحقيقة بعيدا عن أي غاية إلى جانب اعتماده منهجًا لا يكتفي بمجرد سرد الحوادث، وإنما يبحث في أسبابها ثم نتائجها.

كما يظهر لنا أن الأبحاث التاريخية المباشرة قياسًا بمجمل أبحاثه الأخرى لا تمثل كما كبيرًا، وقد نشر عددا منها في مجلة العرب، وأبدى عناية جيدة في دراسة الدولة السعودية الأولى استثمر فيها مصادر لم يستخدم بعضها من قبل ممن درسوا هذا الموضوع، وأنه قد أفرد مدينة الرياض بتاريخ مستقل، على غرار ما أفرد به بعض المناطق بمعجم جغرافي مستقل، تتبع فيه تاريخها منذ أقدم العصور وحتى العصر الحاضر، كما قام أحيانا بدراسات ميدانية وزيارات إلى المواقع الأثرية التي يتحدث عن تاريخها كما فعل في كتاب مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، حيث ذكر أنه قام بدراسات ميدانية لعدد من المواقع الأثرية للتحقق من مدى تطابقها مع

---

(١) السجل العلمي لندوة الشيخ حمد الجاسر، مرجع سابق، (٣٤٤/١).

معلومات المصادر مثل محاولته معرفة موقع العقير الذي اتخذه ابراهيم بن عربي ، أحد ولاة اليمامة في العهد الأموي مقرًا له[1] . فالكتاب الوحيد الذي بحث فيه الجاسر تاريخ نجد مباشرة دون أن يكون من خلال دراسته لجغرافيتها هو كتابه : ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد . وتجلت قدرته بوصفه مؤرخا في كل مباحث الكتاب ، وكان ينشد الوصول إلى الحقيقة ، فقد قدم رؤية وتفسيرا لأسباب نجاح نجدة بن عامر الحنفي ليس في حكم اليمامة (نجد) فحسب ولكن في بسط حكمه على معظم أنحاء الجزيرة العربية .

كما أفرد أيضا تاريخًا مستقلًا لقبلية من قبائل العرب تلاقها الناس بالذم والتحقير وهي قبيلة باهلة فتحدث عنها في مجلد ضخم بلغت عدد صفحاته ٧٢٦ صفحة أرخ فيه للقبيلة ورجالاتها منذ العصر الجاهلي وحتى وقتنا الحاضر تصحيحًا لما لحق بسمعة هذه القبيلة عند قدماء المؤلفين العرب مما ليس له أصل في الحقيقة .

ومن المعلوم أن الجاسر كتب أبحاثًا تاريخية كثيرة لكنها مختلفة في موضوعاتها صغيرة في كمها ولا تشكل وحدة موضوعية تصلح أن تكون بصفة إجمالية كتبا ، وأن إنتاجه التاريخي قد تناثر فيما بين كتبه الجغرافية وما نشره في مجلة العرب وما نشره في مقدمة تحقيقاته ومراجعاته .

---

(١) حمد الجاسر : مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ١٣٥.

المصادر والمراجع

- ابن عساكر، راشد محمد، منفوحة في عهد الدولة السعودية الأولى والثانية (١١٥٧ - ١٢٣٣هـ)، دراسة تاريخية حضارية، مطابع التاج، ١٤٣٣هـ.
- ابن فهد الهاشمي، عمر، معجم الشيوخ، تحقيق محمد الزاهي، ط ١، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د. ت، المقدمة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- أبو علية، عبد الفتاح، التاريخ الشفوي السعودي: تطبيقًا على تجربة دارة الملك عبد العزيز، كتاب أبحاث المؤتمر العلمي التاريخ الشفوي - الواقع والطموح، الجزء الثاني، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٦م.
- أحمد، مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م.
- أسرة، مرفت بنت كامل بن عبد الله، احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.
- بيرين، جاكلين، اكتشاف جزيرة العرب، خمسة قرون من المغامرة والعلم، ترجمة: قدري قلعجي، قدم له: حمد الجاسر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (د. ت) بيروت، لبنان.
- الجاسر، حمد، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٨٦هـ.
- الجاسر، حمد، نظرات في تاج العروس، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الجبوري، كامل سلمان، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، بيروت، لبنان.
- الجزيري، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الجزيري الحنبلي، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة. تحقيقحمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ط ٢، ١٩٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

- الجهني ، عويضة بن متيريك ، نجد قبل حركة الإصلاح السلفية .. الظروف الاجتماعية السياسية والدينية إبان الثلاثة عقود التي سبقت نشأة المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣م ، رسالة دكتوراه . مؤسسة الملك عبد العزيز للبحوث والأرشيف .
- الحموي ، ياقوت ، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣م .
- الرشيد ، محمد عبد الله ، الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام ، مكتبة الإمام الشافعي ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م ، الرياض .
- زناتي ، أنور محمود ، دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١م ، دار زَهْران للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
- الزيدي ، مفيد ، موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م ، عمان ، الأردن .
- سبأ ، صالح محمد عبد الصمد ، دور قرية الجنادرية التاريخية في إبراز الجوانب الحضارية للمجتمع السعودي . أطروحة (ماجستير) ـ الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٣م .
- السبيعي ، عبيد محمد أبو ثنين ، الدلالات التاريخية في أشعار راشد الخلاوي .. اللغة والمواضع والمشاهدات ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٣٧هـ .
- السلمان ، محمد بن عبد الله ، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي . زارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .
- السلمي ، محمد بن صامل ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ .
- الشمسان ، ابراهيم سليمان ، أصول فصيحة لظواهر لهجات الجزيرة العربية ، المدينة المنورة ، ١٧-١٩/٦/١٤٣٣هـ الموافق ٩-١١/إبريل/٢٠١٢م .
- الشهراني ، سعد آل زحيفة ، التاريخ الثقافي لقبيلة شهران العريضة من العصر الأموي إلى قيام الدولة السعودية الثالثة ، رسالة دكتوراه ، أكاديمية الدراسات الإسلامية ، جامعة ملايا ، كوالالمبور ، ماليزيا ، ٢٠١٦م .
- العبودي ، محمد بن ناصر ، الشيخ حَمَد الجَاسِر وجهوده الجغرافية ، السجل العلمي لندوات الشيخ حَمَد الجَاسِر وجهوده العلمية ، ندوة انعقدت بتاريخ ٤-٥/٨/١٤٢٤هـ بكلية الآداب ، جامعة الملك سعود .

- العسكر، عبد الله، تاريخ اليمامة في صدر الإسلام .. محاولة للفهم، دار جداول، ٢٠١٤م، بيروت.
- العلاونة، أحمد، نظرات في كتاب الأعلام، ط ١، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٣م، دمشق.
- المرعشلي، يوسف عبد الرحمن، مصادر الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- مريوش، أحمد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، الجزائر.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، منشورات دار اليمامة، ١٣٩٤هـ.
- الوافي، محمد عبد الكريم، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب .بنغازي. جامعة قار يونس، ط ١، ١٩٩٠م.
- ياغي، اسماعيل أحمد محمد، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، الرياض.
- ياغي، اسماعيل أحمد محمد، مصادرالتاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مرجع سابق.

المجلات:

- الجاسر، حمد. بلدة البرود موقعا وتاريخا وسكانا. الطبعة الأولى. مطبوعات مجلة العرب البرود.
- الجاسر، حمد، تاريخ الإسلام للذهبي وموقف مركز إحياء التراث منه، بحث منشور بمجلة العرب، العدد ٧ـ٨، محرم ـ صفر، عام ١٣٩٩هـ.
- الجاسر، حمد، تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة النميري، مجلة العرب، س ٢٠، ع٥ ـ ٦ (ذو القعدة/ ذو الحجة ١٤٠٥، آب/ ايلول ١٩٨٥م).
- الجاسر، حمد، في الوطن العربي الكبير، من منشورات مجلة العرب، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- حمود، سادسة حلاوي، و قاسم، وليد محمد علي، الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لبلاد الحجاز من خلال كتب الرحالة المغاربة والاندلسيين خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، ٢٠١٥م، مجلة كلية التربية، العدد (٢٣)، جامعة واسط، العراق.
- الدامغ، فهد عبد العزيز، التاريخ السياسي لبلاد اليمامة (٢/١)، مجلة الدرعية، العدد الثاني والثلاثين.

- الدامغ، فهد عبد العزيز، التاريخ السياسي لبلاد اليمامة، مجلة الدرعية، العدد (٣٢)، السنة (٨)، ذو الحجة ١٤٢٦هـ - يناير ٢٠٠٦م.
- الدامغ، فهد عبد العزيز، الدولة الأخيضرية في اليمامة، مجلة التاريخ العربي - العدد ٣٠.
- عبد الكريم، جمعان، تحديد مواقع القبائل العربية ولهجاتها في خرائط الدراسات اللغوية وأثره في الدرس اللهجيّ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٧٧.
- فراج، عبد الرحمن، دليل الباحث إلى مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية، مجلة عالم الكتب مج ٢ عدد ٥ و٦ الربيعان ١٤٢٠هـ/ الجماديان ١٤٢٠هـ.
- مجلة العرب، الجزء التاسع - السنة الخامسة - ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ (ايار (مايو) ١٩٧١م)، ج ٥.
- مجلة العرب، ج ٥ و٦ س ٤٠، ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٤٢٥هـ، (كانون الثاني - شباط/ يناير - فبراير) سنة ٢٠٠٥م.
- مجلة العرب، الجزء الخامس - السنة الأولى - ذو القعدة ١٣٨٦ (شباط ١٩٦٧م).

المواقع الإلكترونية

- موقع موسوعة مقاتل من الصحراء على الشبكة العنكبوتية http: //www. moqatel. com/ openshare/Behoth/monshat, Yanboa-Tog/index.htm
- التركي، عبد الله بن عبد المحسن، الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة، كتاب الكتروني منشور على موقع رابطة العالم الإسلامي، http: //www. themwl.org/web